

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

حوار الأديان: الإسلامي المسيحي نموذجاً

بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه في مقارنة الأديان

إشراف: الأستاذ الدكتور:

محسن عقون

إعداد الباحث:

مسعود حايفي

الأستاذ الدكتور: إسماعيل زروخي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري - قسنطينة	رئيساً
الأستاذ الدكتور: محسن عقون	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري - قسنطينة	مشرفاً ومقرراً
الدكتور: عبد القادر بنخوش	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضواً
الدكتور: كمال معزي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضواً
الدكتور: لمير طيبات	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضواً

السنة الجامعية 1428/1427 هـ - 2007/2006 م

جامعة الأمير

بسم الله الرحمن الرحيم.

القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتويات:

المقدمة

الفصل الأول: أهمية الحوار وضرورته وغايته.

تمهيد

- 2 المبحث الأول: تعريفات الحوار.
- 2 المطلب الأول: التعريف اللغوي.
- 4 المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي.
- 9 المطلب الثالث: القرآن الكريم والحوار.
- 12 المبحث الثاني: ضرورة الحوار.
- 12 المطلب الأول: التنوع بين البشر.
- 14 المطلب الثاني: التنوع مصدر ثراء للحياة.
- 14 المطلب الثالث: التنوع، التسامح والحوار.
- 15 المطلب الرابع: الحوار كبديل عن الصراع.
- 17 المطلب الخامس: الحوار روح العصر.
- 18 المبحث الثالث: حوار الأديان والحوار الإسلامي المسيحي.
- 18 المطلب الأول: حوار الأديان.
- 20 المطلب الثاني: الإسلام وحوار الأديان.
- 22 المطلب الثالث: الحوار الإسلامي المسيحي.

الفصل الثاني: طبيعة العلاقات الإسلامية المسيحية من ظهور الإسلام إلى اليوم.

تمهيد

- 30 المبحث الأول: الأمبراطورية الرومانية والديانة المسيحية.

30	المطلب الأول: ميلاد الأمبراطورية الرومانية.
34	المطلب الثاني: التحالف الروماني المسيحي.
39	المبحث الثاني: ظهور الإسلام.
39	المطلب الأول: الإسلام يحاور المسيحية.
45	المطلب الثاني: الحرب العسكرية والدينية على رسالة الإسلام.
49	المطلب الثالث: الجدال العقدي والحرب الفكرية.
55	المطلب الرابع: الصراع بين المسيحيين والمسلمين بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم.
58	المبحث الثالث: الحروب الصليبية قمة الصراع بين المسيحيين والمسلمين.
58	المطلب الأول: الحروب الصليبية في المشرق وأسبابها.
63	المطلب الثاني: الحروب الصليبية في المغرب الإسلامي.
69	المطلب الثالث: الحرب الصليبية على الجزائر.
	الفصل الثالث: المنطلقات الفكرية واللاهوتية لصراع المسيحية مع الإسلام.
	تمهيد
	المبحث الأول: نشأة المسيحية وطبيعة تكوين الكنيسة وموقفها من المخالفين.
77	المطلب الأول: نشأة المسيحية.
80	المطلب الثاني: طبيعة تكوين الكنيسة.
82	المطلب الثالث: موقف الكنيسة من مخالفها.
89	المبحث الثاني: موقف الكنيسة من الإسلام.
89	المطلب الأول: التصورات المسيحية الأولى عن الإسلام ومصادرها .
	المطلب الثاني: موقف للمسيحيين من الإسلام أثناء الحروب الصليبية وبعدها.
93	

- 102 المبحث الثالث: الكنيسة والدعوة إلى الحوار.
- 102 المطلب الأول: مقدمات التحوّل في موقف الكنيسة.
- 104 المطلب الثاني: المجمع الفاتيكاني الثاني والدعوة إلى الحوار مع الإسلام.
- 110 المطلب الثالث: مواقف المسيحيين من توجّه الكنيسة للحوار مع الإسلام
- 116 للمبحث الرابع: مواقف العلماء المسلمي من دعوة الكنيسة إلى الحوار.
- 116 المطلب الأول: الاتجاه الموافق على الدخول في الحوار مع الكنيسة.
- 129 المطلب الثاني: الاتجاه الرافض للحوار.
- الفصل الرابع: الحوار الإسلامي المسيحي المنظم خلال العقود الأخيرة.

تمهيد

- المبحث الأول: الحوار الإسلامي المسيحي قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني.
- 135 المطلب الأول: الإطار العام الذي ظهرت فيه الدعوة إلى الحوار .
- المطلب الثاني: المؤتمرات واللقاءات الإسلامية المسيحية قبل المجمع الفاتيكاني الثاني.
- 136 المبحث الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني.
- 142 المطلب الأول: الفاتيكان والحوار.
- 146 المطلب الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى الأوروبي.
- المبحث الثالث: أهم اللقاءات والمؤتمرات المشتركة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني.
- 152 المطلب الأول: المؤتمرات التي عقدت بين 1976-965.
- 159 المطلب الثاني: المؤتمرات التي عقدت بين 1985-1976.

168	المطلب الثالث: المؤتمرات التي عقدت بين 1985-1995.
188	المبحث الرابع: الحوار بين الفاتيكان والأزهر.
188	المطلب الأول: العلاقات بين الفاتيكان والأزهر.
	المطلب الثاني: التمهيد لإنشاء الإطار المؤسسي للحوار بين الفاتيكان
191	والأزهر.
192	المطلب الثالث: الإطار المؤسسي والإجرائي بين الفاتيكان والأزهر.
194	المطلب الرابع: تأسيس اللجنة المشتركة للحوار بين الفاتيكان والأزهر
198	المطلب الخامس: نشاط اللجنة المشتركة.
206	المبحث الرابع: الحوار بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية.
206	المطلب الأول: اتفاقية الحوار بين الأزهر والكنيسة الإنجيلية.
207	المطلب الثاني: أهداف اتفاقية الحوار بين الأزهر والكنيسة الإنجيلية.
	الفصل الخامس: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي وآفاقه.
	تمهيد
212	المبحث الأول: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي.
212	المطلب الأول: معوقات الحوار من الجانب الإسلامي.
228	المطلب الثاني: معوقات الحوار من الجانب المسيحي.
232	المطلب الثالث: معوقات مشتركة.
	المبحث الثاني: التحديات المشتركة وآفاق الحوار الإسلامي
	المسيحي.
235	المطلب الأول: النزعة المادية.
235	المطلب الثاني: أزمة القيم في العالم المعاصر.
238	المطلب الثالث: الهيمنة الأمريكية.
243	المطلب الرابع: الصراعات والحروب.
246	المطلب الخامس: العلم والتكنولوجيا وآثارهما على الإنسان والبيئة
248	المطلب السادس: اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي
	بين الشمال

251	الخاتمة
255	التوصيات
258	فهرس المصادر والمراجع
259	فهرس الآيات القرآنية
267	فهرس فقرات الكتاب المقدس
274	فهرس الأعلام
284	فهراس الأماكن

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله وآله ومن أتبع هداه.

وبعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله خاتمة لسلسلة طويلة من ~~الرسالات~~ الوحي، مصححاً لها، وبالتالي مصححاً لمسار الفكر البشري، وعلاقات الإنسان بالله، بالكون، بنفسه، وبالآخرين. ولقد نال الحديث عن العقائد والملل وأصحابها، والكتب المنزلة، وما مستها من تحريف، حظاً وافراً وكماً لا يمكن إغفاله أو تجاهله، من آيات الذكر الحكيم، فاقت حجماً ما اصطلاح على تسميته " آيات الأحكام". وإذا كان القرآن أقرّ بالقرابة بين الإسلام وبين اليهودية، فإن ذلك لم يمنع من الكشف عما قام به اليهود من الاعتداء على نصّ الوحي المنزل، بالتحريف والتبديل والتغير ومن الاعتداء على حملته ومبلغه إلى الناس، بالتطاول عليهم وقتلهم. وإذا كان القرآن الكريم نزل كاشفاً ومبيناً لمواطن الزيف والانحراف التي نسجت حول عيسى - عليه السلام - ورسالته، والتي أبعدت النصرانية عن جوهرها الأصيل، فإن هذا أيضاً، لم يحلّ دون الإقرار بالصلة الحميمة التي تميّز علاقة المسلمين بالمسيحيين في قوله تعالى: "ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى".

لقد نزلت سورة الروم في مكة، تجسّد تعاطف المسلمين مع الروم المسيحيين، وجسّد محمد - صلى الله عليه وسلم - هذه الصلة عندما بعث بأتباعه المستضعفين، وهم حملة الرسالة من بعده، إلى النجاشي النصراني بالحبيشة، مؤتمناً إياه على البقية المؤمنة. وجسّد المسلمون من بعده مبدأ التعايش وقبول المسيحيين، حتى أن بعضاً منهم تولى وظائف ومهام قيادية في الدولة الإسلامية (الأموية والعباسية) لم ينلها أبناء المسلمين.

ولقد نشأت توترت كثيرة في علاقات المسلمين والمسيحيين كان سببها الجهل وسوء الفهم (خاصة من الجانب المسيحي) كان نتيجتها صدامات دموية عنيفة أفرزت عداوات وأحقاداً تاريخية، أهمها الحروب الصليبية، حروب الاسترجاع، الاستعمار الغربي، الحرب الحالية ضد المسلمين في العالم. لقد تغلب، في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، حوار السلاح على حوار الحياة، ولغة الدّم والتجريح على الإصغاء المتفهم. واليوم يشهد العالم ثورة هائلة في كل الميادين، غيرت ملامحه وأعادت رسم خريطته سياسياً وثقافياً واقتصادياً وغيّرت بُناه الاجتماعية، وشكّلت العلاقات بين أفرادها وصاغتها على نحو جديد، فقربت المسافات واختصرت الوقت، حتى بات

العالم قرية صغيرة، وفي ظل هذه الظروف الجديدة أصبح الناس مدعوين إلى سماع بعضهم بعضاً ليعرف كل طرف ما عند الآخر، بل أصبح واجباً على الجميع أفراداً كانوا أو جماعات، إذا أرادوا البقاء في عالم تتزايد وتيرة سرعته يوماً بعد يوم، أن يحاوروا بعضهم بعضاً، ويحسنوا الاستماع إلى بعضهم بعضاً وأن يحاولوا إغناء تجاربهم الخاصة من خلال الاستفادة من تجارب الآخرين. لقد أضحت الحوار ضرورة العصر، والإيمان بضرورته والعمل لتحقيقه أول شروط سعادة البشرية وسلامتها وأمنها وتقدمها.

وإذا كان الناس من كل الفئات يشعرون بهذه الضرورة الملحة، ويقيمون علاقاته على أساسها فإن واجب المؤمنين من أتباع الأديان والملل، المسلمين والمسيحيين منهم بالأخص، هو أن تكون درجة شعورهم بضرورته أعلى، وإدراكهم لأهميته أكبر، حتى يعملوا من خلاله على تجاوز أسباب الخلاف والصدام ويوجدوا أسباب اللقاء والوحدة وصولاً إلى مواجهة إيمانية مشتركة لتحديات عالم لا يؤمن إلا بلغة الأرقام والحسابات، يؤمن برصيد الثروات والأموال، ويتجاهل رصيد النفوس والضمائر.

وتأتي أهمية الحوار الإسلامي المسيحي بالخصوص من عدة اعتبارات أهمها:

- المكانة الخاصة التي أولاها الإسلام والمسلمون لأهل الكتاب عموماً، والنصارى خصوصاً.
- القرابة الدينية بين الإسلام والمسيحية، يتمثل ذلك في إنتمائهما إلى تراث واحد وهو ما يعرف " بالتراث الابراهيمي " واشتراكهما في الكثير من القيم.
- العلاقات التاريخية المشتركة والتي عرفت توتراً كبيراً وصراعاً عنيفاً لازالت ذاكرة أتباع الديانتين تحتفظ بمخزونه، وهو ما يعمل على تكريس الحساسية ويستدعي العلاج عن طريق الحوار.
- التعايش الإسلامي المسيحي حيث يعيش المسلمون في الغرب في إطار مجتمعات مسيحية، ويعيش المسلمون في بلدان إسلامية.
- إن الإسلام والمسيحية يتقاسمان مصير العالم دينياً، وعليهما تلقى مسؤولية كبيرة وعظيمة أمام الله، تتطلب المشاركة والحوار للأخذ بأيدي الناس إلى برّ الأمان والعالم إلى السلام، لأنه يوشك أن يدمره أهله.

ولكل ماسبق ترايد الاهتمام لهذا الموضوع وخاصة في العقود الأخيرة من القرن الماضي وبداية هذا القرن، فظهرت دراسات منها ماتناول تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ككتاب الإسلام والمسيحية لأليكسي جورافسكي، ومنها ماتناول الحوار الإسلامي المسيحي من حيث بداياته وسياقه مثل كتاب: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة للدكتور سعيد المولى، ومنها

ماتناول نقاط الالتقاء ونقاط الافتراق بين الإسلام والمسيحية مثل كتاب غسان سليم سالم: محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام.

غير أن اللافت هنا، أن هذه الدراسات عني كل منها بجانب من جوانب الموضوع، ومن هنا جاء اهتمامي به في محاولة لجمع ماتشتت منه في ثنايا الدراسات وتنسيقه و تحليله ثم تقويمه وتوجيهه، وذلك من خلال دراسة العلاقات التاريخية بين المسلمين والمسيحيين قديماً من حيث طبيعتها ومسارها ومنطلقاتها، وكذا دراسة عملية الحوار الإسلامي المسيحي في ثوبها المعاصر قصد رصدتها وتحليلها، وذلك بهدف:

- محاولة الإسهام في تأسيس نظرة إسلامية متكاملة تجاه مايعرف بالحوار الإسلامي المسيحي، وبيان مواقف العلماء منه.

- محاولة الكشف عن الظروف والملابسات التي كانت وراء الدعوة إلى الحوار من الجانب المسيحي، بعد قرون من الصدام كان هو صاحب المبادرة إليه.

- محاولة التعرف على تطوّر عملية الحوار من خلال التعرض لأهم اللقاءات، وما طرح فيها من مواضيع للمناقشة والبحث وخلفية ذلك.

- الوقوف على المعوقات الحقيقية التي تقف دون تقدّم عملية الحوار الإسلامي المسيحي.

- الوقوف على التحديات التي تواجه المؤمنين من أتباع الديانتين، والتي تهدّد العالم بأسره والتي تمثل أيضاً مجالاً للعمل المشترك، وآفاقاً كبيرة للتعاون بينهم.

- ولتحقيق هذه الأهداف قمت بصياغة هذه القضية في جملة من الأسئلة رأيت أنها معبرة عنها وهي كالآتي: ما طبيعة العلاقات التي تشكّلت عبر التاريخ المشترك للمسلمين والمسيحيين ؟

- لماذا كان الموقف المسيحي من الإسلام عدائياً، اتسم بالعنف ولا يزال ؟

- ماهي المنطلقات السياسية واللاهوتية لهذا الموقف ؟

- في أي سياق تاريخي جاءت دعوة الكنيسة إلى الحوار مع المسلمين ؟

- ماهو موقف المسلمين من تلك الدعوة ؟

- ماهي أهم المخططات في مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي في العقود الأخيرة ؟

- هل حقق الحوار أهدافه ؟ وماهي المعوقات التي وقفت دون ذلك ؟ وماهي أهم التحديات

المعاصرة للمسلمين والمسيحيين ؟ وماهي آفاق حوارهم ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، ولتحقيق الغرض من تناول الموضوع فضلت أتباع المنهج التاريخي الوصفي، حيث تتبعت العلاقات الإسلامية المسيحية، فوقفت عند أهم محطاتها قديماً وحديثاً، مستعيناً بالمنهج التحليلي في الكشف عن الدوافع والمنطلقات والنتائج. وكان اعتمادي على مجموعة من المصادر أهمها:

- المصادر التاريخية التي تناولت العلاقات الإسلامية المسيحية سواء كانت مؤلفة من طرف مسيحيين أو مسلمين أهمها تاريخ الطبري، الكامل لابن الأثير، السيرة النبوية لابن هشام، تاريخ الحروب الصليبية وليام الصوري، قصة الحضارة ول ديورانت.....

- المصادر الحديثة وهي التي تناولت موضوع الحوار من حيث التأريخ للقاءات ورصد البيانات الختامية لها ومنها البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة التي جمعها جوليت حداد، ودورية دراسات إسلامية مسيحية الصادرة عن المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية الفاتيكان روما...

- أما المراجع فهي كثيرة منها ما تناول موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية ومنها ما تعرض لتقويم عملية الحوار الإسلامي المسيحي مثل كتاب توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين لموريس بورمانس وكتاب عبد الودود شلي حوار الأديان أسراراً وخفائياً وكتاب زينب عبد العزيز الإسلام والفاتيكان...

وقد قسمت هذا البحث إلى خمسة فصول رأيت أنها كافية لتغطية جوانب الإشكالات المطروحة، حيث كان:

- الفصل الأول لبيان أهمية الحوار وضرورته وغايته، وقمت بتقسيمه على ثلاثة مباحث، عرّفت في أولها بالحوار من حيث اللغة والإصطلاح ومقارنته بما يشترك معه من الألفاظ في بعض المعاني، وبينت في الثاني ضرورة الحوار، وفي الثالث بينت موقف الإسلام من حوار الأديان ومن الحوار الإسلامي المسيحي خاصة.

- الفصل الثاني جعلته للحديث عن تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية وقسّمته على ثلاث مباحث تناولت في الأول العلاقة بين الأمبراطورية الرومانية والكنيسة وفي الثاني ظهور الإسلام وصراع الكنيسة معه وفي الثالث تناولت الحروب الصليبية كقمة للصراع بينهما.

- أما الفصل الثالث فتمحور حول بحث المنطلقات اللاهوتية للموقف المسيحي العدائي من الإسلام وقسّمته على أربعة مباحث جعلت أولها لبحث طبيعة تكوين الكنيسة وموقفها من

المخالفين، والثاني لبحث موقفها من الإسلام، أما الثالث فليبحث الدعوة الجديدة إلى الحوار، وفي الرابع تناولت مواقف لعلماء مسلمين من تلك الدعوة.

- وبالنسبة للفصل الرابع فكان للحديث على الحوار الإسلامي المسيحي في العقود الأخيرة وقمت بتقسيمه إلى أربعة مباحث، أما الأول فكان عن الحوار الإسلامي المسيحي قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، أما الثاني فكان عن الحوار الإسلامي المسيحي بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، وجعلت الثالث منها لرصد اللقاءات والمؤتمرات التي عقدت بين الطرفين، وفي الرابع تناولت الحوار بين الفاتيكان، والأزهر، ثم بين الأزهر والكنيسة الإنجيلية.

- أما الفصل الخامس فتناولت فيه معوقات الحوار الإسلامي المسيحي وكذا آفاقه، وقسمته على مبحثين أما الأول فبينت فيه معوقات الحوار الإسلامي المسيحي، سواء ما كان مشتركاً بين الجانبين، أو ما خصّ جانباً منهما فقط دون الآخر، أما المبحث الثاني فجعلته لبحث التحديات المشتركة للديانتين.

ولم يدر في خلدي وأنا أنجز البحث أنني بلغت فيه المقصود أو وقفت عند أقصى الحدود، ولكن - والله يشهد - بدلت ما في وسعي من جهد ويبقى باب البحث فيه مفتوحاً لكل من أراد وهيأت له الأسباب.

وفي الختام أحمد الله تعالى على فضله، بأن هيا لي من الأسباب ما ساعدني في إتمام البحث، وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم فهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

الفصل الأول:

الحوار: تعريفه، ضرورته، موقف الإسلام منه

المبحث الأول: تعريف الحوار.

المبحث الثاني : ضرورة الحوار .

المبحث الثالث: موقف الإسلام من الحوار مع أتباع

الأديان الأخرى.

المبحث الأول: تعريف الحوار:

قبل البدء في الكلام عن الحوار وما يتعلق به، لا بدّ من التعريف بمعنى الحوار ودلالاته اللغوية والشرعية والتفريق بينه وبين المصطلحات الأخرى المقاربة له، كالجدال والمناظرة. **المطلب الأول: التعريف اللغوي:**

الحوار: أصله من الحور (بفتح الحاء وسكون الواو)، وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء قال ليبد:

وما المرء إلّا كالشّهاب وضوئه *** يحور رمادا إذ هو ساطع

والمخاطبة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام، واستحار الدّار: استنطقها، من الحوار الذي هو الرجوع⁽¹⁾

1- ومنه قوله تعالى: " إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ " ⁽²⁾، أي يرجع إلى ربه. وقال في الصحاح : حار يحور حورا وحؤورا : رجع ، والمحر المرجع وقال الشاعر :

نحن بنو عامر بن ذبيان *** والناس كهام محارهم للقبور.

والمخاطبة : المخاطبة، والتّحاور : التّجاوب، ويقال كلمته فما أّحار إلى جوابا، وما رجع إلى حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا أي ما ردّ جوابا. واستحاره أي: استنطقه⁽³⁾.

وأّحار عليه جوابه: ردّه، وأّحرت له جوابا وما أّحار بكلمة، والاسم من المخاطبة، الحوير، تقول سمع حويرها وحوارها⁽⁴⁾.

وقال في القاموس المحيط: والمخاطبة والمخورة الجواب، كالحوير والحوار ويكسر، والخيرة والحويرة مراجعة التّطق، وتجاوزوا تراجعوا الكلام بينهم، والتّحاور التّجاوب⁽⁵⁾.

الحوار هو تراجع الكلام والتّجاوب فيه بالمخاطبة والردّ. وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة

¹ - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب ج4 ، دار صادر، بيروت لبنان ط 3، سنة 2004 ص 217-219 .

² - سورة الإنشقاق: الآية 14 .

³ - اسماعيل بن حماد الجوهري: نأج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، دار العلم للملايين بيروت لبنان، سنة 1984، ج2، ص 638-640.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب ج4، ص 218.

⁵ - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العربي بيروت 1983، ج2 ص16.

مراضع فقط، وهي قوله تعالى: "وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا"⁽¹⁾

وقوله تعالى "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا"⁽²⁾ وقوله عز وجل: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"⁽³⁾.

ويظهر من هذه المواضع الثلاثة أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام والرد فيه، وقد فسّر الطبري قوله تعالى: "وهو يحاوره" في الآيتين بقوله: وهو يخاطبه ويكلمه⁽⁴⁾.

وفسّر الزمخشري قوله: "يحاوره"، أي راجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع وسأله فما أثار كلمة⁽⁵⁾. كذلك ولا يكون من الكلام حواراً إلا إذا ما تحقق فيه قدر من الخلاف في الرأي بين المتحاورين، ويؤيده استعمال القرآن "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ" "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا" فإن السياق يدل على تحقق قدر من الخلاف بحسب الموقف، وعلى هذا فإن بعض الأسئلة والأجوبة التي نعدّها من الحوار ولا يتحقق فيها معنى المراجعة لا تكون حواراً إلا على سبيل التجاوز، ومن ذلك قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"⁽⁶⁾. فالجواب ليس فيه مراجعة، فلا يسمى حينئذ حواراً إلاّ تجاوزاً⁽⁷⁾. أما إطلاقه في السنة فقد جاء في عدّة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلاّ حار عليه)⁽⁸⁾ قال النووي: حار عليه، وهو معنى رجعت عليه، أي رجع الكفر عليه، فباء وحار ورجع بمعنى واحد⁽⁹⁾.

¹ — سورة الكهف الآية 34.

² — سورة الكهف الآية 37.

³ — سورة المجادلة الآية 1

⁴ — أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر بيروت، سنة 1978 ج 15، ص 246 و 247.

⁵ — محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشف عن حقائق غوامض التزيل. ط 2 دار الفكر بيروت 1978 ج 2 ص 484.

⁶ — سورة البقرة: 219.

⁷ — محمد ابراهيم شادي: الحوار في القرآن، خصائصه التركيبية وصوره البيانية. رسالة دكتوراه 1984 جامعة المنصورة (ليست مطبوعة).

⁸ — مسلم بن الحجاج: المسند الصحيح: كتاب الإيمان ج 1، رقم 112، ط 1، دار الفكر بيروت سنة 2000 ص 79.

⁹ — شرح النووي على صحيح مسلم، تحقيق عصام الصباطي دار الفكر بيروت 1981، ج 2، ص 50.

وفي صحيح مسلم أيضاً: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر، يتعوذ من وعشاء السفر، وكآبة القلب، والحوَر بعد الكون، ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال)، ومعنى الحور بعد الكون أي الرجوع من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية⁽¹⁾ وفي البخاري: (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة.....)⁽²⁾ وغير ذلك مما ورد فيه مادة حَوَر، ويظهر في جميع تلك المواضع أن أصل إطلاق مادة (حور) على الرجوع، ومنه الحوار والمخاطبة بمعنى مراجعة الكلام وتداوله كما تقدم . ويتلخص لدينا مما سبق: أن الحوار في اللغة هو الرجوع والمخاطبة.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي:

وفي الاصطلاح: مراجعة الكلام بين طرفين، كما عُرِّفَ بأنه: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب⁽³⁾. أما المجادلة: فهي من (الجدل وهو شدة القتال، وجدلت الحبل أجذله جدلاً إذا شددت قتله فتلاً محكماً ومنه قيل: لزمنا المناقاة الجدلي)⁽⁴⁾. وغلام جادل: مشتد، وجدل الحب في سنبله: قوي. قال الأصمعي: الجادل من ولد الناقة الراشح وهو الذي قوي ومشى مع أمه⁽⁵⁾ والأجدل: الصقر، صفة غالبية، وأصله من الجدل الذي هو الشدة، والمجدالة الأرض لشدةها، وقيل هي أرض ذات رمل دقيق⁽⁶⁾. والجدل: اللد في الخصومة والقدرة عليها⁽⁷⁾. وجادله: أي خاصمه، مجادلة وجدالاً: والاسم الجدل وهو شدة الخصومة⁽⁸⁾.

¹ — أخرجه مسلم في كتاب الحج ج2، رقم 426، ص 979.

² — محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح: كتاب التفسير رقم 4640، المكتبة العصرية بيروت سنة 2003.

³ — الندوة العالمية للشباب الإسلامي: أصول الحوار، الرياض 1992، ص6

⁴ — ابن منظور: لسان العرب ج11، ص 103.

⁵ — اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، ج4، ص 1653.

⁶ — ابن منظور: لسان العرب ج11، ص 104.

⁷ — ابن منظور: المرجع نفسه ص 105.

⁸ — اسماعيل بن حماد الجوهري: مرجع سابق، ص 653.

ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، والجدل مقابلة الحجة بالحجة، المجادلة: المناظرة والمخاصمة، ويقال: إنه لجدل إذا كان شديد الخصام، وإته لمجدول وقد جادل⁽¹⁾. إذا فاصل مادة الجدل في اللغة تدل على الشدة والقوة، ويقصد بالجدل شدة الخصومة، واللُّد فيها مع القدرة عليها.

وأما الجدل في الاصطلاح: فهو دفع المرء خصمه قصد إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة⁽²⁾.

وقال: عرفت المجادلة أيضا: وهي في اصطلاحهم- أي المناطقة- المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم⁽³⁾.

لذا فقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم: تسعة وعشرين مرة، كلها في سياق الـدم، إلا في ثلاثة مواضع:

- أحدها في سورة النحل "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"⁽⁴⁾.

- والموضع الثاني في قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"⁽⁵⁾.

- والموضع الثالث في قوله عز وجل: "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا"⁽⁶⁾.

أما بقية المواضع في القرآن فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل، وإما عدم جدواه أو أنه يفقد شرطا أساسيا كطلب الحق، أو أن يكون بغير علم أو نخود.

ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: "وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ"⁽⁷⁾.

وقوله: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ"⁽⁸⁾.

¹ - ابن منظور: مرجع سابق، ص 105.

² - علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري ط 1 دار الكتاب العربي (دون تاريخ) ص 78.

³ - محمد الأمين الشنقيطي: آداب البحث والمناظرة ج 2، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة 1990 ص 75.

⁴ - سورة الحج: الآية 125.

⁵ - سورة العنكبوت الآية 46.

⁶ - سورة المجادلة الآية 1.

⁷ - سورة الكهف الآية 56.

⁸ - سورة الحج الآية 8.

وقوله عز وجل: "وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ"⁽¹⁾ وغير ذلك من المواضع الكثيرة. أما في السنة فقد أخرج أئمة الحديث في كتبهم ما يدل على كراهية الجدل، إذ إن الأصل فيه الخصومة والشدة، ومن ذلك ما ذكره أبو داود في كتاب السنة قال: باب التهي عن الجدل في القرآن وذكر فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المراء في القرآن كفر)⁽²⁾. وكذا تبويب ابن ماجة في مقدمة السنن: (باب اجتناب البدع والجدل)، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" إلى قوله: "وما يذكر إلّا أولوا الألباب"، فقال: (يا عائشة: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم)⁽³⁾.

ثم ذكر حديث: (ماضٍ قوم بعد هدى إلّا أوتوا الجدل) ثم تلا قوله تعالى: "بل هم قوم خصمون"⁽⁴⁾.

فهذه الأحاديث تدل على معنى الجدل بالباطل واللد في الخصومة، على أنه قد وردت نصوص أخرى أطلقت فيها المجادلة على المحاورة ونحوها. فمن ذلك قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما"، فأطلق الجدل والحوار على شيء واحد وهو مراجعة الكلام بين النبي صلى الله عليه وسلم وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنه.

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم (وما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار.....)⁽⁵⁾

¹ — سورة الأنعام الآية 121.

² — أبو داود: سنن أبي داود: مكتب التربية العربي الرياض 1988 كتاب السنة ج4، رقم 4603 ص 199.

³ — ابن ماجة: مقدمة سنن ابن ماجة مكتب التربية العربي الرياض 1988 ج1، رقم 47، ص 18.

⁴ — ابن ماجة: مقدمة السنن: رقم 48، ص 19.

⁵ — أحمد بن شعيب النسائي: كتب السنن الكبرى تقدم عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت

2001 كتاب الإيمان ج8، رقم 5010 ص 118.

فبيّن الحديث أنّ المجادلة قد تكون في الحق وهي حينئذٍ غير مذمومة. والخلاصة: إنّ الجدل لم يؤمر به ولم يمدح في الكتاب ولا في السنّة على إطلاقه، وإنّما الممدوح منه ما قيّد بالحسنى أو بالحق كما في قوله تعالى: "وجادلهم بالتي هي أحسن" وقوله: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي أحسن" [الحل 125].

وإنّ الأصل في الجدل أنه مذموم ما لم يُقيّد، كما تدل الآيات والاحاديث التي ورد فيها. ومن ذلك تبيّن الفرق بين الحوار والجدل، إذ أنّهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أنّ الجدل فيه لدد في الخصومة وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصّب له. أمّا الحوار فهو مجرد مراجعة للكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصّب ونحوه.

لذا جاء تعبير القرآن الكريم عن مراجعة خولة بنت ثعلبة للرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "تجادلك" لشدة إلحاحها على تمسكها بزوجه، ثم غلب سبحانه وتعالى طريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المراجعة فقال: "والله يسمع تهاووركما" فلقد كان الخلاف بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمرأة، لكنه في جانب المرأة يسمى جدلاً، وفي جانب الرسول عليه الصلاة والسلام سمي حواراً، لتفاوت ما بينهما في طريقة المراجعة، ويشبه ذلك محاورات الرسل مع أقوامهم التي نراها في الحوار القرآني كثيراً، فإنّ الخلاف بين الطرفين متحقق، لكن تفاوت طريقة المراجعة بينهما بحيث تصلح أن تسمى في جانب الرسل حواراً، وفي جانب الأقوام جدلاً، ويطلق على مجموع الكلام بينها حواراً تغليباً لطريقة الرسل في المراجعة⁽¹⁾.

أما المناظرة: فهي من النظر وهو: تأمل الشيء بالعين، وقد نظرت إلى الشيء. والنظر: الانتظار⁽²⁾. والتناظر: التقابل، يقال: تناظرت الداران: تقابلتا، ونظر إليك الجبل: قابلك، والنظر: الفكر في الشيء تقديره وتقيسه منك. فالنظر يقع على الأجسام والمعاني: فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني، والإنظار: التأخير والإمهال. والمناظرة: أن تناظر أحاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتياه⁽³⁾.

¹ — محمد إبراهيم شادي: مرجع سابق، ص 2-3

² — الجوهرى: الصحاح، ج 2 ص 830.

³ — ابن منظور: لسان العرب، ج 5 ص 217.

والتناظر: التفاوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة، والنظير: المثل ويقال: ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة. وناظرت فلاناً أي جعلته نظيراً له⁽¹⁾ أما مادة نظر في القرآن فقد جاءت بمعنى التأمل بالعين كما في قوله تعالى: "انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ"⁽²⁾ وقوله: "تَسْرُ النَّازِرِينَ"⁽³⁾ وقوله: "وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءُ لِلنَّازِرِينَ"⁽⁴⁾ وغيرها كثير.

كما جاءت بمعنى التأخير والإمهال كما في قوله تعالى: "فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ"⁽⁵⁾ وجاءت بمعنى الفكر والتقدير كما في قوله تعالى: "وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ"⁽⁶⁾ وكذلك الآيات التي تأمر بالنظر والتأمل في مخلوقات الله كما في قوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"⁽⁷⁾ وقوله: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ"⁽⁸⁾، ونحوها.

ولم ترد المناظرة في القرآن بمعنى الحوار والجدال، كما استعملت مادتها في السنة بالمعاني التي ذكرت في القرآن الكريم.

والحاصل أن المعنى الاصطلاحي للمناظرة يرجع إلى التظير والمقابل في المخاطبة والكلام، أو إلى النظر بالبصيرة من الجانبين إظهاراً للصواب. وعلى المعنى الثاني فهي ممدوحة، وقريبة من معنى الحوار، إلا أن المناظرة أدل في النظر والتفكير، كما أن الحوار أدل في مراجعة الكلام وتداوله. ومما سبق تبين علاقة - المناظرة والجدل - بالحوار، إذ يشتركان معه في أنهما مراجعة في الكلام ومداولة له بين طرفين، فهما يدخلان في معنى الحوار من هذه الجهة ثم تفرق المناظرة في دلالتها على النظر والتفكير، كما يفرق الجدال في دلالة على المحاصمة والمنازعة.

¹ - ابن منظور: لسان العرب ج5، ص 219.

² - سورة الأنعام الآية 199.

³ - سورة البقرة الآية 69.

⁴ - سورة الأعراف الآية 108.

⁵ - سورة البقرة الآية 280.

⁶ - سورة النمل الآية 33.

⁷ - سورة الغاشية الآية 17.

⁸ - سورة العنكبوت الآية 20.

المطلب الثالث: القرآن الكريم والحوار :

لا اختلاف في أن مهمة رسل الله أن يبلغوا للناس الدين الصحيح، فينتزعوهم من الضلال والجهل إلى المعرفة الصحيحة بالله أولاً، ثم يبينوا لهم الأسلوب الأمثل لتطبيق شريعة الله، سواء منها ما يتعلق بالعبادة، أو الصلة بين الناس بعضهم ببعض أو نحو ذلك. كل رسول حسب ما تتضمنه رسالته من تفاصيل، وفي كل ذلك يكون الرسول صاحب رسالة أو دعوة كل هم أن يقنع الناس بما فيقتنعوا ويطبقوها، وهذا بطبيعة الحال يستلزم الحوار الدائم والمتواصل بينه وبين المرسل إليهم، هو يحاورهم قصد إقناعهم بدعوته، وهم يجادلونه للتمسك بتقاليدهم وكيانهم النفسي والاجتماعي الذي صاغوه من هذه التقاليد. وأقصى ما يحتاجون إليه حينئذ هو الحوار بالمنطق والحجة، ليكون طريقاً إلى الحق.

والقرآن الكريم يهدي الناس، فيما يهديهم، إلى أن يحتكموا إلى الحق، وإلى أن يسلكوا الطريق الصحيح إليه، وهو طريق المحاورة حتى لا يضلوا، فيسلكوا بادئ ذي بدء طريق القوة دون منطق، فيكونون حينئذ قد سلكوا ذات الطريق التي يسلكها سائر الحيوان الأعجم⁽¹⁾. والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه كتاب حوار من الطراز الأول⁽²⁾. إنه يجعل من الحوار سبيلاً لكل قضاياها، ويجعل الأمر في خلافه مع أعدائه ومخالفيه قائماً على الحوار، ولا يجعل من القوة سبيلاً قط إلى التعامل مع المخالفين. وآية ذلك أن الله جلّت قدرته يتخذ من ذاته مثلاً في المحاورة، فلا يفرض قوته وقدرته مع أنه غير مُراجع فيهما، وإنما ييسط حواراً قبل القوة، ويضرب لنا سبحانه أمثلة كثيرة كحواره مع الملائكة حين يتقبل منهم في منطق الحوار، ما يشبه أن يكون إنكاراً أو اعتراضاً عليه، في ظاهر اللفظ كقولهم له سبحانه: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"⁽³⁾ وكحواره مع بعض البشر، مثل حوارهِ مع إبراهيم الذي بدا وكأنه غير موقن بالبعث كل اليقين، فيسأل ربه: "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى"⁽⁴⁾ ولكن

¹ — الدكتور عبد الحليم حفيظ: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة 1995، ص 5.

² — الدكتور يوسف القرضاوي: الحوار الإسلامي المسيحي، مقال نشر في مجلة المسلم المعاصر، العدد 86 ديسمبر 1998، القاهرة، ص 147.

³ — سورة البقرة الآية 31.

⁴ — سورة البقرة 260.

رَبُّهُ لَا يَنْكُرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَحَاوِرُهُ، كَمَا يَنْقُلُ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ "قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي" (١) وكحواره سبحانه مع نوح الذي أحب أن يُنَجِّيَ فلذة كبده من الغرق، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحَاوِرُهُ لِيَبَيِّنَ لَهُ الْحَقَّ وَاضِحًا جَلِيًّا مِنْ غَيْرِ لُبْسٍ: "وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (٢). وكحواره سبحانه وتعالى مع موسى حين ألح على رَبِّهِ في أن يسمح له برؤية ذاته سبحانه، ليزداد يقيناً، كما أراد إبراهيم أن يزداد يقيناً بالبعث، ولينقل لقومه ما كثر إلحاحهم فيه من قولهم: "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (٣). وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَنْكُرُ عَلَىٰ مُوسَىٰ مَطْلَبَهُ، وَإِنَّمَا يَحَاوِرُهُ لِيَمْلَأَ نَفْسَهُ يَقِيناً كَمَا مَلَأَ نَفْسَ إِبْرَاهِيمَ: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَبَجَّلَىٰ رَبُّهُ لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" (٤). وكذلك حواره سبحانه مع إبليس على الرغم من تحدي إبليس ومخالفته وعصيانه الصريح: "ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" (٥).

وهكذا يحاور الله سبحانه وتعالى الملائكة والناس وحتى الشيطان، مع وضوح قوته وقدرته على أن يجعل كل شيء يخضع كما يريد، ولكنه يريد أن يعلم الناس - فيما يعلمهم - أن يلجأوا إلى المحاوره قبل لجوئهم إلى القوة، مهما ملكوا من وسائلها، ومهما كان خلاف مخالفتهم، وكأنه سبحانه يقول: هل تملكون من القوة أكبر مما أملك؟ ومع ذلك فإني أتخذ

١ - سورة البقرة 260.

٢ - سورة هود: الآية 45-46-47.

٣ - سورة النساء: الآية 153.

٤ - سورة: الأعراف: الآية 143.

٥ - سورة: الأعراف: الآية 16.

المحاورة والحجة سبيلاً إلى تبيان الحق وإقراره، وهل تبلغ مخالفة مخالفيكم ما بلغه خلاف إبليس إيتاي؟ ومع ذلك اتخذ الحوار معه سبيلاً.

دلالة الحوار وفلسفته في الإسلام:

الأصل في الحوار في الإسلام وفي الثقافة العربية الإسلامية، هو المراجعة في الكلام وهو التجاوب، بما يقتضي ذلك من رحابة الصدر، وسماحة النفس، ورجاحة العقل، وبما يتطلبه من ثقة و يقين وثبات، وبما يرمز إليه من القدرة على التكيف والتفاعل، والتعامل المتحضر الراقى مع الآراء والأفكار جميعاً. بهذا المعنى يتأكد لدينا، بما لا يرقى إليه الشك أن الحوار أصل من الأصول الثابتة للإسلام ينبع من رسالته وهديه، ومن طبيعة ثقافته وجوهر حضارته.

إن الحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية، المستندة أساساً إلى مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه السمحاء، وهو موقف فكري وحالة وجدانية، وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية، وهي سمة التسامح، لا بمعنى التخاذل والضعف بوازع من الهزيمة النفسية، ولكن بمعنى الترفع عن الصغائر، والتسامي على الضغائن والتجافي عن الهوى والباطل⁽¹⁾.

وفي ظل هذا المفهوم فإن فلسفة الحوار في الإسلام تقوم على الأسس الآتية :

أولاً - الإيمان بالله ورسوله وكتابه، وتقوى الله، والتواضع مع الله، والثقة في نصره، والاعتزاز بالحق والتشبث به، يقول تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"⁽²⁾.

فاستشعار العزة والامتلاء بما يحفز إلى الثبات في مواقف الحق، وإلى عدم الركون إلى الباطل أو الانهزام أمامه، ويقويان في النفس إرادة البقاء الحر الكريم، فالمؤمن عزيز النفس قوي الجانب حر الإرادة، لا يقبل الهوان والذل والصغار لا في دينه ولا في نفسه.

ثانياً: التأدب بأخلاق الإسلام، والتأسي بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابه الكرام، في الحوار، ومخاطبة الناس من منطق الإيمان بوحدة النوع الإنساني أولاً، والمجادلة بالتي هي أحسن ثانياً: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"⁽³⁾.

¹ - عبد العزيز بن عثمان التويجري : الحوار من أجل التعايش دار الشروق ط1، 1998 ص 14.

² - سورة المنافقون الآية 8.

³ - سورة النحل الآية 125.

واقتران الحوار بالعقل يؤكد على معنى سام في سياق تحديد مدلول اللفظ، ذلك أن الحوار العاقل، هو الذي يقوم على أساس راسخ ويعتمد وسيلة سليمة، ويهدف إلى غاية نبيلة.

وعلى الرغم من الطبيعة المتشعبة للحوار فهو ليس مناظرة ولا مجادلة، ولكنه صيغة جامعة وأسلوب من أساليب التقارب والتجاوب، والتفاعل، ولذلك فإن الحوار الجاد الهادف هو ذلك الذي يتصف بالحكمة التي هي جماع العلم والمعرفة، ومن عناصرها الفطنة وحسن الفهم والإدراك والتنبه والوعي، والبحث عما هو أحسن وأفضل من وسائل التخاطب قال تعالى:

"وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"⁽¹⁾ فالحوا هنا قرين الوسيلة الحسنة، وهذا الارتباط هو من قبيل ارتباط المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب. وبهذا المعنى فإن الحوار وسيلة من وسائل الدفاع عن مصالح الأمة، وطرح قضاياها وإبراز اهتماماتها وإسماع صوتها وتبليغ رسالتها⁽²⁾.

المبحث الثاني: ضرورة الحوار:

المطلب الأول: التنوع بين البشر:

يبلغ عدد سكان كوكب الأرض أكثر من ستة مليارات نسمة، وهؤلاء ينقسمون إلى حوالي ستة آلاف جماعة أولية. وبينما لا يزيد عدد بعض أعضاء هذه الجماعات عن عدد سكان قرية صغيرة، فإن بعضها الآخر يتكون من ملايين البشر. ويرى بعض الباحثين⁽³⁾ أنه من غير المفيد إدراج كل جماعة صغيرة لا يتجاوز عدد أعضائها مجموعة محدودة من الأفراد في هذه القائمة، خاصة وأن أغلب هذه الجماعات ليس لها سوى وزن هامشي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلاد التي تعيش فيها، وأنه من الأفضل - بالمقابل - التركيز على الجماعات الكبيرة من حيث العدد والنفوذ والأهمية، وقد أحصى عدد هذه الجماعات بـ: 575 جماعة أولية كبيرة موجودة في عالم اليوم⁽⁴⁾. ومن الممكن أن يتضح لنا كم هو مذهل مدى التنوع الموجود في العالم، إذا نظرنا إلى عدد اللغات المعروفة في العالم

¹ - سورة العنكبوت الآية 9.

² - عبد العزيز بن عثمان التويجري مرجع سابق، ص 15.

³ - د/ جمال عبد الجواد: التسامح، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2000 ص 15.

⁴ - جمال عبد الجواد: التسامح ص 16.

باعتبار أن اللغة تُعدُّ أبرز ما يميز الجماعات المختلفة عن بعضها. ففي عالم اليوم يوجد حوالي ستة آلاف لغة، وأكبر هذه اللغات من حيث عدد المتحدثين بها هي لغة المندارين، وهي اللغة المعروفة باللغة الصينية، ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغة أكثر من مليار نسمة. وفي مقابل الجماعات اللغوية الكبرى في العالم، فإن الأغلبية من اللغات الموجودة في عالم اليوم تكاد تكون لغات مجهولة، بل إن العديد من اللغات التي تحدث بها جماعات صغيرة العدد باتت معرضة للانقراض، إذ يقدر الخبراء أن الأطفال المولودين لآباء يتحدثون واحدة من بين أكثر من نصف عدد اللغات الموجودة في العالم، لم يعودوا يتحدثون لغة آبائهم، كما أن عدد المتحدثين بحوالي مئتي لغة (200) من اللغات الموجودة في العالم أصبحوا لا يزيدون عن مائة فرد. وتُعدُّ لغات السكان الأصليين في أستراليا وأمريكا أكثر اللغات تعرّضاً للتهديد⁽¹⁾. وبغض النظر عن كل هذه التفاصيل فإن الحقيقة الواضحة هي أن كل سكان العالم ينقسمون إلى عدد كبير من الجماعات الأولية، وأن عدد هذه الجماعات يفوق بكثير عدد الدول الموجودة في العالم، بحيث يمكن أن نستنتج بثقة أن أغلب دول ومجتمعات العالم هي نوع من المجتمعات التعددية، أي تلك التي تعيش فيها جنباً إلى جنب جماعات أولية مختلفة متنوعة ومتعددة.

فالتنوع في خصائص البشر لا يقتصر على ذلك الحادث على مستوى الكون، ولكننا نجده في داخل الدول نفسها. فالعالم لا يعرف سوى عدد محدود من الدول التي تتسم بتجانس سكاني كامل، أما أغلب دول العالم فإنها تتميز بتنوع سكانها إلى عدد من الجماعات الأولية، حتى أن حوالي المليار نسمة، أي 6/1 من سكان العالم تقريباً، هم عبارة عن أقليات عرقية أوروبية، تعيش في مجتمعات ينتمي أغلب أبنائها إلى جماعة أولية مختلفة. وقد يبلغ التنوع والتعدد في مجتمع من المجتمعات ذروته، حتى لا تكاد تستطيع أن تطلق على أية جماعة تعيش فيه صفة الأغلبية، في الوقت الذي لا يتسم فيه المجتمع بما يكاد يكون تماثلاً وتجانساً تاماً سوى في عدد قليل جداً من المجتمعات.

¹ — جمال عبد الجواد: التسامح ص 18.

المطلب الثاني: التنوع مصدر ثراء للحياة:

إن البشرية اكتشفت منذ فترة-ليست بالقصيرة-فائدة التعاون بين الجماعات المختلفة، وبالتالي فإنها عرفت فائدة التنوع والتعدد. وتقوم الفكرة، وراء اختيار التعاون كسبيل لتحسين ظروف البشرية، على الاعتقاد بأن كل فرد وكل جماعة بشرية لديها ما تسهم به في مسيرة التقدم الإنساني العريضة، وأن الإثراء الناتج عن تبادل المعارف والأفكار والتقاليد، يمكن أن يؤدي إلى تعظيم وتعميم الفائدة على الجميع، كما أن من شأنه أن يجعل الحياة الإنسانية أكثر خصباً وامتاعاً. وحتى دون دراية منا وتفكير كثير في مزايا التنوع البشري، فإنّ كلاً منا يشعر بقيمة وفائدة التنوع، ويستفيد منه في حياته اليومية، وربما كانت هذه هي الحكمة من الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (1).

بل إنّ التنوع والتعدد، الذي أراده الله سنة وطبيعة للحياة البشرية، لم يقتصر على المعارف وطرائق الحياة، وإنما امتد ليشمل الدين والإيمان بالله، قال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (2). أكثر من هذا فإنّ الله اعتبر التنوع بين البشر من آيات قدرته وعظمته قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ" (3). فالله اختار للناس التنوع لأنّ في هذا خيراً لهم، وربما كانت الحكمة وراء ذلك التنوع هي تأكيد أهمية التلاقح بين الثقافات والتعاون بين الناس، وكأنّ من يقاومون هذا التنوع و التعدد الإنساني يحاولون فرض ثقافة واحدة أو دين واحد على البشرية، إنّما لم يدركوا حكمة الله في خلقه، أمّا هؤلاء الذين يتمنون أن يجدوا أوطانهم وقد تخلصت من الأقليات الدينية أو العرقية التي تعيش فيها، فإنّهم ودون قصد يعملون على حرمانها من عوامل الإغناء والإثراء التي تزيد فرصتها في التقدم.

المطلب الثالث: التنوع، التسامح و الحوار:

إنّ العيش في ظل عالم أو مجتمع يتسم بالتعدد والتنوع، يحتاج إلى وجود قدر وافر من التسامح بين الفئات الاجتماعية المختلفة، أي من القدرة على الحوار والتفاهم وقبول الآخر برغم اختلافه، بالإضافة إلى التحلي بقدر كبير من العدالة والموضوعية عندما يتعلق الأمر بفرد

¹ — سورة الحجرات الآية 13 .

² — سورة يونس الآية 99.

³ — سورة الروم : الآية 22.

أو جماعة يختلفون في اللون أو العرق أو الثقافة أو الدين. لكن التسامح والقبول في حدّ ذاتهما قد لا يكونا كافيين لتحقيق الغرض المطلوب، فالواحد منا قد يتسامح مع من أخطأ في حقّه، باعتبار ذلك نوعاً من السّمو الأخلاقي، والتّعالى على صغائر الأمور والانشغال بها، بالضبط كما تتسامح مع الحماقات التي يرتكبها الأبناء في مرحلتى الطفولة والمراهقة، باعتبارها ناتجة عن نقص الخبرة والنضج. فالتسامح من هذا النوع ينطوي على معنى استصغار الآخر، وهو أساس غير كافٍ لقيام علاقات تقوم على التكافؤ والمساواة بين الشعوب والجماعات.

فالآخر العرقي أو الدّيني ليس شخصاً ناقص الأهلية أو النضج، لكي تتسامح معه كما تتسامح مع المخطئين من الأطفال والمراهقين، ولا يخفى أنّ مثل هذا التّوع من التسامح يقوم على ادعاءٍ ضمني بالتفوّق على الآخر، فهو بالتّالي نوع من التسامح لا يخلو من عنصرية كامنة يمكن لها أن تتفجر وتطفو إلى السطح في أي لحظة إذا توافرت الظروف المناسبة⁽¹⁾. أما التسامح وقبول الآخر الذي يمكنه أن يكون أساساً متيناً للتعايش في سلام، والتعاون بين الشعوب والجماعات، فإنّه التسامح القائم على أساس من الاحترام، احترام خصوصية الآخر ودينه وثقافته وحضارته، وهو يقوم على الإيمان بأنّ التّنوع إنّما هو أمر طبيعي وبأنّ القضاء عليه هو مطلب مناقض لطبيعة الكون والبشر، وأنّ كل شعب أو جماعة بشرية قد طورت ثقافتها في ظل ظروف معينة، ساهمت في تشكيل هذه الحضارة أو تلك، وأنّها بالتّالي تستحق الاحترام. إذا فالهمم في التسامح وقبول الآخر، على أساس من الاحترام، هو الإيمان العميق بمبدأ المساواة بين كل الشعوب والجماعات والثقافات والأديان، بحيث لا يصبح من حق أي شعب أو أبناء أية ثقافة ادعاء الأفضلية والتفوّق على أي شعب أو ثقافة أخرى، وأنّ ينعكس هذا الإيمان في السلوك تجاه الآخر المختلف.

المطلب الرابع: الحوار كبديل عن الصراع:

يشهد عصرنا الحاضر نزاعات وصراعات عديدة في مناطق كثيرة من العالم، ولعل ما شهدته البشرية في القرن الماضي من نزاعات مسلحة يُعدّ أشدّ ما عرفه الإنسان عنفاً ودمويةً على مدى تاريخه الطويل، وتلك مفارقة غريبة فالمفروض أنّ الإنسان كلّما ارتقى في سلم التقدّم والحضارة كلّما كان أكثر ميلاً إلى السّلام والاستقرار، وأكثر بعداً عن العنف

¹ - جمال عبد الجواد: التسامح ص 52.

والإرهاب. لكن ما حدث ويحدث في عالم اليوم هو في اتجاه مخالف تماماً، فالواقع أن النزاع في حد ذاته ليس بالأمر الجديد على الإنسان، إنه قدم قدم الإنسانية ذاتها، وسيظل هذا الصراع بشكل أو بآخر إلى نهاية العالم. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الإنسان، حيث إنه مخلوق من مادة وروح وكل منهما له طبيعة مختلفة، إنها ثنائية حادة في الإنسان تبحث عما يقيم التوازن بينها، فالتناس في حاجة إلى ما يعصمهم من الوقوع في دائرة النزاع والشقاق⁽¹⁾.

وبدا واضحاً أمام الغالبية من المهتمين بإنهاء الصراع المحتدم بين البشر، والذي تعددت صورته ودرجات حدته، آخرها التراشق بالأسلحة المدمرة، دون تحقق النصر النهائي لأي طرف، أن الطريق الوحيد المتبقي هو التحاور بهدف إيجاد حد أدنى من الأسس المشتركة للتعايش السلمي، ونبد العنف وصولاً إلى قاعدة ثابتة مشتركة ينطلق منها الجميع لتحقيق المزيد من الاتفاق وتضييق الهوة بينهم.

لقد عقد العديد من المؤتمرات والتدورات الدولية والإقليمية، وألفت الأبحاث والمقالات على اختلاف أحجامها ودرجات موضوعيتها، غلب على بعضها الطابع السياسي والحضاري العام، وعلى بعضها الآخر الطابع الديني المتخصص أو الخطابي⁽²⁾ وقد تراوحت الآراء في الإفراط في التفاؤل أو التشاؤم، حول مدى جدية واحتمالات نجاح هذا الاتجاه في التقريب بين وجهات النظر، والمنطلقات الدينية والحضارية المختلفة والتي وصلت في بعض الجوانب إلى حدّ التعارض الصريح، حيث تعاظم أثر التراكمات التاريخية السلبية في تعميق الهوة بين أطراف الحوار. ولا عجب في ذلك في عصر أصبح فيه العنف والعنف المضاد أمراً عادياً لا يخلو منه مجتمع، يتفجر فجأة ويخرج عن السيطرة بسرعة وبشاعة مذهلة، مما يفسر الرغبة القوية الحالية في الحوار على أنها نتيجة يأس الإنسان المعاصر من الوصول إلى أهدافه المشروعة، أو غير المشروعة عن طريق العنف، ولم تكن في أغلب الأحيان نتيجة لميل أو تطور طبيعي حميد في ذهنية الإنسان المعاصر، إلا أن هذه الرغبة القوية تستحق، مهما كانت أسبابها، كل تأييد ودعم ومشاركة إيجابية علّها تؤتي أكلها بعد حين.

¹ — د/ محمود حمدي زفروقي: الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة مصطفى ماهر وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية القاهرة 2002 ص 79.

² — السيد محمد الشاهد: المسيحية والإسلام من الحوار إلى الحوار دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة (د.ت)، ص 5.

المطلب الخامس: الحوار و روح العصر:

إنّ الإنسان، في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وجد نفسه في واقع جديد تماماً، حيث إنّهُ على مدى أجيال قليلة تشكّلت حوله مختلف العلاقات والروابط الاقتصادية والثقافية وتنامت وفق متواليّة هندسية، إنّنا اليوم لا نتموّن من أرضنا البسيطة التي نحوزها وحسب، وإنّما نتموّن من الأرض كلّها، لنحصل على احتياجاتنا المتزايدة بسرعة.

فالمجتمع البشري أصبح في هذا العصر مسكناً واحداً ولهذا فإنّ الحوار أصبح ضرورياً للغاية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ الوضع الحالي للعالم وضع مخيف، نتيجة الزيادة الرهيبة المتصاعدة في أعداد السكان، والعولمة الاقتصادية المتوحشة، والتلوث البيئي المتنامي، والإرهاب الدولي العالمي المدمر، والخوف من حدوث حرب عالمية تآكل الأخضر واليابس، لأجل ذلك فالجميع مطالب بإعادة النظر في طرائق تفكيره، والبحث عمّا يمكن تقديمه لإعادة وضع الأمور في نصابها الصحيح، وتصحيح الخلل الذي أصاب موازين العدالة الدوليّة، ومن هنا يظل الحوار العاقل الطريق الأمثل من أجل التوصل إلى حل المشكلات الرّاهنة، ولتوسيع آفاقنا الفكرية من خلال الالتقاء مع الآخرين.

لقد أصبحت الحدود بين البلدان غير منيعة، لا تحول دون الاتصالات البشرية، ولا توقف التأثير بين الناس والتعايش الثقافي، إنّ عولمة الحياة الاجتماعية تكذب في واقع الأمر أيّ تصورات وهمية حول الثقافة (الخاصة) المضادة (للاثقافة الآخرين)، ففي عصر تتعاظم فيه أكثر فأكثر التفاعلات الاقتصادية، الاجتماعية، والمعلوماتية بين الشعوب، فإنّ مسألة وحدة الإنسانية في تلاوينها المختلفة وأشكالها المتعدّدة، وبكل خبراتها الثقافية التاريخية تتطلب حلولاً عملية واقعية. والحضارة الكونية (العالمية الناشئة) والتي تتميز بالتعددية العقائدية تضع الناس أمام حقيقة واضحة هي ضرورة البحث عن مؤسسات وهيئات جديدة من أجل التقارب والاتفاق والتفاهم المتبادل، وهو الأمر الذي يمهد للحوار الذي هو من ضرورات العيش، فالحوار بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والحكومات وبين المؤسسات والمنظمات، هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية، فالعالم في هذا الطور من التاريخ يحتاج إلى الحوار منهجاً ووسيلة.

المبحث الثالث: حوار الأديان وموقف المسلمين من الحوار مع أتباع الديانات، ومع المسيحيين خصوصاً.

المطلب الأول: حوار الأديان:

إنّ المدنية التكنولوجية، التي تسود العالم اليوم، قد جلبت إليه شبكة من العلاقات في شؤون الاقتصاد و الاتصالات والمعلومات، ولكنّ هذه الاتصالات قد أدّت من ناحية أخرى إلى مشكلات خطيرة في مجالات البيئة والتّظيم الاجتماعية والثقافية، وهذه المشكلات نتجت بالدرجة الأولى عن مفاهيم مغلوطة وخاطئة:

- مفهوم شاذّ عن الطبيعة التي هي ملك لنا، ومن حقّنا استعمالها دون أن نسيء هذا الاستعمال إلى درجة أنّنا لا نرى فيها سوى خزّان للثروات ومزبلة للفضلات.
- ومفهوم عن العلاقات الإنسانية مبني على فردانية جامحة، لا تولّد سوى مجتمعات تنافس الأسواق والتّصادم والعنف.

- ومفهوم مؤسّس عن المستقبل الذي سوف لا يكون سوى امتداد للحاضر، ونموّه الكميّ دون هدف إلهي، أو أي شيء يتجاوز هذا الأفق ليعطي معنى لحياتنا ويخبرنا دروب الهلاك⁽¹⁾. إنّه تهديد لأمن واستقرار البشرية، بل تهديد لوجودها على هذا الكوكب الأرضي، ومن أجل هذا كله يتحتم أن تعالج هذه القضايا في إطار حوار ديني حضاري، هذا الحوار الذي يمكن أن يبرز القواسم المشتركة لكل القيم الهامة.

إنّه من واقع تقدير المخاطر التي تهدّد البشرية، في هذه المرحلة من التاريخ، يصبح الإيمان بالتعايش بين الأديان بصفة خاصة، ضرورة من الضرورات الملحة التي يفرضها الحفاظ على سلامة الكيان الإنساني، ويمليها الحرص المشترك على البقاء الحر الكريم فوق هذا الكوكب. كما أنّه في ظل الظروف الرّاهنة تتضاعف أهمية رسالة الأديان السّماوية وتتعاظم مسؤولية المؤمنين في الدفع بالحوار نحو الاتجاه الصحيح⁽²⁾. فالأديان تتفق كل الاتفاق في اعتبارها السلوك الأخلاقي شرطاً ضرورياً لنمو الإنسان الفرد، ونمو وتطور المجتمعات البشرية. إنّ الفهم الصحيح للأديان ولدورها الرائد في النهوض بالبشرية يمكن أن يسهم بشكل كبير في

¹ - روجي غارودي: وعود الإسلام الدار العالمية بيروت ط1 1984، ص 22.

² - د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش ص، 94.

العثور على حلول مناسبة لمشكلات التطور الاجتماعي والسياسي والعلمي والتكنولوجي، كما يقود الحوار بينها إلى تعاون بناء يمكن من مكافحة العديد من الظواهر السلبية لعالمنا. إن نظرة سريعة على عصرنا الحاضر تبين أننا حيث ما توجهنا نجد ازدياداً مستمراً في تراجع القيم الأخلاقية، وهذا أمر ليس بمستغرب إذا علمنا أن دور الأديان أيضاً ازداد تراجعاً في عالم اليوم. إننا نواجه اليوم، أجيالاً جديدةً وعوالم جديدة لم يكن لها ذنب في أي ظلم وقع في العصور السابقة، كما أنها لا تمتدح أيضاً على الأعمال الإيجابية للأجيال السابقة، وإن ما تحتاجه منا الأجيال الجديدة أن نتيح لها الفرص المناسبة في بناء حياة مثمرة، وأن نساعدنا في الوصول إلى ذلك.

إنه بدل من أن يتنازع أتباع الأديان فيما بينهم، فإن الواجب يحتم عليهم أن يسعوا في الحوار والتأكيد على جوانب الاتفاق، وأن يكونوا على وعي بذلك، فهذه الجوانب المشتركة تمثل منطلقاً للتعاون البناء بين الأديان⁽¹⁾، وإن هذا يحتاج إلى تبني فكرٍ إيجابي يسعى إلى بناء مستقبل مشرق ينعم فيه العالم بالسّلام. ذلك أن الأديان تستطيع أن تسهم إسهاماً حقيقياً في إقامة السّلام إذا ما أنعمت النظر في مهمتها الحقيقية ونهضت بها، ولكنها إذا استمرت في المشاحنات والخصومات المتبادلة فيما بينها، لن تتمكن من تأدية دورها الأصيل ألا وهو العمل من أجل الخير والسّلام.

إنه بالإمكان تفادي الكثير من الموت والخراب والدمار- في الحاضر والمستقبل- إذا تمّ الالتزام بما دعت إليه الأديان من وفاق وسلام بين البشر، ولكن هذا متوقف أيضاً على الدور الإيجابي لرجال الدين ورؤسائه ومن هنا دعا الأستاذ HANS KUNG هانس كونج هؤلاء إلى الاضطلاع بمسؤولياتهم: "إذا اضطلع رؤساء كل الديانات الكبرى، وحتى الصغرى، بمسؤوليتهم اليوم وأبدوا رأيهم بعزم في السّلام ومحبة القريب واللّاعنف والمصالحة والغفران، فأَيُّ وقعٍ لعملهم على عالم الغد؟ وأي وقع يكون لهم إذا تكاتفوا من واشنطن إلى موسكو ومن القدس إلى مكة ... من أجل إيجاد حلول للصراعات بدلاً من إشعال الفتن؟ فعلى أديان العالم اليوم أن تقرّ بمسؤولياتها مع الآخرين من أجل السّلام في العالم، لذا لا ننفلك من ترددات موقفنا: لا

¹ د/ عمود حمدي زقروق : الإسلام وقضايا الحوار، ص 92.

سلام بين الأمم من دون سلام بين الديانات، أي لا سلام عالمي من دون سلام ديني. فالحوار البناء الذي يشاد بين الديانات من أجل السلام في العالم هو مهم للاستمرارية⁽¹⁾. إن السلام بين الأديان يمكن من الوقاية من النزاعات المحتملة، كما يمهد الطريقة لحل النزاعات القائمة. ولهذا فرؤساء الديانات مدعوون للعمل على الهداية الجماعية بتغيير الذهنيات والأوضاع والمواقف، وعليهم جميعاً أن يتدعوا وسائل المصالحة وتعابيرها⁽²⁾. إن الناس في حاجة ماسة إلى هداية الدين والقادة الدينية خاصة، لكي يعصموا من الوقوع في دائرة النزاع والشقاق، وبالنظر إلى استمرار وجود النزاع في الأرض فسيظل الإنسان في حاجة إلى هداية الدين.

المطلب الثاني: الإسلام والحوار مع أتباع الأديان:

لقد جاء الإسلام والعالم مليئ بالتعصب والتعالي، فسن مبدأ جديداً هو التجاوز والتسامح، ولقد طبق رسول الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا المبدأ مع: - المشركين: لقد حاور القرآن الكريم المشركين على تنوعهم وتعدد مذاهبهم، وحاول إقناعهم عن طريق دعوتهم إلى النظر والتأمل في الكون وفي أنفسهم، حتى يتوصلوا إلى الحق ويسلموا لله رب العالمين، ولقد قص القرآن قصصاً كثيرة لأنبياء الله مع أقوامهم⁽³⁾، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده كيف يتعاملون مع المعارضين والرافضين والمخاربيين المعتدين وفي شتى الأحوال والظروف، كاشفاً أساليب متنوعة في التعامل مع هؤلاء والصبر على إيذائهم، وكثيراً ما كانت ترد تلك القصص في أسلوب المحاورة، حتى يتعلم الناس من سبقهم كيف يتخذون هذا الأسلوب وسيلة تأتي في المقام الأول، ولقد ظلت الدعوة

¹ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، تعريب جوزيف معلوف وأورسولا عساف المكتبة البولسية لبنان ط1998، ص166.

² - محمد الطالبي: الإسلام والحوار (ضمن وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين) المكتبة البولسية بيروت ط1992، ص9.

³ - مجموعة من الباحثين: شالوم: أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة ترجمة محمد عبد العظيم علي دار الدعوة الإسكندرية (مصر) 1995. ص7.

الإسلامية ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، لا تعرف من الوسائل إلا وسيلة الحوار والصبر على أذى المشركين.

- اليهود: قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة (يثرب) فوجد بها يهوداً ومشركين، فلم يتجه فكره إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة أو العداء⁽¹⁾، بل قبل وجود اليهود والوثنية وعرض على الفريقين يعاهدهم معاهدة الند للند، على أن لهم دينهم وله دينه. لقد جاء في وثيقة العهد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين اليهود ما يثبت إثارة المسلمين لمبدأ التعايش مع الآخر، من أجل خير الجميع.

- إن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة.
- إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم وابتغى، وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان واحداً منهم.
- إنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.
- إنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحَدَّثاً (مجرماً) ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة.

- إن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.
- إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين.
- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.
- إن يهود بني النجار والحارث وساعدة وبني جشم، وبني الأوس... مثل ما لليهود بني عوف.
- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة:
- إن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.
- إنه لم يَأْثَمْ امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.
- إن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.
- إن بينهم النصر على من دهم يثرب.
- إن من خرج آمن، ومن قعد بالمدينة آمن، إلا من ظلم وأثم وأن الله جار لمن بر واتقى⁽²⁾

¹ مجموعة من الباحثين : شالوم : أسس مشتركة للحوار، ص 8.

² عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت 1981 ص .

إن هذه الصحيفة تنطق برغبة المسلمين في التعايش الخالص مع يهود المدينة، لنشر السكينة والأمن والسلام في ربوعها والوقوف ضد المعتدين ومديري الفتن آتياً كان دينهم، وقد نصت بوضوح لا يقبل التأويل أو المغالطة على أن حرية الدين مكفولة. فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف، بل تكاثفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة⁽¹⁾. إن هذه الوثيقة لدليل على أن الإسلام لا يضيق بجوار الأديان الأخرى، وعلى أن المسلمين لا يريدون أن ينفردوا في العالم بالبقاء والتسلط على من خالفهم. إن الإسلام يؤكد بهذا أن التعايش الإيجابي بين الشعوب والأديان، وكذا التنافس في الخيرات شرط مبدئي لقيام مجتمع عادل تصان فيه حقوق الإنسان، وتحترم كرامته، كما يؤكد أيضاً أن تعددية الشعوب، وتفرّد كل منها بخصوصياته الدينية أو اللغوية لا يشكل عقبة في طريق خير الإنسانية وتوحيد جهودها.

المطلب الثالث: حوار المسلمين والمسيحيين:

إن الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، هو حديث عن تاريخ طويل من العلاقات بين ديارتين وحضارتين، يتشابك فيه السياسي والثقافي مع الاقتصادي والديني، ويصعب - والحال هذه - الإحاطة بكل أطراف الموضوع وبمجالاته المتعددة والمعقدة، لكن سيكون قصارى الجهد المبذول هو إبراز هذا الحوار في إطار تلك العلاقات المتنوعة بين الديانتين، في فترة تمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن، وعلى امتداد مسرح مكاني للأحداث يمتد من الشرق إلى الغرب.

والحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، تاريخاً وواقعاً وأفاقاً، له مبرراته فمن الناحية التاريخية عرفت علاقات العالم الإسلامي بالعالم المسيحي شيئاً من التميز، فقد ساد النزاع والصراع والصدام الدامي، حيث استمر حوار السلاح والحرب بينهما أكثر من أربعة عشر قرناً، وسادت روح العداء بين أتباع الديانتين ولا زالت، ولم يعرف العالم الإسلامي بعد مشركي العرب عداءً أكبر من عداء الرومان المسيحيين، الذي ارتدى على مرّ الأحقاب والأزمنة لباس الدين، ذلك لأن الكنيسة ورجالها أخذوا على عاتقهم مهمة:

¹ - محمد الغزالي: فقه السيرة دار القرآن الكريم بيروت 1980، ص 144.

- تصوير الإسلام في صورة العدو المخيف، الذي يهدّد مصالح الغرب المسيحي ذي الروح التوسّعية الاستعمارية، فقد أدركت منذ البداية أنّ الإسلام رسالة عالمية.

- حشدها للقوى المعادية للإسلام وجمعها لإيقاف انتشاره، كما حدث في حياة الرّسول (غزوة مؤتة، تبوك)، وكما حدث في الحروب الصليبية، و أيضاً تحالفها مع المغول عندما فشل الغرب المسيحي في القضاء على الإسلام بعد حروب صليبية قاسية.

- تعاونها مع الاستعمار الغربي، في إطار المصالح المتبادلة والمشاركة، للقضاء على البنى السياسية والاقتصادية والثقافية للإسلام، ليسهل عليها فيما بعد إيجاد الفراغ المناسب للامتداد فيه وتنصير المسلمين، ومن ثمّ تدعيم وتكريس الوجود الاستعماري المسيحي بشكل مؤبّد.

واليوم ورغم وجود جهود ملحوظة لتهذبة صيحات الحرب القديمة، والاعتراف بالدور الفاعل والمؤثّر للإسلام، في توجيه وصياغة الحياة لأكثر من خمس سكان العالم، ممن يدينون بالإسلام، فهناك جهود أخرى مضادة مرتبطة بالجهود السابقة بطريقة غير مفهومة، لا تزال تسيئ فهم الإسلام بوعي، أو بغير وعي، كما تنظر إلى العالم الإسلامي نظرة سلبية، ففي الغرب المسيحي اليوم اتجاه ملحوظ يرى في العالم الإسلامي العدو المحتمل بعد انهيار العدو السابق، الذي كان يتمثل في الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية، قبل تحولها عن الماركسية⁽¹⁾.

فالتنظير للصراع المسيحي الإسلامي كثر أصحابه وأتباعه، فعلى مستوى التنظير جاءت مقولة صموئيل هانتينغتون، حول صدام الحضارات، لتضع الإسلام موضع العدو المقل في مواجهة الغرب المسيحي: "إنّ المواجهة القادمة للغرب تتّجه بلا ريب لتأتي من العالم الإسلامي"⁽²⁾، ويستطرد هانتينغتون بيان الوجهة المقبلة للعالم المسيحي الغربي في صراعه الدائم مع الشعوب والأمم والحضارات الأخرى قائلا: "إنّ الجماعات الإسلامية المتطرّفة تشكّل خطراً دائماً، ولا تزال قلة ترى أو تقول يتعيّن النظر إلى الإسلام كخطر أخضر، وكبديل محتمل ذاتي التدمير للتنافس بين الشرق والغرب"⁽³⁾.

ومن جهة الأتباع، أو من جهة التنزيل لنظرية الصّدام الجديدة مع الإسلام، ظهرت عدّة حركات دينية في العالم الغربي المسيحي، في بريطانيا أولاً ثم في الولايات المتحدة الأمريكية

¹ - د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، ص 28.

² - صموئيل هانتينغتون: الإسلام والغرب آفاق الصدام ترجمة مجدي شرشر مكتبة مدبولي القاهرة، ط1 1995 ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص 70.

وغيرها، وهي التي تطلق على نفسها اسم المسيحية الإنجيلية، وأهمها وأقواها ما يعرف اليوم بالحركة التدييرية (DISPENSATIONALISM)، وهذه الحركة تؤمن بأن في الكتاب المقدس وخاصة في سفر حزقيال، سفر الرؤيا، وسفر يوحنا نبوءات واضحة حول الوصايا التي يحدد الله فيها كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته:

- عودة اليهود إلى فلسطين.

- قيام إسرائيل.

- وقوع محرقة "هرمجدون".

- انتشار الدمار والخراب وقتل الملايين.

- ظهور المسيح المخلص.

- انتشار السلام في مملكة المسيح مدة ألف عام.

وهذه الحركة تضم أكثر من أربعين مليون أمريكي، وكان من بين أعضائها الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان، وتسيطر هذه الحركة على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأمريكية وبصورة خاصة التلفزيون، ويشارك قادتها كبار المسؤولين الأمريكيين، في البيت الأبيض والبنّاغون ووزارة الخارجية، في صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية، خاصة ما تعلق منها بالصراع العربي الإسرائيلي الصهيوني، وأتباع هذه الحركة يؤمنون بأن اليهود هم شعب الله المختار، وبحق اليهود في التّجمع في أرض فلسطين، وهذه الحركة هي الأساس الرّاسخ للصّهيونية المسيحية⁽¹⁾.

وهذا ما يفسر التّوجه الأمريكي المسيحي الغربي الجديد إلى محاربة الإسلام وإضعاف أتباعه، ولا يمكن تصوّر حجم وقوّة هذه الحرب ووسائلها وأدواتها وقناتها، إلّا إذا عرفنا أنّ ما سخرته الولايات المتحدة الأمريكية من إمكانات ووسائل بعد الحرب العالمية الثانية لمحاربة المعسكر الشيوعي (الإتحاد السوفييتي سابقاً والدول الاشتراكية التابعة له)، أصبح اليوم مسخراً في حرب الإسلام. إنّ العالم اليوم يشهد حركة عدااء واسعة ضد المسلمين، فعلى حدود الإسلام الشماليّة يتزايد تفجّر الصراع بين المسيحيين والمسلمين بما في ذلك مذبحه البوسنة وسرايفو، والعنف الذي استفحل بين الصّرب والألبان، والعلاقات المتوتّرة بين البلغارين

¹ - جريس هالسل: النبوة والسياسة ترجمة محمد السماك، دار الشروق القاهرة سنة 1998، ص12.

والأقلية التركية، والقتال المتواصل بين الأرمن والأذريين، والعلاقات المتوترة بين الروس ومسلمي آسيا الوسطى، والقوات الروسية المنتشرة في القوقاز.

لكن هناك كنائس مسيحية أظهرت نبذها لهذه الأفكار، التي اعتبرت دخيلة على المسيحية ومقوضة لأركانها الإيمانية⁽¹⁾. والحوار والتعاون مع هذه الأطراف واجب وضروري، لكشف الزيف في تلك الدعاوى والأفكار، والعنف والإرهاب التي تلحقه تلك الحركات بالأبرياء.

والألفية الثالثة، التي استقبلتها البشرية بأمال عريضة، تفرض على المخلصين من أبنائها تحدياً يتمثل في ضرورة اغتنام وتدبر الفرص والإمكانات المتاحة أمامهم، الأمر الذي يفتح مجالاً للأمل في تعاون خلاق مع الآخرين لبذل أقصى الجهد من أجل إيجاد حلول للصراعات العديدة في عالمنا المعاصر، أو على الأقل من أجل الحد من هذه الصراعات. ومن هنا فإنّ الوضع الراهن يفرض على المسلمين أن يبذلوا جهوداً جبارة لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين في كلّ مكان في العالم، وبكلّ الوسائل المتاحة لتصحيح الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة والأحكام المسبقة التي توجد في أذهان الآخرين. ولا يزال الحوار مع الآخرين طريقاً مفتوحاً أمام المسلمين للتعريف بالإسلام وشرح قضاياها، وإبراز الوجه الحضاري له، الذي لا يعرف الإرهاب والتطرف. هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك العديد من الأسباب والمبررات التي تجعل المسلمين يُقبلون على الحوار مع هذه الأطراف المسيحية التي تبدي التوايا الحسنة، ومن بينها:

1- المكانة الخاصة للتصاري في الإسلام:

إنّ القرآن الكريم وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - يُخصّان التصاري بمكانة عظيمة، فقد اعتبرهم من أهل الكتاب وفي ذلك تمييز لهم إلى جانب اليهود عن أتباع الديانات الأخرى، وبالاختصاص الديانات الوثنية، وكوّنهم من أهل الكتاب يعني أنّ الله خصّهم دون غيرهم برسالته، وباعتبار أنّ ذلك الاسم كما ذكر الرازي: "من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله"⁽²⁾. واعتبار التصاري من أهل الكتاب "أيضاً" تأكيد على

¹ — جريس هالسلي: النبوة والسياسة، ص 13.

² — محمد فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ط 2، دار الكتب العلمية طهران (دوت) ج 8، ص 85-86.

ما يجمعهم، هم واليهود مع المسلمين، من وحدة في الدين وانتماء إلى الملة ذاتها ملة إبراهيم⁽¹⁾. ولا يقتصر القرآن الكريم على اعتبار التصاري من أهل الكتاب، بل يخصهم بمكانة أحسن من مكانة اليهود، رغم موقفه الحاسم من عقائدهم، والتي خصص لها القرآن مجالاً أهم من المجال المخصص للرد على عقيدة اليهود، لقد ورد قوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرَهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"⁽²⁾.

2- الجوامع المشتركة:

يجمع الإسلام والتصرائية جوامع كثيرة، يمكن أن تكون أرضية للتعاون والتعايش والحوار المثمر بين أتباع الديانتين، فالإسلام يبحث بالدرجة الأولى عما يجمع، سواء داخل دائرة علاقة المسلم بالمسلم، أو دائرة علاقة المسلم بيني جنسه من بني الإنسان، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "ومن أدب الحوار، التركيز على نقاط الاتفاق مع الآخر وليس على نقاط الاختلاف، بمعنى أنك عندما تحاور غيرك، فإن التركيز يكون على مواضع الاتفاق بينك وبينه وأن تبحث عن المشترك بينكما ولذلك يقول الله تبارك وتعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُتِرِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنُحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"⁽³⁾. فنحن مشتركون في أننا نؤمن بكتب منسلة من عند الله وعلى الرغم من أن الوحدة عندنا ليست كالوحدة عندهم إلا أننا لا ندخل في تفاصيل هذا الخلاف وحسبنا هذا الإجمال"⁽⁴⁾.

3- القضايا المعاصرة والمهموم المشتركة:

يعترف العقلاء من كلا الجانبين، الإسلامي والمسيحي، بأن الظروف قد تغيرت تغيراً تاماً، وأن القضايا والمشكلات المعاصرة اليوم تتطلب حلولاً واقعية، وجهوداً مشتركة للتغلب عليها، يقول الدكتور يوسف القرضاوي: "إن كل ما نريده هو البحث عن قضايا

¹ - سلوى بالحاج صالح العايب: المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) ط1،

دار الطليعة لبنان 1997، ص 120.

² - سورة المائدة الآية 82.

³ - سورة العنكبوت الآية 46.

⁴ - يوسف القرضاوي: مرجع سابق، ص 144.

وهموم مشتركة بيننا وبينهم (المسيحيين)، فالعالم اليوم يموج بنزعات مادية، ونزعات إلحادية، ونحن وهم نؤمن بالله، وينبغي على المؤمنين بالله أن يقفوا صفاً واحداً في مواجهة هذه النزعات والفلسفات المادية والإلحادية، وبالإضافة إلى النزعات الإلحادية والمادية، هناك أيضاً الدّعوات إلى التّحلّل والإباحية الجنسية التي يشهدها الغرب، والشّدوذ الجنسي والزّواج بالمثل، وكلها دعوات يجب أن نقف معاً ضدها، رغم تأييد بعض الطوائف المسيحية لها، ولعل ما حدث في المؤتمر العالمي للسكّان الذي عقد بالقاهرة، وما حدث في مؤتمر المرأة في بكين يؤكد إمكانية التحالف الإسلامي المسيحي ضد الإباحية⁽¹⁾.

والعالم الإسلامي اليوم يعرف أكثر من أي وقت مضى أنّ المشكلات الجديدة في عالمنا المعاصر، والتي تُعد على درجة قصوى من الأهمية للمجتمعات الإسلامية، وبخاصة مشكلات التّكيف المتعلّق بالآ عشوائي مع المدنية والتكنولوجيا الحديثة، لم يعد يمكن أن يُحلّ عن طريق إجابات العلماء القدامى الذين لم يعرفوا عنها شيئاً، كما لا يمكن أن تُحلّ عن طريق التّقليد الأعمى للأفكار الغربية الحديثة، التي يريد العالم الغربي المسيحي فرضها بشكل أو بآخر في إطار عولمة الثقافة المسيحية الغربية.

والعالم الغربي المسيحي يعرف الآن ضرورة التعايش، واستمراره في عالم اليوم يتطلب التعاون الحقيقي مع العالم الإسلامي، الذي يشكّل سكانه أكثر من خمس سكان العالم، ويحتفظ في باطن أرضه بمعظم الثروات المعدنية والتّفطية في العالم.

4- التواجد الإسلامي في الغرب المسيحي:

خرجت البلدان الإسلامية التي وقعت تحت الاستعمار الغربي المسيحي (فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، إسبانيا)، منهكة في جميع الميادين والمجالات، وشكّلت ظروفها الاقتصادية المتخلفة أهمّ عامل دفع لأبنائها، خاصة الفئة الشّابة منهم، نحو بلدان الشمال التي استعمرتهم من قبل، حيث كانت ولا زالت تتمتع بتوافر عوامل الجذب، من مناصب شغل وارتفاع الأجور نسبياً، ورخاء العيش، كما كان التّقدّم العلمي والتكنولوجيا، في السّنوات الأخيرة، عامل جذب للشباب المتعلّم من البلدان الإسلامية نحو الغرب المسيحي.

¹ - يوسف القرضاوي: الحوار الإسلامي المسيحي، ص 140.

وكانت نتيجة هذه الهجرة أن تواجد بالغرب عدد كبير من المسلمين، فسن ناحية التعداد البشري يقدر عدد المسلمين في دول الإتحاد الأوربي أكثر من عشرين مليوناً ويمثلون 6% من مجموع السكان، فليس بالإمكان اليوم تجاهل هذا الوجود وهميشه، لا من جهة التعداد ولا من جهة الفاعلية⁽¹⁾. إن هذا التواجد الإسلامي أصبح بالنسبة للغرب المسيحي مصدر قلق وإزعاج، ولهذا أصبحت هذه الجالية تتعرض لبعض المضايقات، وتمييزها على أساس انتمائها الديني، وهذا الوضع يحتاج إلى جهد مشترك إسلامي مسيحي، في إطار الحوار من أجل التعايش، حتى تتعامل تلك المجتمعات مع الجاليات المسلمة بانفتاح، وتستفيد منها رافداً ثقافياً يمكن أن يقدم شيئاً للحياة هناك.

ولكي يؤدي هذا الحوار ثماره التي نرجى منه، فضل العاملون في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، أن يكون في مجال القضايا المشتركة بين الديانتين، بدل مناقشة وبحث نقاط الاختلاف (العقائد)، وذلك بهدف:

- تقديم إجابات دينية مشتركة عن الأسئلة التي تعترض أتباع الديانتين، والتي أفرزتها تفاعلات الحياة المعاصرة.

- تكوين جبهة إيمانية مشتركة، قصد مجابهة التحديات المعاصرة، التي تشكل تهديداً مستمراً للحياة والأديان والأخلاق.

- لقد كانت نتائج حوار السلاح، وحوار اللاهوت وخيمة على أتباع الديانتين، جرّت الخراب والدمار، والخوف ووحده الحوار، على مستوى الحياة والقيم المشتركة، القادر على أن يوفر الأرضية الآمنة لعالم كعاملنا تتقاده الأمواج، وهو يبحث عن بنية جديدة مختلفة تماماً من حيث القيم التي تحكمه وتسيره.

وقبل الخوض في الحديث عن حوار الحياة، الذي اتفق أتباع الديانتين، الإسلام والمسيحية، على دخول مجاله سنقف على الأنواع الأخرى من الحوار، والتي حكمت علاقات المسلمين والمسيحيين طيلة قرون، ونقصد بها حوار السلاح وحوار اللاهوت.

¹ - زكي الميلاد و علي الريموني: الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل ط 1 دار الفكر بيروت، 1998 ص 55.

الفصل الثاني:

طبيعة العلاقات الإسلامية المسيحية من ظهور الإسلام
إلى اليوم.

المبحث الأول: الإمبراطورية الرومانية والديانة المسيحية.

المبحث الثاني : ظهور الإسلام.

المبحث الثالث: الحروب الصليبية قمة الصّراع بين المسيحيين
والمسلمين.

تمهيد:

إنَّ الصِّراعَ العالميَ اليومَ بينَ الإسلامِ والغربِ المسيحيِّ يُحتاجُ في فهمه وإدراك أبعاده الدِّينيةِ والسِّياسيةِ والاقتصاديةِ و الثقافيةِ، إلى تفكيكِ عناصره وإعادة تركيبها من جديد، لتتضح صورة هذا الصِّراع وما يحكمها من منطلقات وخلفيات. إنَّ الإمبراطورية الرومانية تحالفت منذ ستة عشر قرناً مع ديانة ذات أصل شرقي، بعد أن خرجت الأخيرة عن أصلها وطابعها الأول، وأعادت تشكيل نفسها بكيفية تسهّل عليها العبور إلى ما وراء حدود الذهنية اليهودية في تلك الفترة، إنّه التحالف الروماني المسيحي، تحالف السِّياسة التوسّعية مع الدِّيانة التي كانت ولا تزال تبحث عن فضاء وعن أتباع في كل مكان وبشّى السَّبيل والوسائل، إنّه تحالف ضمّ طرفين من روح واحدة، وهو تحالف يُحتاج منّا إلى تسليط الضوء عليه لفهمه والكشف عن دوافعه ونتائجه، لأنّ مثل هذا العمل يسهم بشكل كبير في فهم تاريخ الصِّراع بين هذا التحالف من جهة ورسالة الإسلام العالمية من جهة أخرى.

المبحث الأول: الإمبراطورية الرومانية والدِّيانة المسيحية:

المطلب الأوّل: ميلاد الإمبراطورية الرومانية:

دخلت روما في صراع مع قرطاج، فاضطرت إلى احتلال بعض الأراضي المجاورة لإيطاليا بغية اتخاذها خطوط دفاع أولى، وقد ولد هذا الطمع احتلال المزيد من الأراضي، فكان أن استولت على سردينيا وصقلية، كما فتحت إسبانيا، وأثناء هذا توسّعت قدرة روما البحرية، ونظراً لتحالف قرطاج مع مملكة مقدونية، سعت روما الانتقام من هذه المملكة فهزمتها واحتلت أراضيها، وقاد هذا إلى احتكاك روما بالدولة السلوقية ومن جديد انتصرت روما على السلوقيين واحتلت سوريا، وعندما حاولت التوسّع شرقاً اصطدمت بالإمبراطورية الفارسية، فتوقفت أعمال التوسع الروماني مع نهر الفرات، واتجهت روما نحو مصر فاستولت عليها، وكان قبل هذا بفترة طويلة قد أخفق حنبعل (الملك القرطاجي) أمام الجيوش الرومانية، واحتلت روما الشمال الإفريقي. وعليه نجد مع نهاية القرن الأول لما قبل الميلاد، أن روما قد

أصبحت صاحبة السيادة على شواطئ البحر المتوسط، ونتيجة لذلك غدا هذا البحر بحيرة رومانية⁽¹⁾.

وقد ترتب على التوسع الروماني نتائج خطيرة جداً:

- 1- أصبحت روما سيدة للجزء الأعظم من العالم المتحضر في أوروبا وآسيا وإفريقيا وممتلكة للميراث الحضاري لهذا العالم بكل محتويات ذلك الميراث الثقافية والدينية والفكرية والاجتماعية.
- 2- كما أن توسع روما منحها ثروات لا تقدر، وكان لذلك الثرى العديد من الآثار الإيجابية والسلبية على المجتمع الروماني، حيث انحطت الأخلاق وتأثرت الإدارة وأصابها خلل كبير⁽²⁾. ومن الملاحظ في تلك الفترة أن روما لم تتوسع داخل الأراضي الأوربية إلا بقدر ما فرضه الأمن والدفاع، وكان لهذا التصرف نتائج في غاية الخطورة فعلى أيدي شعوب أوربية غير متحضرة أو المتروكة تماماً، تم فيما بعد إسقاط روما والقضاء عليها.

الإمبراطورية تبحث عن ديانة في مستوى توسعها:

في أيام أغسطس (أول إمبراطور روماني) حققت روما أمجاداً عسكرية طائلة، لكن المجتمع الروماني، الذي كان صاحب السيف، عانى آنذاك من الانحلال الفكري والعقائدي والديني وذلك للأسباب التالية:

- 1- ما كان يدين به الرومان ويمارسونه هو مجموعة طقوس وثنية مغلقة، ذات ينابيع وأصول متعددة، لذلك لم تشكل ديانة ذات كتلة من العقائد مع تصور كامل للكون وفلسفة متميزة للحياة. لهذا لم تعد كافية لم تابعة الأخذ بها سيما في ظل حكم إمبراطوري ودولة إمبراطورية لها الصفة الأومية لامتداد رقعتها عبر قارات العالم القديم.

¹ - وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية تقدم د/ سهيل زكار دار الفكر بيروت 2003، ج1 ص9.

² - وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ص 9.

- 2- بالإضافة إلى أن المدارس الفلسفية من رواقية⁽¹⁾ إلى أفلاطونية محدثة⁽²⁾ لم تستطع تقديم الزاد الروحي لشعوب الإمبراطورية وتلبية الحاجات المطلوبة.
- 3- كانت فلسطين مستعمرة رومانية، فكان من مكونات الإمبراطورية الرومانية دينياً، الديانة اليهودية، لكن هذه الديانة بانغلاقها على أتباعها (عرقياً)، وبما لحقها من انحرافات عجزت عن القيام بدور فعال داخل المجتمع الروماني.
- و على هذا نجد أن المجتمع الروماني كان يعاني من الفراغ الروحي الديني، بقدر ما يعانيه من خلل وتدهور وانحراف وفساد.

ميلاد الديانة المسيحية:

في أيام أغسطس ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في بلدة بيت لحم، ولد كما هو مجمع عليه في كافة المصادر من أم عذراء⁽³⁾ لم يمسهها بشر قط، وهناك خلاف كبير وحاد بين المصادر حول الحياة المبكرة وحتى المتأخرة، لا، بل إن الخلاف يشمل كافة مراحل حياته، ومهما يكن من حال، فإنه من المؤكد أن رسالة المسيح كانت طوال حياته عبارة عن حركة داخل الديانة اليهودية، وكانت محلية ضيقة⁽⁴⁾ على أنه بعد نهاية المسيح نقلت الحركة إلى العمل العالمي، ذلك أن المسيح المتعقب غدا أقوى نفوذاً مما كان عليه وهو حي، وكان لعمليات نشر المسيحية انعكاسات متميزة على عقائدها تبعاً للزمان والمكان، وخلال قرون ثلاثة اضطرت المسيحية أولاً للرومنة بشكل عام، وللتأقلم مع كل شعب وبلد بشكل منفرد⁽⁵⁾ فكان نتيجة هذا، قيام عدة مذاهب مسيحية متصارعة، وقد كان الصراع بين

¹ — الرواقية: مذهب إحدى المدارس اليونانية الكبرى، سميت كذلك نسبة إلى الرواق الذي كان يدرس فيه مؤسسها زينون الكيتومي، وهي صورة من صور مذهب وحدة الوجود، واشتهرت بأرائها الأخلاقية.

² — الأفلاطونية الحديثة: مذهب أفلوطين وأتباعه، وأساسه القول بالواحد الذي صدرت عنه الكثرة، وفيه نزعة حديثة تمزج الدين بالفلسفة، قال بهذا المذهب أتباع مدرسة الإسكندرية من القرن الثالث إلى القرن السادس الميلادي.

³ — القرآن الكريم، والأنجيل الأربعة المعترف بها من طرف الكنيسة (متي، لوقا، مرقس، يوحنا).

⁴ — ول ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية القاهرة (دت) ج3 من المجلد 3 ص 299.

⁵ — شارل حنيو: المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة د/ عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية صيدا لبنان (دت) ص 121.

المذاهب المسيحية واحداً من أهم مميزات العصور الوسطى وصانعاً لأحداثها، وسوف تكون محاولة التخلص من هذا الصراع الداخلي بصراع آخر مع جبهة خارجية.

إن المعلومات عن تاريخ المسيحية في عصورها الأولى، وانفصالها عن اليهودية، معلومات غير مؤكدة، على أنه رغم كل هذا نجد من الثابت أن الفضل الأول في تنظيم المجتمعات المسيحية الأولى ووضع قواعد اللاهوت، وما يرتبط به من مبادئ المسيحية الخلقية مع أمور الحياة والموت وغير ذلك، يعود إلى القديس بولس وهو أيضاً المنظم الأول للكنيسة وباني أركانها الأولى.

لقد كان المسيح المتغيب وليس الحي هو الذي أثر على شاؤول اليهودي، لقد كان شاؤول مُلماً بكثير من اللغات ومجيداً لها، وفهم المسيحية واستوعب فكرتها، وأخرجها من نطاقها المحلي (فلسطين) ووضعها في الإطار الأممي للإمبراطورية الرومانية⁽¹⁾. لقد قدم شاؤول للعالم الروماني عقيدة جديدة فيها من اليهودية منطلقات العقيدة والطقوس، وفيها أركان مفاهيم الأفلاطونية المحدثة، لقد كانت تركيبة جديدة. ولم تعارض الإمبراطورية الرومانية وسلطانها في البلاد أعمال التبشير بالمسيحية، فسمحت بحرية المعتقد، ولكن ما لبث أن تبدل الحال، وقام عداء شديد بين المسيحية والسلطات الإمبراطورية مما دفع المسيحيين إلى العمل بالسر وممارسة طقوسهم سرّاً، وكونوا تجمعات سرّية، ولا شك أنه كان لذلك أكبر الآثار على تطور العقيدة المسيحية وأدخل عليها الشيء الكثير من العقائد والأفكار الغريبة عن أصولها.

ومع ازدياد انتشار المسيحية ازدادت أعمال التشكيل الرومانية بشتى السبل من تعذيب وتحريق، ولاقت المسيحية في أوائل تاريخها الرواج بمختلف طبقات المجتمع الروماني، خاصة بين الطبقات الدنيا، وكان انتشار المسيحية ثم انتصارها إنهاءً للعصور القديمة الكلاسيكية وبداية عصور جديدة يتحكم بها الفكر الكنسي هي التي تسمى بالعصور الوسطى. وأثناء انتشار المسيحية لم تكن السلطات الرومانية تشكل التحدّي الوحيد لهذه الديانة، بل أضيف إليها العقائد المختلفة واستطاعت المسيحية خلال صراعها مع هذه العقائد أن تكتسب منها الشيء الكثير وتبنّاه، وهكذا فإن عمليات الصراع هذه ماكانت إلا عمليات بناء للعقيدة المسيحية وتكوين لها، رغم أن هذه العمليات أبعدها كثيراً عن أصولها الأولى⁽²⁾.

¹ - سويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ط 1999، ص 178-179.

² - وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 13.

ومع نهاية المائة الثالثة للمسيح غدت الديانة المسيحية بأتباعها داخل الإمبراطورية الرومانية قوة ليس فقط لا يمكن قمعها، بل لا يمكن تجاهلها والاستهانة بها، وقد دفع هذا العديد من الساسة الرومان إلى إعادة النظر في مواقفهم منها ومن أتباعها، وخاصة عند قيام الأزمات والحروب الأهلية.

المطلب الثاني: التحالف الروماني المسيحي:

في سنة 313 أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير مرسوماً في ميلانو، عُرفَ فيما بعد باسم "مرسوم ميلانو" اعترف فيه بالمسيحية كشرعة قانونية يحق لأتباعها ومعتنقيها إعلانها وممارسة طقوسها بكل حرية مثلها مثل بقية الديانات، وكان لهذا المرسوم أبعاد الآثار، وقد اعتبر فيما بعد التاريخ الذي انتهت فيه العصور الكلاسيكية القديمة، وبدأت به العصور الوسطى⁽¹⁾. ولاشك أن الإمبراطور قسطنطين أدرك موازين القوة في عالمه فأراد أن يتحكم بهذه الموازين لصالح أهدافه التوسيعية الاستعمارية، وشهدت المسيحية منذ أوائل عهودها خلافات مذهبية عميقة جداً كان لها آثارها الخطيرة على تاريخ أوروبا والشرق معاً.

وتعلقت كبريات مشكلات الخلاف بطبيعة عقيدة الثليث والعلاقة بين الأقانيم الثلاثة: "الأب" "الابن" "روح القدس". مع طبيعة السيدة مريم العذراء، أم عيسى، وبدأت المشكلات تستفحل عندما حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة في الاسكندرية حول تحديد العلاقة بين "الأب" و"الابن" وهما أريوس و أثناسيوس، فقد قال أريوس: إنَّ العقل والمنطق يحتمان وجود الأب قبل الابن، وإنَّ المسيح الابن مخلوق للأب فهو على هذا أدنى منه منزلة، ولا يمكن أن يعادله بالمكانة والقدرة، أو بالحري، إنَّ المسيح مخلوق لا إله عظيم وحيد متفرد بطاقاته وصفاته، وإذ لم يكن الحال كذلك، فإنَّ المسيحيين يكونون غير مؤمنين بعقيدة التوحيد، ويعبدون أكثر من إله⁽²⁾.

وردَّ أثناسيوس بقوله: إنَّ فكرة الثالوث المقدس تقضي أن يكون الابن مساوياً للأب ومن العنصر نفسه تماماً ودونما خلاف في القدرة والمكانة⁽³⁾. كل هذا برغم تميّزهما عن بعضهما، ويبدو أن

¹ — وليام الصوري: مرجع سابق، ص 14.

² — القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول ج 4 دار الثقافة القاهرة 1981، ص 19.

³ — المرجع نفسه، ص 630.

أثناسيوس ومن قال بفكرته كانوا يدركون أنَّ المسيحية تعتمد بأصولها على ما صيغ حول المسيح وما مُنحه من مكانة علوية، وكان أيَّ اتجاه للتقليل من هذه المكانة سيؤدي إلى إضعاف المسيحية وإلغاء مسوغاتها، ونتج عما سبق أن اشتد الجدل بين أريوس وأثناسيوس مما أدى:

1- أن تشييع الناس إلى فريقين، يؤيد كل فريق منهما واحداً من الرجلين، ووصل الجدل إلى درجة النزاع بين الطرفين.

2- خشي الأباطور قسطنطين أن يؤثر هذا الخصام على وحدة الإمبراطورية فتدخل لفضه.

3- حاول قسطنطين أن يحلّه عن طريق المبعوثين أولاً، ثم وجه الدعوة للطرفين وإلى رؤساء الكنائس المسيحية والأساقفة إلى عقد مؤتمر ديني عام في نيقية [إزنيق حالياً في تركيا] سنة 325م، فكان أول مجمع مسكوبي [عالمي] من نوعه في التاريخ.

ولم يخالف النجاح هذا المجمع، الذي حضره حوالي 2048 من رجال الدين المسيحي، وترأس الإمبراطور بنفسه جلسات المجمع، مع أنه لم يكن معتمداً ومازال وثنيّاً، وانفض الحاضرون دون الوصول إلى نتيجة، ثم جمع قسطنطين حوالي ثلاثمائة وشكل منهم مَجْمَعاً مصغراً، وأدان المجتمعون أريوس وقرروا إعدام أتباعه⁽¹⁾ وأصدروا صيغة عقيدة، كان مما جاء فيها:

"نؤمن بإله واحد وهو الأب القادر، صانع الأرض والسماء، وكل شيء ظاهر وغير ظاهر، ونؤمن برب واحد وهو يسوع المسيح ابن الربّ الوحيد، أوجده قبل أن يوجد المخلوقات ربّ الأرباب، نور الأنوار، إله الآلهة، الذي وحد ولم يخلق، وهو من طينة الأب نفسها، الذي خلق كل شيء⁽²⁾ ورغم استمرار الخلافات فإنّ الأثناسيوسية حققت مع الأيام المزيد من المراجيح، ليس في الغرب فحسب، وإنّما في الشرق أيضاً ويرجع ذلك إلى:

1- أن السلطات الرومانية حرصت على تنفيذ قرارات مجمع نيقية، فلاحقت أتباع أريوس، وأحرقت كل الكتب التي تقول بمقولة تخالف ما اتفق عليه في المجمع المذكور⁽³⁾ حرصاً منها على توحيد المذاهب المسيحية لتوحيد الإمبراطورية ثقافياً ودينياً وسياسياً.

2- وقد يطرح السؤال الآتي:

¹ - ويلز: مرجع سابق، ص 179.

² - د/ القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، ص 631.

³ - المرجع نفسه: ص 631.

لماذا لم تدعم السلطات الرومانية مذهب أريوس مع أنه أكثر أتباعاً، حتى بين الحاضرين من رؤساء الدين المسيحي في مجمع نيقية، وكذا موافقته للعقل والمنطق، وصحة نسبه إلى دعوة المسيح؟
وفي رأيي أنّ الجواب على هذا السؤال يكون كالآتي:

أ- إنّ الدّعوة المسيحية المستحدثة [رأي أناسيوس] تقوم على المقولات التي تشكّلت حول طبيعة المسيح الإلهية وما يتصل بها من صلب وفداء وقيامة، وكان التقليل من شأن تلك الصّيغ أو إبعادها سيؤدي حتماً إلى إضعاف الدعوة المسيحية، وإلغاء أسباب وجودها أصلاً.
ب- إنّ ترجيح مذهب أريوس، كان معناه، العودة بالدعوة المستحدثة إلى أصلها، أي إلى الاعتقاد في بشرية المسيح ورسالته إلى اليهود، أي إلى الطابع المحلي للمسيحية في إطار الذهنية اليهودية المنغلقة على نفسها، والتي لا تملك ما تقدمه للإمبراطورية الرومانية من عوامل الوحدة للمحافظة على استقرارها.

وهكذا لم تمض سنوات حتى توطدت قدم المسيحية وأصبحت الدّيانة الرّسمية للإمبراطورية، أما الأديان المنافسة لهذا فقد اختفت أو اندمجت في غيرها بسرعة خارقة، وفي 390م أمر تيودوسيوس الأكبر بتدمير تمثال جوبيتر سرايس بالإسكندرية، ولم يعد هناك كهنة ولا معابد في الإمبراطورية الرومانية إلاّ كهنة المسيحية ومعابدها، منذ بداية القرن الخامس الميلادي فصاعداً⁽¹⁾
لقد كان قسطنطين الأكبر شديد الإخلاص لدولته كما كان شديد الذكاء، كان شديد الانشغال بضعف الإمبراطورية الداخلي وإصلاح عيوبها، فلجأ إلى ما للمسيحية من قوة تماسك وروح معنوية راجياً أن يبتعث بهما روح الإمبراطورية المتداعية، كما قرّر أن ينشأ عاصمة جديدة دائمة مقرها بيزنطة على مضيق البوسفور وراح يُعيد بناء المدينة من جديد، ويطلق عليها اسماً جديداً هو القسطنطينية تيمناً باسمه، ولكنه قضى نحبه قبل أن يتم عمله⁽²⁾. ومات قسطنطين وهو مكبّ على إعادة تنظيم إمبراطوريته، وسرعان ما احترق القوط⁽³⁾ الغربيون حدودها، وتقدموا حتى أوشكوا أن يبلغوا القسطنطينية، فهزموا

¹ — ويلز: موجز تاريخ العالم ص 181.

² — وليا الصّوري: تاريخ الحروب الصليبية ج 1، ص 15.

³ — القوط: Goths شعب جرمانى هاجر إلى اسبانيا وجنوب فرنسا وعرفوا بالقوط الفرنسيين، أما الذين استقروا بايطاليا وشمال بحر الأدرياتيك منهم القوط الشرقيون.

الإمبراطور فالنسر عند أدرنة، ثم عقدوا تسوية، استقرّوا بموجبها في منطقة بلغاريا الحالية مثلما استقرّ الوندال في بانونيا⁽¹⁾.

في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأكبر (379-395م)، ظلت الإمبراطورية متماسكة من الناحية الشكلية، وكانت جيوش إيطاليا وبانونيا تحت قيادة استيليكو الوندالي بينما كان على رأس جيوش جزيرة البلقان أларيك وهو من القوط ولما مات ثيودوسيوس عند نهاية القرن الرابع، ترك من ورائه ولدين فناصر أларيك أحدهما وهو [أركاسيوس] بالقسطنطينية وظاهر استيليكو أحاه الآخر هو [نوريوس] بإيطاليا، ومعنى ذلك بعبارة أخرى أنّ أларيك ومنافسه اسيليكو اقتتلا على الأمبراطورية متخذين من الأميرين ألعية في أيديهما وما لبث أن زحف أларيك على إيطاليا، واستولى على روما بعد حصار قصير سنة 410م⁽²⁾. وبعد هذا زحف الوندال، الذين كانوا قد استقرّوا في بانونيا على إسبانيا حوالي 425م، مخترقين الولايات التي تقع في طريقهم فوجدوا بإسبانيا القوط الغربيين الوافدين من جنوب روسيا، كما وجدوا قبائل ألمانية أخرى، كما أبحر الوندال من إسبانيا إلى شمال إفريقيا سنة 429م، بقيادة جنسريك، واستولوا على قرطاجنة [444م] وأنشأوا أسطولاً وما لبثوا أن أحرزوا السيادة البحرية ثم استولوا على روما وانتهبها سنة 455م، ثم راحوا يسيطون سيادتهم على كورسيكا وصقلية وسردينية ومعظم جزر البحر المتوسط الغربي⁽³⁾. ولكن لم يخرج القرن التالي حتى استردت القسطنطينية جميع الأقطار من الوندال في عهد جيستينان الأول.

كما كان القرن الخامس هو قرن عظمة الهون، وهم شعب أصفر مغولي جاز أوربا حتى وصل إيطاليا، وكان أول من بلغها جماعات من الجند المرتزقة كانوا يقبضون أعطياتهم من استيليكو الوندالي، ولم يمض وقت طويل حتى وقعت في قبضتهم بانونيا التي كان الوندال قد استقرّوا بها، ونشأ بين الهون في الربع الثاني من القرن الخامس الميلادي زعيم حربي عظيم هو أتिला، الذي لم يكن حكمه قاصراً على الهون وحدهم، بل شمل أيضاً خليطاً من القبائل الجرمانية، وقد راح الهون يغرون وينهبون دون أن يستقروا في مكان. وظل أتिला بضع سنوات يضغط على ثيودوسيوس ويبعث في قلبه الرعب، وذلك في نفس الوقت الذي انطلقت فيه

¹ - ول ديورانت: مرجع سابق ص 66-76.

² - ويلز: موجز تاريخ العالم ص 184.

³ - المرجع نفسه، ص 186.

يضغط على ثيودوسيوس ويبحث في قلبه الرعب، وذلك في نفس الوقت الذي انطلقت فيه جيوشه تعيثُ فساداً في البلاد، وتعمل التَّهْبَ فيها إلى أسوار القسطنطينية نفسها، ثم عاد فوجّه جيوشه في 451م إلى حطام نصف الإمبراطورية الغربي الناطق باللاتينية فغزا بلاد الغالة [فرنسا] فلم تنجُ مدينة واحدة تقريباً في شمال الغالة من السلب والنهب⁽¹⁾. مات أتيليا في سنة 453 فجأة فتمزّق بموته الاتحاد القائم على النهب، وعند ذلك اختفى الهون من التاريخ باختلاطهم بمن حولهم من أقوام، لكن غاراتهم كانت قد اتت تقريباً على الدولة اللاتينية. ومع أنّ الدولة الرومانية الناطقة باللاتينية [الغربية] لفظت أنفاسها في القرن الخامس الميلادي، فإن شيئاً آخر تكوّن في أحشائها قدر له أن يفيد إلى أقصى حدّ من هيتها وتقاليدها: وهو النصف الناطق باللاتينية من الكنيسة الكاثوليكية. لقد عاش النصف الكاثوليكي على حين ماتت الإمبراطورية، لأنّه كان يلجأ ويعتمد على الناس وإرادتهم، ولأنّه ملك الكتب كما ملك جهازاً ضخماً من المعلمين المبشرين يربط بين أجزائه، وهي أشياء أقوى من أي قانون أو أي جيش، وبينما الإمبراطورية تتدهور على كرّ القرنين الرابع والخامس الميلاديين، كانت المسيحية تنشر ألويتها وعمدها في أوروبا⁽²⁾. وكان بطريق [بابا] روما يدّعي أنّه رئيس الكنيسة بأكملها، حتى إذا ولّت الإمبراطورية، ولم يعدّ هناك أباطرة في روما شرع يدّعي لنفسه ألقاباً ومدعيات مما كان لأولئك الأباطرة، فانتحل لقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus وهو لقب كاهن القرايين الأكبر في الدولة الرومانية إبان الوثنية، وأقدم الألقاب التي كان الأباطرة يحملونها⁽³⁾.

الصِّراع الروماني الفارسي:

امتاز النصف الشرقي من الإمبراطورية الرومانية الناطق باليونانية بقدر لا بأس به من التماسك السياسي، وبذلك استطاع مواجهة كوارث القرن الخامس الميلادي والتغلب عليها، وهو القرن الذي تحطمت فيه بصورة تامة ونهائية دولة الرومان اللاتينية الأصلية. كما أمكنها أن تحافظ على معظم آسيا الصغرى رغم عدوان الفرس الساسانيين⁽⁴⁾ وفي الوقت الذي

¹— ويلز: موجز تاريخ العالم ، ص 189

²۔ ول دیورانت: مرجع سابق ص 91-92-93۔

³ - وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية ج 1 ص 19.

⁴ - ويلز: مرجع سابق ص 192.

أُظلمت فيه الحياة في الغرب، شهد القرن السادس انتعاشاً جسيماً في دولة الروم بالشرق، فقد كان جستنيان الأول [527-565م] حاكماً عظيماً الطموح، وقد بدأ باسترداد شمال إفريقيا من الوندال كما استعاد معظم إيطاليا من القوط، بل استرد جنوب إسبانيا، ولم يكن نشاطه قاصراً على المشروعات العسكرية والبحرية بل أسّس جامعة وشيّد كنيسة القديسة صوفيا الكبرى بالقسطنطينية⁽¹⁾. وقد عاصر جستنيان خصماً فارسياً قوياً، هو كسرى أنوشروان، كما كانت دولة ساسان منافساً قوياً للدولة البيزنطية، واستمر هذا التنافس والصدام حتى مجيء الإسلام، وبعده، وكان الصدام عسكرياً وحضارياً ودينيّاً، فقد كان الروم البيزنطيين مؤمنين بالله، وكان الفرس وثنيين وعباداً للنار، بعد أن انتصرت عقيدة زرادشت، هذه الأخيرة التي مارست الاضطهاد ضد المسيحيين⁽²⁾.

المبحث الثاني: ظهور الإسلام:

المطلب الأول: الإسلام يحاور المسيحية:

في الوقت الذي ساد فيه الصراع في العالم، وفقد الناس الأمن والأمان، حيث كانت القوتان العظيمتان تتطاحنان فيما بينهما [الروم والفرس] وتفتسمان العالم القديم جغرافياً وثقافياً واقتصادياً، ظهرت في أعماق الصحراء بالجزيرة العربية، وبالضبط بمكة دعوة دينية جديدة، دعت الناس إلى توحيد الله تعالى، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق. وقد كان نظام الإسلام العقائدي مختلفاً تماماً عن الذي عرفه اليهود، وعن الذي عرفه المسيحيون أيضاً، فكما جاء مخالفاً ومصححاً لما اعتقده اليهود وتصوّروه عن حقيقة الألوهية وما تقتضيه من صفات، وعن علاقتهم المتميزة بالله، والصّورة المشوشة عن الآخرة، والأوصاف المشينة التي وصفوا بها الأنبياء، والتحريفات التي أدخلوها على ما أوتمنوا عليه من الوحي والكتاب، كذلك جاء مصححاً لمعتقدات النصارى المتعددة والمختلفة حول حقيقة المسيح، ونهايته وحقيقة رسالته والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- إنّ عيسى عليه السلام هو نبي الله ورسوله اصطفاه من بين عباده، ورفع مكانته وخصّه بالمعجزات وألهمه الرّوح وبعثه رسولاً داعياً إلى التوحيد، فقد ذكر عيسى رسولاً ونبيّاً

¹ - ويلز: المرجع نفسه، ص 195.

² - ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الرابع ص 295.

في القرآن إحدى عشرة مرة: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" (1) وقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ" (2) وهذه عودة برسالة المسيح إلى إطار اليهودية ، وهو الإطار الذي خرجت عنه المسيحية بعد أن فقدت الكثير من أصولها، وضمت إليها الكثير من المعتقدات والفلسفات.

ب- وقد أوحى إليه كما أوحى إلى جميع النبيين: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (3).

ج- وقد خصّه القرآن بمكانة مميزة، حيث أن تفضيل عيسى عليه السلام من جملة من فضّلهم الله من الأنبياء والرسل يبدو واضحاً من خلال قوله تعالى: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ" (4). وقد جاء ذكر البيّنات التي آيد الله بها المسيح عليه السلام في سورة آل عمران "وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِئُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (5). وفي الآية نفسها أشار القرآن إلى أن عيسى يكلم الناس في المهد، وفي سورة المائدة ورد ذكر معجزة المائدة التي أنزلها الله بعد أن طلبها الحواريون (6).

وعلاوة على البيّنات والحجج والأدلة التي آتاها الله عيسى ابن مريم، أنزل عليه الإنجيل الذي ذكر ثلاث عشرة مرة، والإنجيل الذي أوحى به إلى عيسى يختلف عن الذي يذكره المسيحيون فهو كتاب منسّل من الله مثله مثل التوراة والقرآن، وهو مختلف مع نسبته إلى عيسى في التقليد المسيحي، ومادام الإنجيل كذلك فهو غير الأناجيل التي يروّج لها المسيحيون،

¹ — سورة المائدة: الآية 75.

² — سورة الصف: الآية 06.

³ — سورة النساء: الآية 163.

⁴ — سورة البقرة : الآية 253.

⁵ —سورة آل عمران: الآية 49 .

⁶ — سورة المائدة: الآية 112 وما بعدها .

والتي هي من وضع "أصحاب عيسى"، وهكذا فإنجيل القرآن وهو الإنجيل الصحيح الرباني ليس هو المتداول بين المسيحيين. أما دين عيسى وأما رسالته فهي الإسلام، على أساس أن عيسى عليه السلام من "ملة إبراهيم" جاء مصداقاً به وبكل النبين وموسى وبتوراته، مواصلاً منهمجهم القائم على الدعوة إلى التوحيد، مبشراً بمحمد وبرسالته، فدين عيسى حسب القرآن، هو "الإسلام" ولا شيء غير الإسلام، فلا ذكر لدين اسمه "المسيحية" أو "النصرانية" قال تعالى: "فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ" (1)، كما جاء قوله تعالى: "وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ" (2). أي مستسلمون لأمر الله تعالى، مقرّون بأن دينهم الإسلام، وأنه دين كل الأنبياء، والإسلام هنا ورد بمعناه العام أي الخضوع لله الواحد وتصديق أنبيائه ورسله، ومن هذا المنطلق يتحدد في القرآن موقع محمد صلى الله عليه وسلم، من عيسى ومما جاء به، فمحمد جاء تحقيقاً لما بشر به عيسى في الإنجيل ولما بشر به موسى في التوراة. فربّ عيسى هو ربّ محمد، والذي أرسل عيسى وجميع الأنبياء، هو نفسه الذي أرسل محمداً، ومحمد شأنه شأن عيسى ينتمي إلى ملة إبراهيم ورسالة محمد تتموضع في منهاج عيسى نفسه، أي الدعوة إلى التوحيد، وعلى هذا الأساس تمثل رسالة محمد امتداداً لرسالة عيسى وغيره من الأنبياء والرسل وبالخصوص إبراهيم ولكن خاصته أنه جاء ليتزع عن كلمة الله ما علق بها من تحريف وتشويه، ويختم سلسلة الأنبياء والرسل، ويجمع الناس، جميع الناس، حول دين الله الحق أي الإسلام بأحكامه وشرائعه الصحيحة التي وردت في القرآن، وبالتالي يصبح من واجب أهل الكتاب، بمن فيهم أتباع عيسى، التصديق بصاحب الرسالة الجديدة والأخيرة، وبالقرآن الذي يحتوي "الحقيقة الربانية" دون تحريف أو تزيف ويمثل "المعيار" في الحكم على صحة أو خطأ ما يتداول في شأن مضامين الرسالات والتبوات السابقة وإنا نجد تأكيداً لذلك في سورة آل عمران "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (3).

¹ — سورة آل عمران: الآية 52.

² — سورة المائدة: الآية 111.

³ — سورة آل عمران : الآية 62 .

إن ما ميّز القرآن من الناحية العقائدية، هو الدعوة إلى التوحيد المطلق، ومن هذه الزاوية، ووفقاً لهذا المبدأ، عالج القرآن العقائد السائدة لدى النصارى والتي رأى فيها مساً بذلك المبدأ، وإحلالاً برسالة عيسى عليه السلام.

ف عقيدة التثليث المسيحية تعني أن الإله جوهر واحد في ثلاثة أقانيم منفصلة متساوية، وهي الأب والابن وروح القدس⁽¹⁾. وقد أوضح القرآن بطلان عقيدة التثليث بصورة صريحة في قوله تعالى: "وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا"⁽²⁾. ثم حكم بكفر من يقول مثل هذه المقولة: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ"⁽³⁾. وإذا نظرنا إلى "ثلاثة" و"ثالث ثلاثة" في سياقهما في الآيتين المذكورتين، نلاحظ أنهما قد يعنيان، ثلاثة آلهة إذ بعد كل عبارة منهما يأتي التأكيد مباشرة على أن الله واحد، إنما الله إله واحد " وما من إله إلا إله واحد " أي لا يوجد ثلاثة آلهة.

وإن القرآن يدحض العلاقة التي يقيمها النصارى بين عيسى والألوهية: "عيسى بن الله" فضلاً عن دحض الصيغة اللاهوتية التي يعطونها أيضاً للروح القدس ومريم بالنسبة لبعض الفرق. ويردّ بشكل قاطع على الذين يدّعون أن الله ولد في قوله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"⁽⁴⁾. وقوله تعالى: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ"⁽⁵⁾. ومن هنا وقع التأكيد في القرآن على أن عيسى ابن مريم، وبين أن الظروف المخارقة التي حفت بحمل أمه به لا ينبغي أن تكون بأي شكل من الأشكال "حجة" على أنه ابن الله أو شريكه في صفاته، بل تلك الظروف تندرج ضمن الشروط التي هيأت عيسى للنبوّة التي منحها الله له. ويكذب القرآن الكريم أن يكون المسيح هو الله، جاء هذا التكذيب في قوله تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ

¹ — من قانون الإيمان المسيحي الصادر عن مجمع نيقية 325م والذي اكتمل في المجمع القسطنطيني الأول 381م بإضافة

الأقنوم الثالث "روح القدس".

² — سورة النساء: الآية 171.

³ — سورة المائدة: الآية 73.

⁴ — سورة الإخلاص.

⁵ — سورة الأنعام: الآية 101.

الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ⁽¹⁾ كما جاء هذا التكذيب على لسان المسيح نفسه تبرئة لدمته مما نسبته إليه

المسيحيون في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"⁽²⁾

وبقدر ما نفى القرآن كل صفة إلهية عن عيسى، بقدر ما أكد أنه بشر لا يختلف عن سائر البشر في شيء سوى أنه رسول الله: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ"⁽³⁾ ونفى القرآن أن يألف عيسى من أن يكون عبداً لله، قال تعالى: "لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ"⁽⁴⁾

وبالإضافة إلى دحض القرآن لعقيدة التثليث المسيحية، فقد تعرض أيضاً إلى مسألة موت المسيح وخاتمته، وكما هو معلوم فلموت المسيح بُعِدَ عقائدي في الديانة المسيحية، فأتباعها وحسب القانون الكنيسي الرسمي يقرّون بأن عيسى صُلب، إلا أنهم يعطون هذا الصلب مغزى خاصاً، فهو فداء للبشرية عن خطيئة آدم:

"الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد وصلب عنا وتألّم وقُبرٍ وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيئ تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء"⁽⁵⁾

لقد أبدى القرآن رفضه لعقيدة المسيحيين في نهاية المسيح ابن مريم، فنفى أن يكون عيسى قد صلب أو قتل "وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

¹ — سورة المائدة: الآية 72.

² — سورة المائدة: الآية 116-117.

³ — سورة المائدة: الآية 75.

⁴ — سورة النساء: الآية 172 .

⁵ — من قانون الإيمان المسيحي الصادر عن مجمع نيقية سنة 326م وعن المجمع القسطنطيني الأول سنة 381م .

صَلْبُهُ وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(١) وفي نفي القرآن أن يكون عيسى صُلب وقُتل نفي لأن يكون نبيُّ الله عرضة لمثل ذلك المصير الشنيع، فمن باب أولى أن ينقذ الله رسوله ونبيه ولا يتركه فريسة لأعدائه. وبنفي القرآن مسألة صلب المسيح وقتله يكون قد نفى كل ما ترتب عن هذه العقيدة لدى المسيحيين سواء ما تعلق بقضية الفداء والصَّلب أو موت عيسى وقيامه بعد ثلاث أيام. وإنَّ تتبُّع النصِّ القرآني في ما جاء به عن عيسى عليه السلام، وماتعلق به من عقائد النصارى يفضي بنا إلى القول:

1- إنَّ القرآن أصدر حكماً قطعياً على المسيحية من الناحية العقائدية، فهي تحريف وتزوير لرسالة عيسى ولكتاب الله المنزل "الإنجيل" باعتبارها أشركت بالله، وادَّعت ما ليس حقاً حول صلب عيسى وأنكرت ما هو حق حول تبشير عيسى وكتابه الإنجيل. بمحمد وبنوته وبرسالته، ومن هذا المنطلق ميّز القرآن بين المسيح والمسيحيين فترَّهه من "تحريفاتهم" وفصله عنهم ليرده إلى المكانة الحقيقية التي خصَّه الله بها.

2- يعتبر القرآن أن رسالة عيسى رسالة توحيدية تندرج ضمن خط إبراهيم الذي أرسله الله بغاية نشر مبادئ هذه الرسالة وقفى على آثاره بموسى وعيسى ومحمد للغرض عينه. فالدين عند الله الإسلام الذي جاء بمبادئه كل الأنبياء والرسل، وبالتالي لا مكان لديانة أسهما المسيحية من هذا المنظور.

3- إنَّ رسالة عيسى، وإن كانت تندرج في الخط العام للتوحيد والإسلام بمفهومه العام والشامل، رسالة محلية خاصة ببني إسرائيل، وكلَّ كلام عن خاصية أخرى للمسيحية كالعالمية هو خروج بها عن الإطار الأصلي، وبعد عن الحقيقة.

ومن شأن ما جاء به القرآن من حقائق عن المسيحية وعن الرسالة الأصلية للسيد المسيح عليه السلام، إذا ما تحقَّق له الذبوع والانتشار، أن يرجع المسيحية إلى الأصل الذي كانت عليه، وهو كونها رسالة خاصة ببني إسرائيل، ويهدم المسيحية التي عرفها النَّاس خارج الإطار الجغرافي والعرفي [فلسطين واليهود]، ومن شأن ذلك أيضاً إذا ما تحقَّق أن يُفقد الإمبراطورية الرومانية أحد عوامل وحدتها وهو المسيحية البولسية. وهذا الأمر بطبيعة الحال لن ترض عنه

^١ - سورة النساء: الآية 157-158 .

السلطات الدينية الكنسية، كما لا ترضى عنه أيضاً السلطات السياسية الرومانية. ولهذا سيكون رد فعل السلطتين، الدينية والسياسية، الإسراع في القضاء على هذه الدعوة الجديدة المخالفة في شكلها ومضمونها، والتي أعلن صاحبها أنه رسول للعالمين، وستكون الحرب دينية فكرية من جهة وعسكرية من جهة أخرى.

إن القرآن الذي حسم أمر موقفه من العقائد المسيحية، كان له موقف آخر من الجماعة المسيحية، وكان هذا الموقف ذا اتجاهين:

أ- أحدهما: يتمثل في دعوة المسيحيين إلى الإيمان به⁽¹⁾. "باعتناق الإسلام" والاعتراف بأنه يمثل الكلمة الأخيرة والكاملة في التاريخ الديني للإنسانية.

ب- ثانيهما: يتمثل في دعوة المسيحيين، إذا رفضوا الإيمان به، إلى التعايش معه بعد الاعتراف به، إذ لا يمكن التعايش مع الرفض والإنكار المطلق.

ولكن هذه الدعوة إلى الحوار باتجاهيها بقيت وحيدة الجانب، فلم يستجب المسيحيون لا كنظام كهنوتي ومؤسسة دينية للاتجاه الأول، كما لم يستجيبوا كسلطة سياسية للاتجاه الثاني، وكان رد فعل المسيحيين، على ندائي الحوار اللذين وجههما القرآن، هو الحرب بالكلام والفكر والحرب بالسلاح.

المطلب الثاني: الحرب العسكرية والحرب الدينية على رسالة الإسلام:

كانت دعوة - محمد صلى الله عليه وسلم - التي بدأت في السرّ تكتسب الأتباع يوماً بعد يوم كما كان عدد الأعداء يتزايد، ووجهة المعارضة تقوى وإيذاء المشركين للمسلمين يشتد، وقد كان الصراع في مكة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جهة، وبين المشركين من جهة أخرى، جانباً من الصراع بين الإيمان والشرك في العالم آنذاك، ففي الوقت الذي اشتد فيه الصراع في مكة بين النبي والمشرّكين، أغارت جيوش الفرس على بلاد الروم عابرة نهر الفرات إلى الشام، فاستولت على أنطاكية والقدس فأتسعت حدود الإمبراطورية الفارسية - فجأة إلى واد النيل، وكانت بعض الفرق المسيحية - كالنسطورية واليعقوبية - حاقدة على

¹ - سورة العنكبوت: الآية 47 . وآل عمران : الآية 110 . البقرة : الآية 62.

النظام الروماني الجديد وتبعها اليهود مما سهّل غلبة الفرس⁽¹⁾، فضاء من الرّوم كل ما كانوا ملكوه من البلاد في شرقي العاصمة وجنوبيها، العراق والشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى، وتقلّصت الإمبراطورية البيزنطية في عاصمتها القسطنطينية⁽²⁾، وبدأ عبّاد النار يستبدون بالرعايا للقضاء على المسيحية، فسخروا من الشعائر الدينية التي يقدسها المسيحيون، ودمّروا الكنائس، وأراقوا دماء الكثير من المسيحيين المسلمين، وأقاموا بيوت عبادة النار في كل مكان، وأرغموا الناس على عبادة النار، واغتصبوا الصليب المقدّس عند المسيحيين وأرسلوه إلى المدائن.

ويمكن قياس الهوة الكبرى التي حدثت بين الرّوم والفرس، من خطاب وجهه كسرى إلى هرقل من بيت المقدس، قائلاً فيه: "من لدن الإله كسرى، الذي هو أكبر الألهة، وملك الأرض كلها، إلى عبده اللئيم الغافل: هرقل: أنّك تقول: إنّك تثق في إلهك فلماذا لا ينقذ إلهك القدس من يدي؟"⁽³⁾.

تضامن المسلمين مع المسيحيين:

لقد دأب المؤرخون للحوار الإسلامي المسيحي على تركيز اهتمامهم على حوار الإسلام سواء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده مع النصارى العرب، أي الذين تواجدوا في البلاد العربية عموماً أو على المعاملة المتميّزة للإسلام مع هؤلاء والحقيقة التي تنكشف لنا من خلال الوقوف على بعض الأحداث العالمية في ذلك الوقت وتفاعل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معها، أنّ المسلمين قد اعتبروا الرّوم المسيحيين أهل إيمان وتعاطفوا معهم وفقاً لهذا الاعتبار وربطوا في تعاطف لاسابقة له، بين صراعهم ضد المشركين في مكّة وصراع الرّوم المسيحيين ضد الفرس الوثنيين، ويصف الأستاذ وحيد الدين خان ما كان في تلك الأجواء بقوله: "وبينما سيطرت على العاصمتين الفارسية والرّومية هذه الأحداث [أحداث المواجهة العسكرية وما ترتب عليها]، فقد سيطرت على شعب العاصمة المركزية في شبه الجزيرة العربية - وهي مكّة المكرمة - مشكلة مماثلة: كان الفرس مجوساً من عبّاد النار، وكان الرّوم

¹ - ويلز: مرجع سابق: ص 195.

² - المرجع نفسه: ص 196.

³ - وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى... ترجمة: د/ ظفر الدين خان ط7. دار المختار الإسلامي القاهرة 1977 ص

مؤمنين بالمسيح، وبالوحي، وبالرسالة، وبالله تعالى. وكان المسلمون - مع الروم - نفسياً يرجون غلبهم على الكفار المشركين، كما كان كفار مكّة مع الفرس لكونهم من عباد المظاهر المادية، وأصبح الصراع بين الفرس والروم رمزاً خارجياً للصراع الذي كان يدور بين الإسلام وأهل الشرك في مكّة، وبطريقة نفسية كانت كل من الجماعتين تشعر بأن نتيجة هذا الصراع الخارجي، هي نفس مآل صراعهما الداخلي، فكان انتصار الفرس على الروم سنة 616م فرصة انتهرها المشركون في "مكّة" للسخرة من المسلمين، قائلين: لقد غلب إخواننا إخوانكم، وكذلك سوف نقضي عليكم⁽¹⁾.

وقد أصاب المسلمين الحزن عندما انهزم الروم المسيحيين، وكان المسلمون حينها في أضعف وأسوأ أحوالهم، وعندئذ خفف القرآن عليهم هذه الصدمة مبشراً بأن الروم ينتصرون، قال تعالى: "الم غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ فِي سَبْعِ سِنِينَ يُنْصَرُّونَ وَيَوْمَئِذٍ يُبْرِئُ اللَّهُ لِلَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"⁽²⁾.

إلى جانب المظهر الإعجازي في هذه الآيات، والمتمثل في نبوءة القرآن، بانتصار الروم خلال سنوات قليلة، والتي تحققت كما أخبر بها القرآن، على الرغم من أن المؤشرات كانت تقول باستحالة تحققها وقت نزول السورة بها، قلت إلى جانب هذا، فإنه يمكن أن نقف على بعض المعطيات التي نستهدي بها في محاولة بناء صورة واضحة عن علاقة الإسلام والمسلمين بالمسيحيين ومنها:

- 1- اهتمام المسلمين وتبعيةهم لأخبار أهل الإيمان في كل مكان.
- 2- التواصل العاطفي والتضامن مع أهل الإيمان، فقد حزن المسلمون هزيمة الروم المسيحيين، وبشروهم القرآن بالفرح حين ينتصرون على أعدائهم "ويومئذ يفرح المؤمنون".
- 3- إن انتصار الروم المسيحيين سمّاه القرآن "نصراً لله" أي انتصار الإيمان على الشرك، على الرغم مما كان عليه إيمان المسيحيين وقتها من زيغ في جوانب كثيرة ذكرها القرآن وردّ عليها في مواضع عديدة.

¹ - وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص، 186-187.

² - سورة الروم: الآيات من 1 إلى 6.

4- إن موقف القرآن مسجل في سورة الروم وهي سورة مكية حوالي 616م، أي قبل الهجرة بوقت طويل، وهو دليل على أن الإسلام أعلن منذ بدايته عن موقفه من المسيحيين-غير العرب- واعتبرهم أعضاء في عائلة واحدة هي عائلة الإيمان التي ينبغي على جميع أفرادها أن يقفوا صفاً واحداً لصدّ الشرك الوثنية والإلحاد والفساد، ولم يبادر إلى عدائهم وإقصائهم. ورغم كل ما كان من موقف المسلمين المتعاطف، فإنّ الروم بادروا إلى الاعتداء عليهم.

الحرب العسكرية على المسلمين:

كان الفرس يحتلون أجزاء من جنوب الجزيرة "اليمن، والبحرين" وكان الرومان يحتلون أجزاء من شمالها "الشام" وقد انتشرت ديانة المختلين في الأقاليم التي أخضعوها لنفوذهم، فسادت الجوسية الأقاليم التابعة لفرس، وسادت النصرانية الأقاليم التابعة للرومان. وقد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل بكتبه إلى رؤساء الدول الكبرى، وإلى أمراء الولايات المحتلة على سواء يدعوهم إلى الله ويعرض عليهم الإسلام. ومن بين الذين أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم- أمير بُصرى- ولاية من ولايات الروم- وحمل الكتاب الحارث بن عمير الأزدي، وقد اعترضه في الطريق شرحبيل بن عمرو الغساني وسأله: أنت من رسل محمد؟ قال: نعم، فأمر به شرحبيل فقتل⁽¹⁾ وقد عزّ على المسلمين مقتل رسولهم إلى أمير بُصرى والطريقة الشائنة التي عومل بها، فقد أوثق شرحبيل بن عمرو رباطه ثم قدّمه فضرب عنقه، والرّسل لا يقتلون، لذلك كان وقع هذه الإهانة شديداً على المسلمين، فعزموا على الاقتصاص لرسولهم، وعلى تأديب الوالي الذي صنع ما صنع لحساب الرومان. وهذه الأحداث كانت كلّها مقدمة لغزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، على حدود الشام، وهي التي تسمى اليوم الكرك⁽²⁾. وكانت موازين القوى في هذه الغزوة التي لم يشهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم غير متكافئة، حيث كان المسلمون ثلاثة آلاف رجل، مقابل مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من نصارى العرب⁽³⁾.

¹ - د/ محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة ط8، دار الفكر دمشق سوريا 1980، ص 341 .

² - المرجع نفسه: ص 350.

³ - محمد الغزالي: مرجع سابق ص 366.

وبعد غزوة مؤتة كان هناك حدثان مهمّان في تاريخ الإسلام أما الأول فهو فتح مكّة، والذي تمّ بعد معركة مؤتة بفترة وجيزة من نفس السنة الثامنة [رمضان]، وأما الحادث الثاني فبعد الأول بشهر واحد، أي في شهر شوال، وهو معركة حنين، والتي كانت ردّ فعل للقبائل العربية الكبيرة (هوازن ثقيف)، التي أجمعت الأمر على قتال المسلمين قبل أن تتوطد دعائم نصرهم، وقبل أن يخرجوا للقضاء على ما بقي من الوثنية العربية، وهي المعركة التي انتهت بانتصار المسلمين، رغم أنّ بداية المعركة كانت تلوح بهزيمة كبرى لهم. وكان للرومان قراءتهم الخاصة لهذين الحادثين، لقد أدركوا أنّ المعارك القادمة للمسلمين ستكون بالتأكيد خارج إطار القبائل العربية، ولقد التفتت رغبة السلطات السياسية الرومانية، مع رغبة رجال الكنيسة في التخلص من هذا الدين الجديد الذي يسيطر على سلطانه يوماً بعد يوم، ولهذا تقرر لديهم الإعداد لضرب المسلمين في شبه الجزيرة العربية لتغلق عليه أبواب الحدود فلا يخرج منها، وانتهت أخبار الإعداد إلى المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم فكان أن استنفر المسلمون قواهم لملاقاة الروم في السنة التاسعة للهجرة والخروج من المدينة إلى شمال الجزيرة في تبوك. وقد خرج المسلمون حتى بلغوا تبوك فلم يجدوا بها أحداً، وكان الروم آثروا عدم ملاقاتهم هذه القوة الفتية. ولئن لم يلق الرومان المسلمين في ساحة القتال، فقد أعدوا العدة لحرب أخرى في ساحة أخرى.

المطلب الثالث: الجدل العقدي والحرب الدّينية:

بعد الأحداث السابقة، وفي السنة العاشرة للهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب، كانت دعوة الإسلام قد بلغت أوج نضجها، بعد أن كان الإسلام قد هزم على المستوى الفكري، وعلى المستوى العسكري بقايا الوثنية العربية، ومراوغات اليهودية. ولم تلبث أصداء دعوة التوحيد أن ترامت شرقاً وغرباً ولم تكن تلك الأصداء ضعيفة أو منقطعة، ولكنها كانت أصداء قوية مستمرة¹. فقد كانت رسالة مكتوبة أملاها النبي صلى الله عليه وسلم وصلت إلى كسرى أنو شروان، وكانت رسالة منه صلى الله عليه وسلم مكتوبة أيضاً وصلت إلى أمبراطور الرومان، وكانت مناقشات عسكرية قد وقعت كما سبق بين المسلمين

¹ — محمد الغزالي: فقه السيرة ص 366.

وبين جنود الرومان خاصّة في معارك مثل مؤتة وتبوك⁽¹⁾ فحاء وفد من نصارى نجران "من اليمن" يريد أن يحسم هذا الصّراع العقيدي لصالح المسيحية. وغني عن البيان أن وفد نصارى نجران الذي تحرك من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى قلبها "المدينة" لمناظرة نبي الإسلام، لم يتحرك من فراغ لقد كان وراءه من رغبة قادة المسيحية وأمباطور الرومان في تحقيق انتصار فكري حاسم لوأد دعوة الإسلام في فجر تاريخها وفي عقر دارها. وكان وفد نجران مكوناً من ستين عالماً من علماء المسيحية الذين كرّسوا حياتهم لدراسة الدين والآلهوت والفلسفة وكان وراءهم كهنوت الكنيسة، وجيروت المسيحية الرومانية وكانت وراءهم كل فلسفات اليونان، ولم يكن نبي الإسلام مجرد عربي أميّ، لقد كان نبياً رسولاً، هو خاتم الأنبياء والمرسلين وكان وراءه القرآن آخر صور وحي السماء.

لقد كلّف الإمبراطور كبير أخبار النصارى في نجران أن يتوجّه على رأس وفد من أعلم القساوسة والرهبان للقاء محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا سيما أنّهم يجيدون العربية لمحاولة التغلب على هذا النبي العربي في حوار يقضي على دعوته فلا يقر لها قرار، لو قدر لكبير الأخبار من نصارى نجران أن ينتصر في مثل هذا الحوار⁽²⁾ كانت مناظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع وفد نصارى نجران، أبرز مناظرة والتي يجمع المفسرون وعلماء أسباب التزول على أن الآيات الثمانين من صدر سورة آل عمران، قد نزلت بشأن هذه المناظرة، وعدد آيات القرآن التي نزلت بشأن هذا الحدث الهام لم يحدث له نظير لأي سبب آخر من أسباب التزليل، مما يدل على بالغ أهميته وخطورته.

أحداث المناظرة وتفصيلها:

يذكر الواحددي في أسباب التزول⁽³⁾ أن وفداً من نصارى نجران عدّتهم ستون راكباً قدموا المدينة المنورة سنة عشرة من الهجرة، بقصد مناظرة النبي صلى الله عليه وسلم وبقصد

¹ — علي الجوهري: المناظرة الأولى: أول لقاء يجمع بين النصارى والمسلمين ط1 مكتبة التراث الإسلامي سنة 1993 ص 139.

² — علي الجوهري: مرجع سابق: ص 140.

³ — علي بن أحمد الواحددي النيسابوري: أسباب التزول دار المعرفة ، بيروت لبنان (د.ت) ص 67.

إظهار المسيحية التي كان بعض الناس قد ابتدعوها تحريفاً لتعليم عيسى عليه السلام وأراد وفد نصارى نجران إظهار أنها أولى بالاتباع، وكان على رأس وفد النصارى ذاك ثلاثة هم: عبد المسيح الملقب بالعاقب والأيهم الملقب بالصاحب، وكان ثالثهم وهو حبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم أبو حارثة بن علقمة، الذي كان ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس يشرف على شؤونها لعلمه واجتهاده ويقول الواحدي: دخل أعضاء الوفد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم الثياب الحبريات جبات وأردية حتى قال من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "مارأينا وفداً مثلهم"⁽¹⁾. ويذكر الواحدي أيضاً أنهم قاموا فصلوا متجهين جهة بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "دعوههم" وبعد أن فرغوا من صلاتهم جاءوا إلى مناظرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بعد أن كانوا قد اختاروا رجلين منهم لمناظرة النبي صلى الله عليه وسلم) "أسلما" قالوا: "أسلمنا قبلك" فقال لهما عليه السلام: كذبتما منعكما من الإسلام ادعوا كما دعا الله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير" قالوا: "إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟" فقال لهما: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء؟" قالوا: "بلى" قال: "ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟" قالوا: "بلى" قال صلى الله عليه وسلم: "فهل يملك عيسى من ذلك شيء؟" قالوا: "لا"⁽²⁾ قال صلى الله عليه وسلم فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث: "قالا: "بلى" قال صلى الله عليه وسلم: "ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذي الصبية ثم كان يطعم ويحدث؟" قالوا: "بلى" قال صلى الله عليه وسلم: "فكيف يكون هذا كما زعمتم؟" وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى المباهلة، أي الإبتهاال إلى الله عز وجل أن نحل لعنته على الكاذبين، كما تقضي بذلك الآية

¹ — علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: أسباب الغرور، ص 68.

² — المرجع نفسه، 68-69.

الحادية والستون من سورة آل عمران⁽¹⁾ فطلب وفد نجران فسحة في الوقت للتشاور، إذ قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه"، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأي فيهم، فقالوا: "يا عبد مسيح - وهو اسمه الحقيقي - ماذا ترى؟"، فقال لهم: "والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً هو النبي المرسل وقد جاءكم بالفصل من خير صاحبكم "عيسى"، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم أو تبت صغيرهم، وإته الاستتصال يحل بكم فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم"⁽²⁾ وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: "يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعت معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ليحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين" وبعد صلاة الظهر رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح وكان من المصلين وراءه فدعاه فقال له: "اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه"⁽³⁾ لقدت كانت هذه المناظرة حدثاً عظيماً لم يشهده المسلمون من قبل ولم يسبق لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم أن شهدت مثله أبداً، يقول الأستاذ محمد حسين هيكمل معلقاً على أحداث هذه المناظرة بقوله: "أي مؤتمر أعظم من هذا المؤتمر الذي شهدته يثرب، تلتقي فيه الأديان الثلاثة التي تتجاذب حتى اليوم مصائر العالم، وتلتقي فيه لأسمى فكرة، وأجل غاية، لم يكن مؤمراً اقتصادياً، ولا كان مرماء أي غرض من هذه الأغراض المادية التي ينطح عالمنا اليوم عبثاً صخرتها، وإنما كان مرماء غاية روحية تقف من ورائها في أمر النصرانية واليهودية مطامع السياسة ومآرب المال وذوي الملك والسلطان، ويقف فيها محمد صلى الله عليه وسلم لغاية روحية إنسانية بحثة علمي عليه الله في سبيلها الصبغة التي يلقي بها إلى اليهود والنصارى وإلى

¹ - وهي قول الحق تبارك وتعالى: "قل تعالوا ندع أبناءكم وأبناءكم ونساءكم ونساءكم وانفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".

² - علي الجوهري: مرجع سابق ص 144.

³ - الفجر الرازي: التفسير الكبير مفاتيح الغيب ط3 دار إحياء التراث بيروت لبنان [د.ت] ج7 ص 144.

الناس كافة"¹. ومن كل ماسبق من تفاصيل حدث المناظرة وكذا من خلفياته ومنطلقاته في جانبه المسيحي، وطريقة تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معه، يمكن الوقوف على بعض الاستنتاجات التي نستطيع أن ننتدي في ضوءها، ونحن نعالج موضوع الحوار مع الآخرين عموماً ومع المسيحيين خصوصاً ومنهما :

- 1- لم يرفض النبي صلى الله عليه وسلم المناظرة والحوار من حيث المبدأ، فقد احترم رغبة وفد نصارى نجران في الحوار واستجاب لها، رغم علمه بدوافع وخلفيات مجيئ هؤلاء إلى المدينة.
- 2 - أكرم النبي صلى الله عليه وسلم وفادة أعضاء الوفد، على كثرتهم، وأنزلهم بأكرم منزل بالمدينة المنورة وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم مع أن غرضهم المعلن غير الخفي هو قهر دعوة الإسلام والانتصار للدعوى المسيحية، على المستوى الفكري. وهو أهم المستويات في حياة العقائد والاديان. يقول الأستاذ علي سامي النشار: "وفي جنبات المدينة قابلوا الراعي الجديد، النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وقف يخدمهم ويقدم لهم الطعام"².
- 3- احترام الرسول صلى الله عليه وسلم لرغبة أعضاء وفد نجران في أن يُصلُّوا بمسجده الصلاة التي تواضعوا عليها متجهين فيها [في صلاتهم] إلى قبلة غير قبلة المسلمين إذ اتجهوا إلى بيت المقدس، وقال لأصحابه: "دعوهم"، احتراماً لمعتقدات الغير ونزولاً عند مقتضيات اللياقة، بصرف النظر عن الصواب أو الخطأ في معتقدات الغير أو في طقوس عبادتهم وإقامة شعائرتهم.
- 4- لقد جرى العرف في المناظرات أن يحاور الرجل الرجل، ولكن وفد النصارى طلب أن يتصدى رجلان لمحاورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك تسامحاً من جانبه، وثقة وبقينا من صدق دعوته واطمئناناً إلى تأييد الله ونصره.
- 5- لم يعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم في حوارهِ مع نصارى وفد نجران على آيات القرآن الكريم، بل حاورهم بأسئلة بسيطة استهلها بفعل أمر في كلمة واحدة هي قوله: "أسلما".
- 6- لقد تضمن هذا الحوار كل القيم والمبادئ والشروط الضرورية للحوار الناجح البناء، وهو مثل أعلى لما ينبغي أن يكون عليه الحوار المستوفي للشروط والمبادئ.

¹ - محمد حسين هيكل: حياة محمد ط 18، دار المعارف القاهرة 1968 ص 199.

² - د/علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ط 9. دار المعارف القاهرة 1995 ج 1 ص 91.

7- إنَّ قدوم وفد نصارى بُحران إلى المدينة لمناظرة ومحاورة النبي صلى الله عليه وسلم كان بأمر من الإمبراطور الرّوماني ، المؤتمر بأوامر الكنيسة وفيما يبدو كان هذا أولى محاولات استغلال المسيحيين العرب من طرف المسيحية الرّومانية، لدفعهم إلى معركة فكرية ضد الإسلام، هذا الاستغلال الذي لم تتوقف عنه الكنيسة الغربية طوال القرون الماضية، والذي ينبغي التأكيد عليه هو أنَّ بعضاً من النصارى العرب وحتى اليوم، ظلَّ يكره أن يكون أداة تستخدمها الكنيسة الغربية لضرب المسلمين من بين قومهم.

لقد كانت الدعوة إلى المناظرة مدعومة ومستودة من الإمبراطور الرّوماني، والسلطات السياسية والكنيسة الرّومانية، ذات الرّوح التوسعية، والمصالح العريضة والكبرى في بلاد العرب والمسلمين ولهذا امتنع أعضاء الوفد عن إعلان الإسلام والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأن أمرهم لم يكن بأيديهم، ولأن التصديق بهذه الدعوة يتنافى تماماً مع المهمة التي أوكلوا بها من قِبَل الإمبراطور والكنيسة الرّومانية ألا وهي القضاء على تلك الدعوة بعد إلحاق الهزيمة بها. يعود الأستاذ محمد حسين هيكمل للحديث عن موقف أعضاء الوفد المسيحي قائلا: "فأما الرّوح المخلصة الصادقة، فأما النفس الإنسانية التي كرّمت بالعقل والعاطفة، فلا تستطيع إلا أن تؤمن بهذا "حقيقة المسيح حسب القرآن"، لكن في الحياة الإنسانية إلى الجانب النّفساني جانبها المادي، وهو الضعف الذي يجعلنا نقبل لغيرنا علينا سلطاناً بثمن يشتري به أنفسنا وأرواحنا وقلوبنا، فيها هذا الغرور القتال للكرامة وللعاطفة ولنور النفس العاقلة. هذا الجانب المادي المصوّر في المال و في الجاه ، وفي كاذب الألقاب والرتب هو الذي جعل أبا حارثة أكثر نصارى بُحران علماً ومعرفةً يدلي إلى رفيق له باقتناعه بما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلما سأله رفيقه: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ كان جوابه: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم [يعني الرّوم]، فلو فعلت نزعوا منّا كل ما ترى"¹.

كانت هذه المعركة الفكرية في آخر سنة عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم وهكذا لم يغادر النبي - صلى الله عليه وسلم - الحياة حتى اكتملت صورة الصّراع بين الإسلام والمسيحية الغربية بشقيها العسكري والفكري، رغم ما أبداه النبي صلى الله عليه وسلم من مسالمة مع أهل الكتاب عموماً والمسيحيين خصوصاً، ورغم تعاطف المسلمين البيّن والمسجّل في كتابهم [القرآن] مع

¹ - محمد حسين هيكمل: مرجع سابق ص 488 .

المسيحيين كما سبق إلا أن هذا لم يشفع لهم عند هؤلاء، لكي يحسنوا جوارهم والتعايش معهم، بل أثروا عداوتهم مدفوعين في ذلك بأحقادهم على المسلمين الذين كشف كتابهم مواطن الزيف والضلال في عقائدهم وبأطماعهم التي كانت ولا تزال كبيرة في أرض العرب والمسلمين. ويفضي النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ربّه، ويستمر الصراع بعده بين المسلمين والمسيحيين، وتفتح صفحات عديدة في كتاب تاريخ العلاقات بين أتباع الديانتين.

المطلب الرابع: الصراع بين المسيحيين والمسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم:

بعد أن عاد النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع، عقد لأسامة بن زيد لواء إمارة الجيش للخروج إلى البلقاء لقتال الروم بالشام، ولم يقدر للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشهد خروج هذه الحملة إلى غايتها، فقد توفي - صلى الله عليه وسلم - ولم يسر الجيش بعد من معسكره، وأبى أبو بكر إلا أن يحقق رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إنفاذ هذه الحملة، ومضى أسامة إلى الشمال وأوقع ببعض القبائل: ولم يكتف أبو بكر بما فعله أسامة في حملته، فعندما أخذت حركة الردّة، عقد عدّة ألوية إلى الشام ثم دّعمها بالإمدادات، وهكذا تواصل الصراع بين الإسلام والروم، وكانت وقائع أجنادين 13هـ⁽¹⁾ واليرموك 13هـ⁽²⁾ معارك فاصلة لإزالة النفوذ البيزنطي عن كامل الشام، وبانتهاء معركة اليرموك انهار سلطان الروم في الشام، ففتحت دمشق وحمص وجميع مدن الأردن، وغادر هرقل نفسه الشام إلى القسطنطينية⁽³⁾. ثم كان زحف المسلمين على فلسطين ففتحت يافا وعكا وعسقلان ونابلس وغزة ورفح، ثم بيت المقدس، التي حاصرها جيش المسلمين ما يقرب أربعة أشهر، وعند الفتح اشترط صفريوس بطريق إيليا [القدس] على القائد أبي عبيدة بن الجراح أن يأتي عمر بن الخطاب بنفسه يستلمها ويوقع معاهدة الصلح، خوفاً من أن تتعرض كنيستهم لأعمال التخريب، فقدم عمر بن الخطاب في سنة [15هـ]، وعقد عهد الصلح لأهل إيليا، وقد أورد الطبري، نص المعاهدة التي عقدها عمر لسكان القدس المسيحيين وغيرهم وهذا نصّها:

¹ — علي بن أحمد بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ: دار صادر بيروت 1967 ج 2، ص 417.

² — الطبري أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت 1967 ج 4، ص 32.

³ — محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في مشرق والمغرب. دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1992 ص 28.

"هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم... لأنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم.. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان كتب وحضر سنة خمسة عشرة"⁽¹⁾. وبالإضافة إلى ما في الوثيقة التي أصبحت تسمى العهدة العمرية من احترام للمسيحيين [ودينهم] وحفظ لأموالهم، ورعاية لدينهم ومقدساتهم، فإن عمر بن الخطاب كان حريصاً على إظهار تسامح الإسلام مع الآخرين المخالفين دينياً وعقائدياً، فقد اجتنب الصلاة داخل الكنيسة، خوفاً من أن يتخذها الناس سنة من بعده، فيعتدوا على الكنيسة ويحولوها إلى مسجد، فصلى رضي الله عنه خارجها ويذكر وليام الصوري⁽²⁾: "أن عمر خلال إقامته بالقدس أجرى تحقيقات دقيقة حول أحوال المواطنين، وسأل قبل كل شيء عن أحوال الأسقف صوفريوس، كما أجرى تحقيقات حول كنيسة الرب [القيامة] التي يقال أن الإمبراطور الروماني تيطس قد دمرها مع المدينة ذاتها، وقد أرشدوه إلى المكان وأروءه إياه، وأشاروا إلى الآثار القليلة المتبقية من البناء القديم، وبناء على ذلك أمر عمر مباشرة بإعادة بنائها، وخصّص مبلغاً كافياً من المال لتغطية التكاليف، واستدعى العمال والصّناع وجمع مواد البناء من جميع أنواع الرّخام والأخشاب بالشكل الذي ارتضاه، وانتهت أعمال البناء بنجاح، وأنجز العمل خلال فترة قصيرة من الزمن، وذلك وفق الخطة التي كان يفكر بها تماماً. ثم أنعم عليها بما لا يحصى من الممتلكات الثمينة، وكانت العائدات الناتجة عن هذا المصدر مخصصة لتأمين الوسائل اللازمة لإبقائها في حالة جيّدة، وتحديد الأجزاء القديمة، وإبقاء المصابيح دائمة الاشتعال من خلال الرّعاية المستمرة للذين خدموا في الكنيسة"⁽³⁾. هذه شهادة من رجل مسيحي غير عادي، فهو أسقف، بل كبير أساقفة مدينة صور إحدى أكبر قلاع العالم المسيحي القديم، على صفحات مشرقة من تسامح المسلمين مع المسيحيين كتبها ثاني خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستلهما فيها هدي القرآن وسنة الرسول الكريم صلوات الله

¹ — ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك. 1960، ج4، ص 36.

² — رئيس أساقفة مدينة صور (لبنان) زمن الحروب الصليبية

³ — وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية ج1، ص 144.

عليه وسلم، ليبقى المجال بعد ذلك للمقارنة بين هذه الصفحات، وتلك التي كتبها الصليبيون عندما احتلوا القدس بعد حوالي خمسة قرون من هذا التاريخ.

وتتابعت الفتوحات الإسلامية بعد ذلك مزيلة لسلطان الروم والمسيحية عن كثير من البلاد التي كانت تحت سلطانها [الكنيسة والإمبراطورية]، فشملت الفتوحات مصر وبرقة وإفريقية والمغرب⁽¹⁾. ثم تجاوزت الفتوحات الإسلامية ذلك، لتعبر بقيادة طارق بن زياد إلى الأندلس وتزيل النفوذ القوطي المسيحي عنها. وتتقدم الفتوحات الإسلامية وراء جبال البرانس PYRENEES"، وتصل إلى أواسط فرنسا [Poitiers]، وازدادت الفتوحات الإسلامية عظمة واتساعاً على معظم جزر البحر المتوسط من رودس إلى صقلية وجنوب شبه جزيرة إيطاليا، بل حاول بعض الفاتحين المسلمين، محاصرة مدينة روما وفتحها، وحاولوا فتح القسطنطينية عدة مرّات، ولكن امكاناتهم آنذاك لم تسعقهم⁽²⁾. ومحاولة المسلمين فتح روما والقسطنطينية معناه فتح مواطن السيادة المسيحية في عاصمتها الغربية والشرقية.

ومن ناحية أخرى فإنّ خسارة الإمبراطورية البيزنطية بسبب الفتوحات الإسلامية كانت خسارة بالغة إذ انتزعت منها غالب البلاد التي كانت تحت سلطانها، ولم يبق إلاّ جزء ضئيل من مستعمراتها الواسعة، فانحصرت دائرتها في شبه جزيرة البلقان والأناضول وجزء من جنوب إيطاليا⁽³⁾.

لقد كانت عظمة الفتوحات الإسلامية تحزّ في نفوس المسيحيين وكان أثر هذه الفتوحات يحملهم على الحقد والبغض للإسلام، ولهذا فإنّهم كانوا يحترقون شوقاً إلى اليوم الذي يستطيعون فيه ردّ الفعل، والأخذ بالثأر، واسترجاع النفوذ في مناطق غنية بثرواتها وخيراتها.

¹ — محمد العروسي المطوي: مرجع سابق، ص 28.

² — المرجع نفسه ص 29.

³ — المرجع نفسه ص 29.

المبحث الثالث: الحروب الصليبية قمة الصدام بين المسيحيين والمسلمين:

المطلب الأول: الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي وأسبابها:

لقد كان الصراع بين الكنيستين الشرقية والغربية من أهم العوامل التي دعت إلى الحروب الصليبية، لقد انتشر حواريو المسيح عليه السلام في الأرض، حيث استقر بعضهم في كبريات مدن العالم الروماني، وهناك أسسوا قواعد كنائس، ونظروا لنذرة المدن الهامة في الغرب، وكثرتها في الشرق، فإتينا نجد الكنائس المنسوبة إلى الرسل في الشرق أكثر منها في الغرب⁽¹⁾ وهي كنائس: القدس، وأنطاكية، والإسكندرية، ولم يوجد في الغرب إلا كنيسة روما. وقد نازعتها في البداية قرطاج، لكن كما تغلبت روما الوثنية على قرطاج وقهرتها من قبل، تغلبت كنيسة روما على كنيسة قرطاج، فانفردت في العالم الغربي، وتفرّدت في نيل الزعامة، وكان عليها أن تتصدى لكنائس الشرق، وخاصة الكنيسة التي أُحدثت في القسطنطينية بعد اتخاذها عاصمة للإمبراطورية الرومانية. ومن هنا فإن كنيسة روما في صراعها استندت إلى أحقيتها الروحية والتاريخية فربطت تاريخها الكنسي بالقديس بطرس، وكان اسمه الأصيل سمعان لكن السيد المسيح دعاه بطرس- أي الصخرة- وقال إنه الصخرة التي ستبنى عليها كنيسة [الرّب] وعلى هذا أعطاه تفويضاً بسيادة الأرض وأعطاه أيضاً مفاتيح السماء، فجعله زعيماً للرسل ومقدماً عليهم جميعاً⁽²⁾. لذلك فإن كنيسته مقدمة على غيرها من الكنائس. ورئيسها زعيم لجميع كهنة الديانة المسيحية في العالم. وفي الوقت الذي قال فيه أباطرة القسطنطينية بالمساواة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية [الحديثة]، واستمروا في عقد المجمع المسكونية لمعالجة هذه القضية، كان بابوات روما متمسكين بدعواهم ومكانتهم، وزاد من مكانه كنيسة روما وتفردها في الغرب.

1-ازدياد التجاء الناس في الغرب إلى أسافقة هذه الكنيسة لفض الخصومات واستئناف الأحكام المدنية الصادرة عن الكنائس الأدنى.

¹ - ول ديورانت: قصة الحضارة: المجلد 6 ج 1 ص 245.

² - المرجع نفسه، ص 147.

2- حازت كنيسة روما ثروة كبيرة جداً، ساعدتها هذه في زيادة قوتها وتنفيذ مشاريعها الإمبراطورية.

وتحققت السيادة الفعلية لكنيسة روما على كنائس الغرب في أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الميلاديين، وقد حدث ذلك في وقت تعمقت فيه الخلافات مع الكنيسة الشرقية في تفسير طبيعة المسيح وعلاقة عنصر الناسوت فيه بالعنصر اللاهوتي. وقد استمرت الخلافات، وتغيرت بنى الغرب السياسية، وظهرت الدول الجرمانية الأصل، وتطور الحال، إلى أن أقدمت البابوية في الغرب سنة 800م على بعث الإمبراطورية الغربية من جديد، وذلك عندما توج الملك البابا الفرنسي شارلمان إمبراطوراً، وتمكنت في القرن الحادي عشر أسرة يهودية اسمها "أليويوني" من السيطرة على العرش البابوي أكثر من مرة، وكان آخر من قدمته هذه الأسرة البابا أوربان الثاني الذي بشر بالدعوة إلى الحروب الصليبية⁽¹⁾.

إنه من خلال فهم الصراع الدائر بين الدول الناشئة في الغرب والسلطة البابوية من جهة، والصراع الدائر بين الكنيسة الشرقية والغربية من أجل الرعامة الروحية في العالم المسيحي، يمكن إدراك البواعث الحقيقية للحروب الصليبية والتي نجملها في مايلي:

1- إن السلطة البابوية أرادت من خلال دعوتها للحروب الصليبية ضد المسلمين أن تزعم العالم المسيحي روحياً، وبالتالي تقضي على منافسة الكنيسة الشرقية لها وبصفة نهائية.

2- إن تلك السلطة حينما نادت إلى الحروب الصليبية ضد المسلمين إنما كانت تكدف إلى القضاء على الخلافات الداخلية بين الدول الناشئة في الغرب، وتوحيد صفها في حرب على عدو خارجي مشترك هو الإسلام. وهذه الأسباب التي ذكرناها ونعتقد أنها الأسباب الجوهرية في الدعوة إلى الحروب الصليبية عضدتها أسباب أخرى غطت عليها، وغلفتها بأغلفة جعلت بعض الباحثين يغفلون الأسباب السابقة، والأسباب التي يذكرها الباحثون هي:

السبب العسكري: كانت القسطنطينية طيلة صمودها في وجه المسلمين [منذ سنة 13هـ] تمثل العدو اللدود والخصم العنيد، ولهذا كان أي خطر يهدد هذه المدينة بالاحتلال يعني انهيار خط الدفاع المسيحي، وفتح الباب على مصراعيه ليكتسح المسلمون القارة الأوربية، إن هذا الشعور هو الذي جعل أوروبا المسيحية تصفي إلى نداء الإمبراطور

¹ - ولهام الصوري: مرجع سابق ج 1 ص 17.

البيزنطي [alexis cominen] ألكسيس كومنين [1081-1118م]، واستنجاهه بالأمم الأوروبية المسيحية، والذي لم يكن في حقيقته سوى نداء لإنقاذ مركز المقاومة المسيحية الأول الصّامد أمام القوات الإسلامية منذ عدة قرون⁽¹⁾.

ادعاء إسداء الحجيج وانتهاك حرّيات الأماكن المقدسة المسيحية:

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، كانت البلاد الشامية، بما فيها القدس - قد شهدت أحداث حرب مهولة، حيث كانت ميدان كرك وقرّ بين القوات المصرية الشيعية [الدولة الفاطمية] وبين قوات السلاجقة السنية، ممّا جعل البلاد تعيش ظروفًا استثنائية، وهو الأمر الذي لا يبعد - والحال هذه - أن نجد الزوّار الأجانب والوافدون على بيت المقدس مضايقة وعنتاً⁽²⁾. ولكن ذلك لا يصل إلى مبالغات المسيحيين الذين أخذوا يهولون الأمر في أوروبا ويصمّون المسلمين بالتعصّب واضطهاد المسيحيين وانتهاك حرّيات أما كنهم المقدّسة وكانت أشهر شخصية من زوّار بيت المقدس وأكبر داع للحروب الصليبية، وتحييج الجماهير المسيحية، هو بطرس الناسك، هذا الزائر المسيحي الذي لم يمنعه وجود السلاجقة ببيت المقدس من زيارة القدس، وكنيسة القيامة، ورجوعه إلى أوروبا داعياً للحرب، ومثيراً للحماسة، ومستنقراً للعواطف والحرية التي مكّنته من الذهاب إلى بيت المقدس ورجوعه سالماً إلى وطنه بدون أذى كل ذلك يخفّف على الأقل من تلك الادعاءات التي أخذ يروّجها في مدن أوروبا وخاصة في فرنسا لإثارة الحروب الصليبية⁽³⁾.

ولكن من جهة أخرى، لا بمنعنا هذا من القول بأنّ حالة الاضطراب والانحلال التي استولت على الشرق الأدنى، قبيل الحروب الصليبية، كانت تضاييق زوّار بيت المقدس، وتلحق بهم نوعاً من العنت والإرهاق.

وعلى كل حال فإنّ ادعاء اضطهاد المسيحيين وانتهاك حرمة الأماكن المسيحية المقدسة من طرف المسلمين - إذ ذاك - كان من أبرز الأسباب التي اتخذت ذريعة لإثارة العواطف والقيام بالحروب الصليبية خصوصاً لدى الطبقات الشعبية المسيحية في أوروبا.

¹ - محمد العروسي المطوي: مرجع سابق ص 30.

² - المرجع نفسه، ص 32.

³ - المرجع نفسه، ص 32.

السبب الديني: إن الشعور الديني المحض كان موجوداً بل كان عدد من الذين شاركوا في الحروب الصليبية مدفوعاً بعاطفة دينية حيّاشة، ولكن هذا السبب كان يشمل طائفة فقط⁽¹⁾ ولم تكن خطبة البابا urbainII أوربان الثاني أقل أهمية من بقية الأسباب، فقد استعمل البابا جميع وسائل الإغراء لإثارة الحمية في الصدور فقد أعلن:

- غفران الذنوب

- التكفير عن المعاصي

- إعفاء حماة الصليب من جميع التكاليف المدنية والخطبة التي ألقاها في كلارمون

[clermant- ferrand] في 27 نوفمبر 1095- (488هـ)⁽²⁾، يمكن أن تعتبر تلخيصاً لجميع ماذكر.

السبب الاقتصادي: كان الحجاج الأوربيون- زوّار بيت المقدس- يعودون إلى ديارهم يحملون معهم تقارير وافية عن أحوال الشام والمشرق العربي من كافة النواحي وبالغوا في تصوير أحوال الرّفاه وتوفر الثروات وكثرتها، وكانت المنطقة تمثل للمسيحيين الفرنجة أرض الأحلام، ولهذا السبب ضرب البابا أوربان الثاني على الوتر الحساس بالنسبة لجموع المسيحيين، حيث قال في خطبته المذكورة سابقاً: "وليست هذه الحرب لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا يجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى، فاتخذوا محجة القبر المقدّس وخلصوا الأراضي المقدسة، من أيدي المحتلين، وأنتم أملكوها لذواتكم فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً"⁽³⁾

والواقع أن الكنيسة استغلت عوامل عديدة أدّت إلى الاستجابة العاطفية والاندفاع التعصبي الذي وُجد لدى المجتمع الأوربي إبان قيام الحروب الصليبية.

لقد كانت الحروب الصليبية والتي دامت في المشرق الإسلامي قرنين من الزّمان 1099م- 1289م- حلقة من حلقات الصّراع بين الشرق المسلم والغرب المسيحي، وكانت من الجانب المسيحي ردّاً على توسع الاسلام دينياً وجغرافياً، بعد سيطرة الغرب [المسيحي] لأكثر من ألف عام، على أغلب المناطق التي قام فيها الإسلام، وقد برز فيها التعصب المسيحي في أقصى

¹ - محمد العروسي المطوي: مرجع سابق ص 34.

² - المرجع نفسه، ص 35 .

³ - المرجع نفسه، ص 36.

درجات الانفعال والإثارة، كما برزت فيها الروح التوسعية الرومانية التي عاودتها الأطماع في الشرق بعد أن أخذ منها.

لقد كانت كيفية دخول الصليبيين بيت المقدس سنة 1099م والطريقة التي عاملوا بها سكان المدينة من المسلمين. دليلاً، على روح الحقد والانتقام، وعلى الهمجية والتخلف، وإتي أنقل فيما يلي بعض المقاطع مما كتبه رئيس أساقفة مدينة صور زمن الحروب الصليبية كشهادة مؤرخ مسيحي عايش الأحداث على ما ذكرناه من وحشية الصليبيين: يقول السيد ويليم: "اندفع الجنود هنا وهناك خلال شوارع المدينة [القدس] مستلين سيوفهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودونما تمييز، وقد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان... وتبع موكبهم حشد من الناس متعطشين لدماء الأعداء ومصمم تصميماً كاملاً على إبادةهم" (1). ثم يصف مشاهد الرعب والخوف قائلاً:

"لقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان من المدينة، مخيفة جداً وكان سفك الدماء رهيباً جداً، لدرجة عانى فيها حتى المنتصرون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز".

ولم يراع الجنود الصليبيون حرمة الأماكن المقدسة وتبعوا الفارين من الموت حتى داخل هذه الأماكن: "إن الكثيرين قد هربوا للالتجاء إلى الأروقة المقدسة للهيكل، ولذلك اندفعوا

بالإجماع إلى هناك، ودخلت مجموعة كبيرة من الفرسان والرجال وقتلت جميع الذين كانوا قد التجأوا إلى هناك، ولم تظهر أية شفقة لأي واحد منهم، وغمر المكان كله بدم الضحايا" (2).

وبالإضافة إلى أعمال القتل والتنكيل والتي أظهرت حقد الصليبيين على المسلمين، فقد كانت أعمال النهب والتخريب كاشفة لأطماع هؤلاء، والتي كانت تصور لهم الشرق على أنه جنة ساحرة يقول وليم: "واتفقوا قبل الاستيلاء على المدينة، إن كل رجل يحصل على أي شيء بعد الاستيلاء على المدينة بالقوة يكون حقاً له وملكاً إلى الأبد بدون ازعاج، ونتيجة لهذا فتش الجنود الصليبيون المدينة بدقة قصوى وقتلوا سكانها بجملة، وتغلغوا إلى أكثر الأماكن عزلة وبعداً، واقتحموا غرف الأعداء [يقصد المسلمين] الخاصة جداً، وعلق كل منتصردرة

¹ — وليام الصوري: مرجع سابق ص 435

² — المرجع نفسه، ص 436.

وأسلحته عند مدخل البيت الذي استولى عليه كإشارة لكل من يقترب منه حتى لا يتوقف عنده، بل يتجاوز ذلك المكان لأنه أصبح ملكية لشخص آخر⁽¹⁾.

وبعد هذه الشهادة من مسيحي متعصب لمسيحيته ومؤيد لكل ماحدث، وبعد شهادته السابقة عن كيفية دخول عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ورعايته لرجال الدين المسيحي، والأماكن المقدسة عند المسيحيين، فإن الحديث عن سماحة المسلمين وموقفهم من التعايش مع الآخر المختلف دينياً، وعن تعصب المسيحيين وحقدهم وموقفهم الإقصائي للآخر، يصبح تحصيل حاصل.

لقد بدأ الاحتلال الصليبي للرها 1098م، ثم أنطاكية سنة 1098 كذلك، ثم تبع ذلك احتلال بيت المقدس سنة 1099، ثم احتلال طرابلس سنة 1102، وظل الوجود الصليبي الغربي في المشرق العربي مدة قرنين من الزمان أي إلى غاية سنة 1289م، وهي السنة التي سقطت فيها آخر إمارة للصليبيين بالشرق وهي إمارة طرابلس، وبن بداية الحرب الصليبية سنة 1098م ونهايتها سنة 1289، شهدت هذه الحرب مداً وجزراً بين الصليبيين والمسلمين، وشهدت المنطقة أكثر من سبع حملات صليبية. وإذا كان الصليبيون قد قهروا بالشرق وخرجوا منه إلى لارجوع، فإن حرباً صليبية أكثر شراسة قد اشتعلت نيرانها بالمغرب الإسلامي، ولم يكن ما أصاب المسلمين على أيدي الصليبيين بالمغرب الإسلامي أقل من ذاك الذي أصاب إخوانهم بالشرق.

المطلب الثاني: الحروب الصليبية في المغرب الإسلامي :

بعد أن عمّ الفتح الإسلامي بلاد الأندلس التجأ بعض أشراف القوط وأعيانهم مع فلول المنهزمين إلى الناحية الشمالية لشبه الجزيرة [إبيريا] وكانت منطقة جبلية صخرية منيعة، فاستقروا بها واعتصموا بالجبال. وكانت هذه الجماعة هي نواة للممالك الإسبانية التي اتحدت وقاومت المسلمين فيما بعد.

ومن ناحية أخرى فإنّ الإسبان كانوا على المذهب الأريوسي⁽²⁾ الذي لا يقول بالوهية المسيح، عكس المذهب الكاثوليكي، ولقد حدث أن تخلى الإسبان سنة 577م، عن المذهب الأريوسي، واعتنقوا المذهب الكاثوليكي، وإن بقوا في بادئ الأمر لا يقرّون بسيادة بابا روما

¹ — وليام الصّوري: مرجع سابق، ص 437.

² — المرجع نفسه، ص 438.

عليهم، ولكن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت إسبانيا المسيحية تحت السيادة البابوية، وفي مقابل هذا الاعتراف نال الملك إدنا من البابا في محاربة المسلمين، من ربيع أحباس الكنائس الواقعة في ممتلكته، كما نصّب البابا أوربان الثاني المطران برنارد رئيساً أعلى للكنيسة الإسبانية، وبذلك أصبح للبابا أوربان الثاني نفوذ كبير في إسبانيا، وأصبح مسموع الكلمة في تعيين وعزل الأساقفة الإسبان وفي سنة 1089م، دعا إلى مساعدة الإسبان في حروبهم ضد المسلمين فاستجاب لندائه كثير من فرسان جنوب فرنسا، إذ لم تكن تلك الحروب إلاّ أعمالاً صليبية جليلة⁽¹⁾.

وفي مجمع كليرمون الذي أعلنت فيه الحرب الصليبية بالشرق، أراد المطران برنارد وعدد من القساوسة الإسبان المشاركة في الحروب الصليبية بالشرق إلاّ أنّ البابا أوربان منعهم من ذلك، لأنّه حرّم فيه على رجال الدين والفرسان الإسبان المشاركة في صليبيات الشرق، لأنّ محاربة المسلمين بإسبانيا هي بنفس قدسية الحرب الصليبية الشرقية، وقد ترتب على ذلك أنّ هرع الكثير من الفرسان من مختلف أوروبا إلى الأندلس ليساهموا في حرب صليبية هي أقرب سبيلاً وأيسر مشقة. ولما أسفرت الحرب الصليبية الأولى في الشرق عن نجاحها أعلن البابا pascal II باسكال الثاني الحرب الصليبية ضد مسلمي الأندلس⁽²⁾.

كما أصبح من المألوف أن يأذن البابا لملوك الإسبان في استعمال أموال الكنائس لمحاربة المسلمين، وكانت البعثات الصليبية الواردة من شمال أوروبا لا ترى مانعاً إذا تعطلت في سيرها أن تُعين ملوك الإسبان في حروبهم ضد المسلمين⁽³⁾.

وفي سنة 1244م، أصدر البابا غريغوري التاسع قراراً وعد فيه المسيحيين الذين يحاربون مع ملك البرتغال [صانشو الثاني] بغفران ذنوبهم كما لو كانوا في الحروب الصليبية بالأراضي المقدسة⁽⁴⁾ وفي نفس الوقت كانت نيران الحرب التي أعلنها الصليبيون في المشرق الإسلامي متسعة، ممّا شجّع الإسبان على حرب المسلمين، وإعلان الحرب الصليبية في المغرب، واشتهرت

¹ — نسبة إلى أريوس: وهو كاهن مصري من أصل لبني مولود سنة 256م، كان قوله إنّ الله واحد غير مولود ولا

يشاركه أحد في ذاته، ولهذا السبب أدين في مجمع نيقيا 325م، وكفر

² — محمد العروسي الطوي: مرجع سابق ص 191 .

³ — المرجع نفسه، ص 192 .

⁴ — المرجع نفسه ص 244 .

عند الإسبان بحرب الاسترجاع "reconquista" فقد عمل الإسبان على استرجاع الأراضي التي فتحها المسلمون، والتي زادت استفحالاً بعد اضمحلال دولة الموحدين، وعدم وجود دولة قوية في المغرب الإسلامي تستطيع إنقاذ الأندلس من الخطر، وهكذا سقطت طليطلة ثم قرطبة، ثم مدينة إشبيلية، واستمرت مملكة غرناطة قائمة بعد سقوط إشبيلية أكثر من قرنين ولكن تحاذل بني الأحمر، واتحاد مملكتي قشتالة وأرغونة على قتالهم، أفضى في نهاية الأمر إلى سقوطها سنة 1492م في الثاني من شهر جانفي⁽¹⁾.

وكما كشفت الحروب الصليبية في المشرق عن روح العداوة والحقد الدفين عند المسيحيين، فإن الحروب الصليبية في المغرب كشفت هي الأخرى عن حقد صليبي أعمى، غذاه البابوات حتى أتى على الوجود الإسلامي بالأندلس.

1- لقد كانت وثيقة تسليم غرناطة في [1492/01/02] تشتمل على [67] سبعة وستين شرطاً، تضمن احترام المسلمين في دينهم وأموالهم وحريتهم وأمنهم وسلامتهم والسماح بالهجرة لمن أراد الخروج إلى البلدان الإسلامية، وكان لشرط اختيار الهجرة أن رحل الكثير من المسلمين إلى الشواطئ الإفريقية، فراراً بدينهم وعزتهم. وتبعاً للتعصب الديني والحقد، واستجابة لتحريض الكنيسة، خصوصاً مساعي الكاردينال "كليمانس" لدى الملكة إزابيلا، نقضت شروط الأمان التي منحت للمسلمين مقابل تسليم غرناطة، فبدأت الدعوة إلى تنصير المسلمين بطريقة الاختيار، ثم كان قانون سنة 1499م، الذي يقضي بتنصير المسلمين جبراً⁽²⁾، وتحريم إقامة شعائرهم الدينية، وإغلاق المساجد، وعمد الكاردينال كليمانس إلى الكتب الإسلامية الموجودة بغرناطة فأتلفها، فأحرق منها مئات الآلاف، ولم يُبق إلا ثلاثمائة كتاب في الطّب⁽³⁾.

¹ — محمد العروسي المطوي: مرجع سابق، ص 246 .

² — المرجع نفسه، ص 250.

³ — المرجع نفسه ص 251.

2- لقد صدر قانون بإكراه المورييسكيين⁽¹⁾ على ترك ألبستهم الخاصة، وحرّم عليهم الاحتفالات بالختان والزواج، فقد كان عليهم أن يتزوجوا على الطريقة المسيحية، وأن يتخذوا لهم أسماء مسيحية، ويتجنبوا تسخين الحمام يوم الجمعة، وأن يحلقوا لحاهم، ويقصّوا شعورهم على الطريقة المسيحية، وأن يتخلّوا عن استعمال الحجاب، وأن يمتنعوا عن الاحتفال بالأعياد الإسلامية.

3- في عهد الملك فيليب الثالث [1598م] تمّ تحويل جميع المساجد إلى كنائس مسيحية، وتنصير من بقي من المسلمين على دينه، أو يخرج من إسبانيا في مدّة معيّنة، وإلاّ كان مصيره العبودية طوال الحياة. وكانت الكنيسة دائمة التحريض على الفتك بالمسلمين وعدم الاغترار بادعائهم المسيحية، ولا يزال رجال الكنيسة يثيرون غضب فيليب الثالث حتى استجاب لذلك، وعقد مجلساً دينياً كبيراً بإشارة البابا، ثم تعدّدت المجالس، حتى أصدر امر الجلاء والتّفي في 1609/12/22م، وحُشدت السفن في مختلف الجهات، فذهب البعض إلى فرنسا وإيطاليا [بشرط الاستمرار على الكاثوليكية]، وذهب البعض إلى مصر والاسطانة [اسطنبول]، لكن الأغلبية الساحقة منهم نقلوا إلى سواحل المغرب العربي، وعلى هذه الصورة المربعة والمؤلة انتهى أمر المسلمين بالأندلس، لتبدأ صفحة جديدة من الحرب على المسلمين في شمال إفريقيا.

الصّراع الإسلامي المسيحي في شمال إفريقيا:

قبل بحث الصّراع الإسلامي المسيحي [الإسباني] في المغرب العربي والذي كان سببه الأول الحرب الصّليبية التي شنّها الصّليبيون الإسبان على المسلمين في الأندلس، وتتبعهم لهم في بلاد المغرب العربي، نذكر أنّه عندما كانت النكبة تحلّ بالمسلمين في الأندلس على الصّفة التي ذكرناها، وعندما كان نجم المسلمين يأفل ببلاد الأندلس والمغرب الإسلامي الأوربي، كان هناك نجم الدولة التركية العثمانية، التي نمت في أوربا ببلاد الأناضول، ثم تدفقت سيلاً إسلامياً عارماً على ما يليها من أقطار أوربا وإفريقيا وآسيا لقد أخذت الفتوحات المدهشة تتوسع بصفة غريبة وأخذت الممالك والإمارات النصرانية تسقط تحت ضربات الفاتح العثماني

¹ - المورييسكيون: المسلمون العرب الذين أجبوا على ترك الإسلام واعتناق المسيحية.

واستفاقت المسيحية فإذا بها تقف أمام خطر جد عظيم يهدّد كيانهما في الشرق الأوربي حينما كانت تبذل الجهود للتخلّص من دولة الإسلام في المغرب الأوربي [الأندلس]⁽¹⁾. لقد كانت الفكرة الأساسية عند الدولة العثمانية، خلال القرون الوسطى وما بعدها هي أنّ الإسلام كلّهُ في حالة حرب مستمرة مع المسيحية كلّها وقد كان فتح القسطنطينية سنة 453م، نكبة كبيرة أصابت المسيحيين في الصّميم.

وأما عن بلاد المغرب فكانت مفكّكة سياسياً في القرن السادس عشر، وبها ثلاث دول الحفصية في تونس، ودولة بني زيان في الجزائر ودولة بني مرين في مراكش، وكانت هذه الدول مضطربة داخلياً وفي نزاع مستمر فيما بينها، وكانت تتعرض لغزوات الإسبان الانتقامية من المسلمين الذين غادروا الأندلس وعاشوا في شواطئ المغرب، يشنون الغارات الانتقامية على شواطئ إسبانيا⁽²⁾.

وقد تعرض الشمال الإفريقي لحملات متتابة نجح بعضها، وأتاح للمسيحيين أن يحتلوا بعض بقاعه، فاحتل الإسبان طرابلس سنة 1510م، وظلّوا بها حتى سنة 1530م، كما احتلوا طنجة وأغادير ووهران، وغيرها من مدن السواحل بالإضافة إلى ذلك كان للفرنجة نفوذ كبير لدى بلاط بعض ملوك الشمال الإفريقي واتجه المسلمون لمقاومة الإسبان والبرتغاليين عن طريق المحرم الخاطف بالبحر المتوسط، كما تطّلع أهل المغرب المسلمون لأكثر قوّة إسلامية "الدولة العثمانية" لحمايتهم، ولمواجهة خطر الإسبان وغاراتهم المتكررة وبذلك امتدّ سُلماً ملك العثمانيين إلى المغرب العربي حتى حدود الجزائر الغربية، وبقي الجزء الغربي [المغرب الأقصى] حيث قامت به دولة الأشراف [بمراكش]. ولكن العثمانيين أحاطوا العالم الإسلامي بسيّاح منيع من العزلة، حيث عزلوه نهائياً عن أوروبا، وضعف المسلمون في كل مكان، وبينما كانت أوروبا قد دخلت في عصر النهضة، وتواصل السير قدماً في طريق التقدم الاقتصادي والتفوق الفكري، كان المسلمون يزدادون جهلاً وتدهوراً، ونسوا ما كانوا فيه من وعي وفكر وثقافة، ونسوا تراثهم أوكادوا، وانتشرت الخرافات وعمّ الجهل⁽³⁾.

¹ — أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة بين الجزائر و إسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (د.ت) ص 59.

² — د/ عصام الدين عبد الرزاق الفقي: معالم التاريخ الاسلامي، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت) ص 346.

³ — أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي ج 4، ط 7، 1984 مكتبة النهضة المصرية القاهرة ص 118.

إذن كانت أوروبا تزداد تقدماً في جميع المجالات الاقتصادية والفكرية والفنية والاجتماعية، والمسلمون يزدادون تخلفاً وفقراً وضعفاً لذلك فالدولة العثمانية عليها مسؤولية كبيرة فيما أصاب العالم الإسلامي من تخلف.

وقد لعبت الامتيازات الأجنبية التي أبرمتها الدول الأوروبية مع السلطان العثماني والتي طبقت في البلاد العربية نتيجة لوقوعها تحت الولاية العثمانية، دوراً خطيراً في تسهيل وقوع الشعوب العربية في قبضة الاستغلال الاستعماري الأوربي، خصوصاً بعد أن ضعفت الدولة العثمانية⁽¹⁾ وقد فتحت المعاهدة التجارية التي أبرمت بين إنجلترا وتركيا عام 1838م، والتي أقرت حرية التجارة، الطريق لدخول البضائع الانجليزية إلى الأسواق العربية، حتى ازداد حجمها في الإمبراطورية العثمانية في عشر سنوات 1840-1850، حوالي ثلاث مرات، وجاءت المعاهدات التي أبرمت على غمطها مع فرنسا وبلجيكا وهولندا وبقية الدول الأوروبية لتفتح الباب على مصراعيه للبضائع الأوروبية، مما أدى إلى انهيار المراكز الصناعية القديمة في البلاد العربية وانقراض كثير من الحرف والصناعات فيها. وقد أدّى تطوّر التجارة الخارجية إلى توسيع طرق المواصلات كفتح قناة السويس، وفتح خطوط السكّة الحديدية بين تونس والجزائر⁽²⁾.

وقد ضعفت الدولة العثمانية كقوة عسكرية، وأصبحت عاجزة عن حماية ممتلكاتها، وتقدمت الصناعة في أوروبا وقويت جيوش إنجلترا وفرنسا بصفة خاصة، وتطلّعت لغزو الشرق، وكان نتيجة الانقلاب الصناعي في أوروبا، تطلّع الأوروبيين إلى تعريف منتجاتهم وفتح أسواق جديدة، ورأوا أنّ خير وسيلة لذلك هو الاستعمار⁽³⁾. وكانت الجزائر أول الدول العربية التي تعرضت للغزو في مرحلة التطوّر الرأسمالي الصناعي، فسقطت تحت سيطرة فرنسا عام 1830م، وكان حكام فرنسا يعتبرون الجزائر سوقاً خارجية ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية، وبعد الغزو اتخذ الرأسماليون الفرنسيون الجزائر سوقاً لبضائعهم ومصدراً للمواد الخام. وسقطت تونس في ماي 1881م، وفي جويلية من العام 1882م، كانت مصر قد لحقت بتونس ونحوّلت إلى مستعمرة من قبل الغزو العسكري البريطاني، ولما كان السودان جزءاً من مصر فقد وقع بالتالي في قبضة الانجليز وفي عام 1912م، استولت فرنسا على مراكش، ووقع

¹ — عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: مرجع سابق ص 347.

² — عبد العظيم رمضان: الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار المعارف القاهرة 1985 ص 19.

³ — المرجع نفسه: ص 22.

القسم الشمالي من مراكش في يد الإسبان سنة 1926م، وفي ليبيا بدأت إيطاليا غزوها في عام 1911م، واستغرق إخضاعها عشرين عاماً، أي حتى عام 1931م، ووفقاً لاتفاقية سايكس بيكو 1916م، اقتسمت فرنسا و إنجلترا منطقة المشرق العربي، فخصّ فرنسا القسم الأكبر من بلاد الشام، ومنطقة الموصل في العراق، وخصّ إنجلترا المنطقة الضيقة الممتدة من سوريا الجنوبية حتى العراق وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، نشأت على أنقاض الوحدة السياسية الجغرافية لبلاد الشام ثلاث وحدات سياسية هي: سوريا ولبنان وفلسطين ووضعت سوريا ولبنان معاً تحت الانتداب الفرنسي، ووضعت فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني⁽¹⁾. وسقطت الدولة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وبذلك زالت الخلافة الإسلامية نهائياً، وانتهى آخر مظهر لوحدة المسلمين، بعد ضربات متتالية وغير منقطعة من طرف الصليبيين دامت أكثر من ثلاثة عشرة قرناً لتستمر بعد ذلك في [أشكال أخرى] وتظهر في مظاهر شتى ولكنها تحمل نفس الروح القديمة.

المطلب الثالث: الحرب الصليبية على الجزائر:

إنّ الحديث عن الحرب الصليبية المتجددة، خلال القرون الأخيرة، ضد العالم الإسلامي، يحتاج إلى الكثير من الوقت ولست هنا بصدد ذلك، وإنما أنا بصدد الوقوف عند بعض النماذج من أزمنة تاريخية متفاوتة للاستدلال بها على استمرار الحرب الصليبية منذ الأزمنة الأولى للإسلام وحتى اليوم وسأقتصر في دراسة هذه الحرب في العصور الحديثة على نموذج أراه يحسّد تلك الحرب بكل قوتها وعنقواها إنّه الحرب على الجزائر، أما عن الأسباب التي جعلتني أقتصر على هذا النموذج دون غيره فكثيرة أجملها فيما يلي:

1- إنّ الحرب الصليبية في الجزائر الحديثة استغرقت أطول مدّة تاريخية حيث دامت أكثر من قرن وربع القرن.

2- إنّ الحرب الجزائرية الفرنسية كانت صليبية بآتم معنى الكلمة، حيث كانت للجزائر الزعامة في الجهاد في المغرب العربي، كما كانت فرنسا تنزعّم الدّول الكاثوليكية على الشاطئ المقابل

¹ - عصام الدين عبد الرزاق الفقي: مرجع سابق ص 348.

وكان جهاداً بحرياً، استمر عدّة قرون، وفرض على دول مسيحية أتاوات منتظمة للجزائر. فكان احتلال الجزائر بعد تحطّم أسطولها البحري من طرف فرنسا انتقاماً مسيحياً.

لقد بعث وزير الحربية الفرنسي آنذاك رسالة للملك فرنسا جاء فيها:
" لقد أرادت العناية الإلهية أن تتأثر حمية جلالكم للقضاء على ألد أعداء المسيحية ولعلّه لم يكن من باب الصدفة أن يدعى لويس التقي لكي ينتقم للدين والإنسانية... وربما يسعدنا الحظ لنشر المدنية بين السّكان الأصليين وندخلهم لنصرانية"⁽¹⁾.

3- إنّ العمل التنصيري في الجزائر كاد يأتي على مقومات الشخصية الجزائرية، لقد استهدف ذلك العمل:

-أ- اللّغة العربية: حيث فرض على الجزائريين التّعلم باللّغة الفرنسية كما فرضها إداريا في كل القطاعات، وحارب المدارس التي تعلم اللّغة العربية ومبادئ الدّين الإسلامي.

-ب- التاريخ: حيث صوّر التاريخ الذي يدرس في المدارس لأبناء الجزائر العرب والمسلمين غزاة محتلين، وصوّر الاحتلال الفرنسي على أنّه محرر وناشر للمدنية.

-ج- الجغرافيا: من بين ما كان يلقّن لأبناء الجزائريين في المدارس أنّ الجزائر قطعة من فرنسا انفصلت عنها بفعل عوامل جغرافية مختلفة، وفرنسا كل الحق في استعادتها من المحتلين العرب.

-د- الدّين الإسلامي: حيث منعت سلطات الاحتلال الفرنسي العلماء الجزائريين من تعليم الشعب الجزائري، وفتحت الباب أمام الطّرقين والزوايا، حتّى تعطي للقرآن تأويلات تجنح به عن الإطار الصّحيح الذي يبعث في الجزائريين روح المقاومة والثورة.

وهكذا كان الباعث الحقيقي لنشاط التنصير في الجزائر هو القضاء على الإسلام لفتح المجال أمام المسيحية، بهدف انقازها من تأخرها وبإدخالها في إطار الحضارة العالمية المسيحية، وبناء على هذا، يتضح أن الهدف الحقيقي- في نظرهم- هو هدف حضاري يستند إلى تعاليم المسيحية، لكن الحقيقة غير ذلك، إذ يربط أغلب المبشرين والمفكرين بين التبشير والاستعمار، ويرون أن لا تناقض بينهما، مادام الاحتلال يرمي إلى نفس الهدف الذي يقصد إليه التبشير ألا وهو إنقاذ الأمم من حالة التخلف.

¹ - عديّة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، دار دحلب الجزائر 1992 ص ..

وقد صرّح النائب الفرنسي فرناند أنجران قائلاً: إنّ المبشر يعمل من أجل ازدهار الفكرة الاستعمارية للبلاد الذي ينصرها وذلك برفع المعنويات الروحية والأخلاقية للأهالي... وأنّ النشاط التبشيري والنشاط الاستعماري شيان متلازمان لأنّ الهدف الأسمى للاحتلال، هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمرين⁽¹⁾. وعلى هذا الأساس يعتبر التنصير من المقاصد الأولى التي يرمي إليها الاحتلال. ومن هنا نلمس الدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة، بحيث أنّ قرار شارل العاشر في الغزو كان مدفوعاً من الأسقف الكبير وزير الشؤون الدينية فرسينوس الذي كانت من ورائه روما⁽²⁾. وقد أكّد الملك شارل ذلك حينما خاطب كل أساقفة المملكة قائلاً لهم :

" إنّ مرادنا أن تنظّموا صلوات في جميع الكنائس، داعين الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر"، وتما يمكن ذكره، أنّ الجانب الحكومي سرّاً سوف يحققه جيش الملك من انتصار لآته انتصار في سبيل البعث الديني بإفريقيا، وبعث كيان Saint augustin القديس أوغسطينس⁽³⁾. أما في نظر الساسة وغيرهم فيعني عودة إفريقيا الرومانية ثانية إلى المسيحية وخاصة المدن التي ازدهرت في العهد الروماني.

قد علّقت الصحافة على الطابع الديني للاحتلال، وذكرت أن عمل القنصل duval دوفال كان بوحى من الفاتيكان، وكذلك الحال لعمل بكري وبوشناق، فروما استبشرت خيراً بغزو الجزائر واعتبرته عملاً مقدساً لفائدة المسيحية.

مظاهر الحرب الصليبية في الجزائر المحتلة:

1- لقد جاء في المعاهدة التي حرّرها قائد حملة الاحتلال ووقعها الداوي حسين أنّ السلطات الفرنسية ستحترم الأملاك والنساء والديانة، ولكن الجنرال قائد الحملة نفسه، أسرع لإقامة صلاة بالقصبة شارك فيها الجيش ورجال الدين، وخطب فيهم قائلاً: لقد أعدتم معنا فتح باب

¹ — Paul Lesord : l'oeuvre civilisatrice et scientifique des missions catholique Paris 1931 P15.

² — Michel Habart Histoire d'un parjure Paris 1960. page 173

³ — ولد في سوق أهراس سنة 355م، ومات سنة 430، كان أسقفاً على مدينة بون [عناية] وهو من أكبر الكتاب. في الفلسفة واللاهوت من كتبه: مدينة الله، واعترافاته

المسيحية لإفريقية وتنمى في القريب أن نعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن طويل⁽¹⁾. وفي نفس الوقت كان الملك شارل العاشر يحضر قداساً يحمد الله الذي نصره على الأعداء . ويصف حمدان خوجة، الذي عاش وشاهد تصرفات الفرنسيين، ماوقع منهم فيقول: "إنّ السلطة استولت على مساجدنا ومعابدنا ولم يبق من هذه الأماكن إلاّ الربع"⁽²⁾.

2- في 07 ديسمبر 1830، أصدر الجنرال كلوزيل قراراً، استهدف ضم كل الاملاك الدينية (الأوقاف الدينية) إلى مصلحة أملاك الدولة وقد كان هذا القرار ضربة للدين وللثقافة الإسلامية، لانعكاس آثاره على الحياة الدينية والاجتماعية للسكان⁽³⁾. ذلك أنّ الأوقاف لعبت دوراً كبيراً في العهد العثماني وخاصة في مجال التعليم ونشر الثقافة وخدمة الفقراء والدين والعلم وقد كان عددها في أيام الاحتلال ما يقرب من 266 ملكية.

ولقد تصرفت السلطات الفرنسية في الأوقاف تصرفاً يناهض اتفاق جويلية الذي نصّ على احترام الديانة الإسلامية، فقد حوّلت الكثير منها إلى كنائس وإلى مراكز طبية وإدارية، ومنها ما استؤجر لكبار التجار لتخزين بضائعهم، ومنها ما بيع وما تعرض للهدم من أجل توسيع الطرقات، وتكوين الساحات العامة، وكان جامع السيدة أول مسجد تعرّض للهدم بدعوى إقامة ساحة داخل المدينة هي ساحة الشهداء اليوم تستعمل للدفاع في حالة المظاهرات والانتفاضات⁽⁴⁾.

3- من المحاولات الأولى التي قامت بها السلطات الفرنسية في الجزائر محاولتها تمسيح الوسط الجزائري، وذلك من خلال هدم المساجد وتحويلها إلى كنائس بحجة إقامة الشعائر الدينية المسيحية بها. وما فعلته تلك السلطات بمسجد كتشاوة دليل على ذلك. لقد تم تحويل هذا المسجد إلى كنيسة في عهد الدوق دوروفيكو، وتذكر المراجع أنّه سعى لدى المسلمين ليتنازلوا عنه وتمّ ذلك برضى مفتي المدينة، وهو مصطفى الكبابطي الذي كتب يقول: "لئن

¹ — Gabriel Esquer: La prise d alger Paris 1921 p 32

² — حمدان بن عثمان خوجة: المرأة تعريب وتعليق محمد بن عبد الكريم ، بيروت 1972 ص 283.

³ — خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية في الجزائر، ص..

⁴ — حمدان بن عثمان خوجة: مرجع سابق ص 222.

تحولت الشعائر في مسجدها، فإن ربه لم يتحول، وقد كان في استطاعتكم أن تأخذوه قسراً لكنكم فضلتم الطلب على القوة⁽¹⁾.

والملاحظ من هذا القول، أنه لم يكن عن طيب خاطر كما يبدو منه، بل كان عن خوف، فطريقة الاستيلاء عليه لم تكن بهذه الكيفية، وإنما عن طريق القوة التي استعملها دوروفيقو بعد موقف السكان المعارض له.

لقد عمد هذا الدوق إلى تكوين لجنة يرأسها السيد بربريجد، ويقتسم عضويتها علماء المدينة، من بينهم المفتي ابن الكبابي وبعض أعيان المدينة، وأثناء اجتماع اللجنة أبدى الجزائريون تمسكهم باتفاقية 1830/7/5 وأبدوا عدم موافقتهم على تسليم المسجد، واشتد غضب الجنرال على المعنيين وأراد القبض عليهم، ويدخل المسجد بالقوة، ثم أعطى أمراً للجيش باحتلال المسجد بالقوة في 1831/12/17م، وأثناء محاصرة الجيش للمسجد كان حوالي 4000 مصلٍ قد اعتصموا به ولكن الجيش تلقى أمراً بكسر الأبواب، وإطلاق النار على المصلين⁽²⁾.

ولقد اختار القسيس كولان يوم 24 ديسمبر 1832، أي مناسبة عيد الميلاد المسيحي، لتمسيح المسجد وجعله كاتدرائية القديس فيليب وبمناسبة هذا الحدث بعثت الملكة اميلي - زوجة لويس فيليب - هدايا وهي عبارة عن زخارف الكنيسة الجديدة، أما الملك فقد أرسل ستائر من القماش الرقيق، وبعث البابا غريغوري السادس عشر تمثيل للقديسين للتبرك بها، وأعرب على امتنانه وشكره للذين قاموا بهذا العمل⁽³⁾، وإن دلّ على شيء فإنما يدل على تأزر السلطة الرسمية بباريس، والعسكرية بالجزائر، والروحية بروما على إحياء الكنيسة الإفريقية، التي كثيراً ما حلموا بعودتها، ويمكن اعتبار الحدث تظاهرة رسمية للمسيحية بالجزائر، بسبب موقف البابا والملك معاً.

4- اتفق البابا غريغوري والملك لويس فيليب على تأسيس الأسقفية بالجزائر يوم 1838/8/8، وكان ANTOINE DE PECHE أنطوان ديبش أول أسقف لها، وكان متحمساً للمسيحية،

¹ — طاهر بشوشي: تاريخ مسجد كمشاوة، مجلة الأصالة عدد 14 و15 ص 893.

² — Charles AndreJulien :Histoire de L Algerie Contemporaine Paris 1964 p 64.

³ — Charles AndreJulien :Histoire de L Algerie Contemporaine :PAGE 91

يدفعه في ذلك طموحه في إحياء الكنيسة الإفريقية وإلى تنصير السّكان وقد عبر عن ذلك عند قدومه إلى الجزائر: "يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي... وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية"⁽¹⁾ وكان الملك لويس فيليب يتفق مع الأسقف، في أنّ تنصير العرب أمر لا بد منه، حتى تتم رسالة فرنسا الحضارية على أحسن وجه في الجزائر.

5- يعتبر يوم 1839/4/15، التاريخ الذي بدأت فيه المراسلات بين روما ومدينة ليون، وهي مركز اليسوعيين، وموضوعها بعث مبشرين منهم إلى الجزائر وقد وصل أعضاء هذه الفرقة الدينية إلى الجزائر عام 1840م، وتمركزوا بمدينة الجزائر وقسنطينة وفي معسكر فيما بعد، وقد قال مسؤول الفرقة بمدينة ليون: "إن الغرض من رسالتنا في إفريقيا هو تنصير العرب"⁽²⁾ وقد قامت هذه الفرقة بتأسيس الجمعية الأوربية الدينية للقديس أوغسطين عام 1844م، وكان الهدف منها:

- بعث الثقافة الدينية المسيحية بالجزائر عن طريق إحياء كتابات القديس أغسطين، وكذلك عن طريق دراسة الكنائس القديمة بإفريقيا بهدف إثبات الماضي المسيحي⁽³⁾.

6- أراد لفيجيري (الكاردينال) بسط النفوذ الفرنسي في إفريقيا، وذلك بواسطة تحبيب فرنسا باسم السيد المسيح، ولهذا أسّس سنة 1869 فرقة الآباء البيض شهرماي، وفي سبتمبر من نفس السنة أسّس فرقة الأخوات البيض، اختلفت هذه الفرقة عن سابقتها لأنّ أعضائها تخلوا عن خصائص رجال الدين في اللباس وغيرها، وتقربوا إلى الأهالي باتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم في لباسهم ولغتهم⁽⁴⁾، حتى يكون احتكاكهم بالأهالي قويا ومفيداً.

لقد كان تأسيس فرقة الآباء البيض انطلاقة كبيرة في الميدان التبشيري وذروة هامة بلغها التبشير في الجزائر، بل وفي إفريقيا، فبفضل هذه الفرقة تمكّن لفيجيري من أن يركز نفوذه وذلك بتأسيس عدّة مراكز تبشيرية في كل أنحاء البلاد، وكان أهمها تلك المراكز التي أسّسها في منطقة القبائل الكبرى والصحراء.

¹ - Charles Andre Julien : Histoire de L Algerie Contemporaine PAGE 96.

² - Georges Goyou : la Societé des Missionnaires d'afrique des pères Blancs, Paris 1924.

p 31- 32

³ - خديجة بقطاش: مرجع سابق ص 60.

⁴ - المرجع نفسه ص 60.

ولقد كان الإسلام أهمّ عوامل مقاومة الاحتلال، وكان الحفاظ على مقوّمات الشخصية العربية الإسلامية للأفراد والشعوب، أمام حملات التبشير المدعومة بالسلطات الاستعمارية، من أصعب المهمّات التي واجهها المسلمون. ولهذا شهدت فترة مابعد الاستعمار حملة عداء قوية جداً ضد الإسلام، وإن كانت في هذه الفترة تحت عناوين أخرى أشهرها "محاربة الإرهاب". لقد أصبح الإسلام بعد أحداث 2001/09/11، في نظر الغرب، الدّين الذي يشجع الإرهاب والعدوان، وأصبح المسلمون متّهمين بالعنف والدموية، ويبدو من الحملة الإعلامية الكبيرة ضد الإسلام، أنّ العالم استيقظ فجأة ليرى أمامه ديناً جديداً غريباً يسمى الإسلام، لإرهاب العالم، متجاهلاً أنّ هذا الدين كان دافعاً ومحرّكاً للمسلمين لبناء حضارة مزدهرة قدّمت للإنسانية على مدى قرون طويلة عطاءً حضارياً ثرياً، وكان أيضاً من عوامل النهضة التي شهدتها أوربا، والتي مهّدت السّبيل للحضارة الحديثة. وإنّ الفارق بين الصورة المضيفة للإسلام تاريخاً وحضارة، والصّورة التي رسمها الغرب المسيحي عن الإسلام ومازال يعمل على نشرها، يدعونا إلى الوقوف على أسبابه ومنطلقاته الفكرية والآهوتية.

الفصل الثالث:

المنطلقات الفكرية واللاهوتية لصراع المسيحية مع الإسلام.

المبحث الأول: نشأة المسيحية وطبيعة تكوين الكنيسة وموقفها من المخالفين.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة من الإسلام.

المبحث الثالث: الكنيسة والدعوة إلى الحوار.

المبحث الرابع: مواقف العلماء المسلمين من دعوة الكنيسة إلى الحوار.

تمهيد:

إنَّ عداء المسيحية للإسلام، وصراعها معه طيلة قرون عديدة، رغم ما كان من مبادرات المسلمين إلى إعلان مبدأ الإخاء الديني مع أهل الإيمان كلهم بدءاً من المرحلة المكية، حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم في الأزمنة التالية التي حقق فيها المسلمون مبدأ التعايش مع أتباع الأديان المخالفة في واقعية لم تسبق في التاريخ، يحتاج إلى الوقوف على منطلقاته وأسسها اللاهوتية والفكرية ودوافعه النفسية. وإنَّ هذا الأمر يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن تاريخ المسيحية وظروف تكوينها ونشأتها، وعلاقتها باليهودية من حيث طبيعة التكوين.

المبحث الأول: نشأة المسيحية، وطبيعة تكوين الكنيسة، وموقفها من المخالفين.
المطلب الأول: نشأة المسيحية:

إنَّ التراث المسيحي المكتوب، والذي تعترف به الكنيسة كمصدر للديانة المسيحية، يعتمد على قسمين أولهما: العهد القديم: وهذا القسم هو الكتاب المقدس بالنسبة لليهود. أما القسم الثاني فهو: العهد الجديد: والمتكوّن من الأسفار التاريخية (وهي الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل). وكذلك الأسفار التعليمية (وهي مجموع الرسائل الإحدى والعشرين + رؤيا يوحنا). وقد استقر عند الكنيسة كما استقر عند عامة المسيحيين التسلسل التاريخي لكتابة هذه النصوص بافتراض أنَّ الأناجيل الأربعة قد دوّنت جميعها في عهد المسيح، وأنَّ أعمال الرسل قد دوّنها القديس لوقا أحد تلاميذ المسيح، وأنَّ رسائل بولس كتبت بعد الأناجيل لأنَّ بولس قد ظهر بعد المسيح.

ولكن هذا الافتراض لم يصبح صحيحاً ومسلماً به عند الباحثين المسيحيين أنفسهم منذ القرن السابع عشر، فمنذ هذا التاريخ أصبح موضوع تاريخية النصوص المقدسة المسيحية، أهمّ الموضوعات التي شغلت مجال البحث عند مؤرخي الأديان، وقد استقر رأي هؤلاء بشكل يصل إلى الإجماع على أنَّ التسلسل التاريخي لهذه النصوص هو كالاتي:

- أولاً: رسائل بولس وتشمل:

- رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي عام 50م.

- رسالة بولس الأولى إلى أهل روما وكورنثس وتسالونيكي II عام 57م

-رسالة بولس الأخيرة عام 63م.

ثانياً: إنجيل مرقس عام 64م والذي كتبه يوحنا مرقس الذي لم يكن معاصراً لعيسى المسيح، بيد أنه كان من المقربين للرسول بطرس.

ثالثاً: أعمال الرسل بعد عام 64م وقد كتبها لوقا الذي كان يعمل كطبيب يوناني في أنطاكية، وكان من تلاميذ بولس وأسس كنيسة في هذه المدينة.

رابعاً: إنجيل لوقا ما بين عام 80 و90م

خامساً: إنجيل متى ما بين عام 80 و90م

سادساً: إنجيل يوحنا وقد ظهر في أواخر القرن الأول الميلادي⁽¹⁾. ومن هنا يتضح أن جميع الكتب المقدسة في العهد الجديد المعترف به من قبل الكنيسة قد تأثرت بشكل كبير بأفكار وأراء بولس، على الرغم من اختلاف هذه الأفكار والأراء جذرياً مع طبيعة رسالة المسيح عليه السلام.

وإن من نتائج هذا التأثير حسب بعض الباحثين المسيحيين، أن الكتاب المقدس المسيحي وترتيبه التاريخي يصبح وثيق الصلة بالعهد القديم، فقد جاء في تعليق للترجمة المسكونية للعهد الجديد مايلي :

" إن الإنجيل لم يضاف شيئاً إلى العهد القديم ، بمعنى أن مارود في الإنجيل قد ذكر سابقاً في العهد القديم. فما يهم [كاستنتاج من الإنجيل] هو إثبات أن الإيمان المسيحي في الأصل هو ضمن إيمان بني إسرائيل"⁽²⁾. وإن بولس- وهو مؤلف العهد الجديد بدون منازع يحاول من خلال رسائله إرساء الاستمرارية بين العهدين القديم والجديد، ويحدد سفر أعمال الرسل بوضوح أن بولس يتكلم عن عيسى استناداً إلى شريعة موسى والأنبياء⁽³⁾. وليس أكثر دلالة على ذلك من كلمة الرعظ التي ألقاها في المجمع اليهودي في أنطاكية: فبعد قراءة الناموس والأنبياء، بدأ بولس بتلاوة شريعة اليهود المقدسة والتي تلخص تاريخ بني إسرائيل وهو:-

¹ - روجيه غارودي: الارهاب الغربي جزءان تعريب داليا الطوخي، ناهد عبد الحميد، سامي مندور، مكتبة الشروق

الدولية القاهرة ، ط 1 2004، ج 1، ص 74.

² - الترجمة المسكونية للكتاب المقدس: الطبعة الثالثة عشر باريس 1977.

³ - سفر أعمال الرسل: إص 28/فق: 23.

الاختيار الإلهي والمهجرة من مصر: "إله هذا الشعب، شعب إسرائيل، اختار آباءنا ورفع قدر هذا الشعب طوال غربته في أرض مصر ثم أخرجهم منها بقوة ذراعه"⁽¹⁾.

- إعطاء بني إسرائيل أرض كنعان وهلاك الأمم السبع التي كانت تعيش في تلك الأرض: "وأباد سبع أمم في أرض كنعان وأورثهم أرضها"⁽²⁾.

- ملك داود، الذي اتخذ الرب ملكاً: "وأقام داود ملكاً عليهم وشهد له بقوله: وجدت داود بن يسى رجلاً يرتضيه قلبي"⁽³⁾.

وهذا الشكل فإن بولس يعيد إخراج مفهوم التاريخ الذي تشكل خلال قرون من الوعد والقوة (القاهرة) شكله أولئك الذين كانوا يتباهون بانتصارات إله أقوى من آلهة الجماعات القبلية الأخرى، كما يعيد أيضاً مفهوم الشعب المختار والذي أدى عبر التاريخ دوره كاملاً في التعصب ورفض الآخر، فقد كان "يهوه" في مفهوم بولس إلهاً غيوراً، كما كان أقوى الآلهة والذي منح النصر للقبائل التي يحميها، والتي جعل منها "الشعب المختار" وفرض عليها حق بل واجب - إبادة كل الشعوب التي لا تشاركهم الإيمان به⁽⁴⁾. وقد جعلت كنيسة القديس بولس نفسها وريثة لهذا الاختيار الإلهي "فالكنيسة كانت بالنسبة لبولس تمثل البقية من المؤمنين الذين نجّاهم الرب مع نوح في السفينة تلك "البقية" الطاهرة التي خرجت من جذع يسى مع داود كما ذكر أشعيا: "يخرج فرع من جذع يسى وينمو غصن من أصوله وروح الرب يزل عليه، روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة والمعرفة والتقوى، ويتهيج بمخافة الرب"⁽⁵⁾. إن هذه البقية ينجيها "يهوه" دائماً في كل مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص حتى تستفيد من "الاختيار الإلهي" ويوضح بولس ذلك في إحدى رسائله قائلاً "وفي الزمن الحاضر أيضاً بقية من الناس اختارها الله بالنعمة"⁽⁶⁾ (نعمة الفداء والخلاص) وستكون النعمة التي تتلقاها الكنيسة (الجماعة المسيحية) ثم المؤسسة الدينية في ما بعد، هي الانتصار على أعدائها ومناوئتها،

¹ - سفر أعمال الرسل: إص 13/فق 17.

² - سفر أعمال الرسل: إص 13/فق 19.

³ - سفر أعمال الرسل: إص 13 / ف 22.

⁴ - روجيه غارودي: الإرهاب الغربي ج 1، ص 66.

⁵ - سفر أشعيا: إص 11 /فق 1-4.

⁶ - رسالة إلى أهل رومية إص 11/فق 5.

وأن الكنيسة التي كانت تعاني من بداية تاريخ وجودها إبان الإمبراطورية الرومانية من الاضطهاد ثم من الانقسام والتفكك، أصبحت بعد ذلك تشكل قوة لا يستهان بها، ولقد أدرك الإمبراطور قسطنطين ما يمكنه استغلاله من هالة القدسية التي تحيط "بالطاعة" للكنيسة فجعل من المسيحية الديانة الوحيدة المميزة للإمبراطورية وحرص على إنهاء جميع الانقسامات الأيديولوجية بين المسيحيين، ويرجع بعض الباحثين سبب نزوع الإمبراطور قسطنطين إلى اختيار المسيحية إلى ما وجدته فيها من روح التعصب والتسامي اللذين ورثتهما عن اليهودية يقول الدكتور عبد الحليم محمود: "إن السبب الوحيد الذي جعل الإمبراطور قسطنطين يتخذ المسيحية ديناً رسمياً إنما هو مارآه فيها من التعصب الذي لا يوجد في غيرها من الأديان التي كانت منتشرة إذ ذاك في روما، ورأى أن هذا التعصب نفسه هو الذي يربط الإمبراطورية برباط من حديد، فيكون بذلك مقاوماً لعوامل التفكك التي تسري في شرايين الإمبراطورية"⁽¹⁾. لقد سرى اليأس إلى قلب الإمبراطور حينما رأى التفكك والانحلال يدب في إمبراطوريته المترامية الأطراف. وأخذ يفكر فيما يمكن أن يربط هذه الأشلاء التي توشك أن تتداعى، ونظر في الأديان الموجودة حين ذاك فوجدها ثلاثة أديان متعادية، كل منها يصارع الآخر، ولم يكن نظره في هذه الأديان للهداية والرشد، أو النجاة في العالم الأخروي، وإنما كان ينظر في الأديان ليرى أيها أشد تعصباً وأكثر تمسكاً واستعداداً للتكامل بالمخالف فرأى أن المسيحية تتوفر في رجالها ذلك، فاختارها ديناً رسمياً للدولة من أجل هذا السبب فحسب⁽²⁾.

المطلب الثاني: طبيعة تكوين الكنيسة المسيحية:

لقد نشأت الكنيسة المسيحية، كما سبق في أحضان الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه الأخيرة تقوم على تعدد الأديان والاعتراف بها جميعاً⁽³⁾. طالما كانت لا تهدد النظام العام، ولم ينقض هذا التسامح داخل الإمبراطورية إلا لسببين:

1- عدم اعتناق أي دين "الإلحاد".

2- الإخلال بالنظام العام.

¹ - د/ عبد الحليم محمود: أوروبا والإسلام دار المعارف ط4 القاهرة 1993 ص34.

² - المرجع نفسه ص 36.

³ - ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء 3 من المجلد 3، ص 387 و388.

وقد أصدر الإمبراطور سبتيموس سويرس سنة 202م قانوناً يحرم اعتناق اليهودية والمسيحية على من ليسوا يهوداً في الأصل أو نصارى، ومن ثم أخذ اضطهاد النصارى واليهود في داخل الأمبراطورية الرومانية يتزايد.

وقد جاءت معارضة الدين المسيحي من قبل الشعب أكثر مما جاءت من قبل الدولة، ذلك أن الحكام كانوا في كثير من الأحيان رجالاً مثقفين متسامحين، ولكن جمهور الناس الوثنيين ساءهم عزلة المسيحيين وتعاليمهم وثقتهم بأنفسهم، فأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الذين يهينون الآلهة الرومانية، ولهذا أصبح الجهر بالمسيحية جريمة يعاقب عليها بالإعدام⁽¹⁾، وعلى الرغم من أن الإمبراطور جالينوس [في سنة 260م] ردّ للمسيحيين أماكن العبادة والدفن، فإنّ الموقف من المسيحية بقي كما كان عند أسلافه من اضطهاد وعدم تسامح وربما كان لاضطهاد المسيحيين وتبعهم داخل الإمبراطورية الرومانية، وما لحق بهم من أصناف العذاب، دور في لفت الأنظار إلى المسيحية وكسب أنصار جدد للجماعة المسيحية المضطهدة. فكانت مناظر الاستبسال والإخلاص لدينهم، وأخبار ذلك الاستبسال من أقوى عوامل انتشار المسيحية⁽²⁾.

ولم يعترف الأباطرة الرومان بالمسيحية ديناً كسائر الأديان إلا في سنة 311م، حين أصدر جيسريوس مرسوماً بالتسامح مع المسيحيين، وطلب من المسيحيين أن يدعوا له في صلواتهم، لأنه كان يشكو وقتئذٍ من داء عضال ثم صدر من قسطنطين وليكسوس مرسوم ميلانو سنة 313م وقد ظل التعايش بين جميع الأديان في الإمبراطورية الرومانية قائماً، وعندما اعتنق قسطنطين المسيحية حاول بعض رجال الكنيسة أن يقنعوه بأن يجعل الدين قاصراً على المسيحية، وأن يضطهد سائر الأديان، ولكنه صمد لهم واستمر على سياسة تعايش كل الأديان معاً ورغم ذلك فقد أظهر من مظاهر المحاباة الكثير منها:

- إعفاء أملاك الكنيسة العقارية من الضرائب.
- جعل الكنيسة الوارثة لأموال الذين يتوفون ولم يعقبوا ذرية.
- أجاز للجماعات المسيحية امتلاك الأراضي وقبول الهبات.
- وهب المحامع الدينية أموالاً.

¹ أول ديورانت: قصة الحضارة ج3، م3، ص391.

² - المرجع نفسه: ص392.

- شاد عدداً من الكنائس⁽¹⁾.

كما جعله رجال الدين المسيحي يشتد على من أطلقوا عليهم اسم الهرطقة⁽²⁾، ولكن خلفاءه، وبتحريض من رجال الكنيسة، أخذوا في اضطهاد الأديان الأخرى. ولما جاء تيودوسيوس الأول إلى الحكم (379-395م) أمر بجعل المسيحية الدين الرسمي للدولة وعقّب هذا الأمر بإصدار تحريم كل الديانات الأخرى. وكان أشدّ القرارات، قرار سنة 393م، والذي جعل أمانة مجمع نيقية فيما يخص التثليث العقيدة الرسمية للدولة، بل إنّ رجال الدين المسيحي الذين عانوا من الاضطهاد والظلم طيلة أربعة قرون تقريباً، هم الذين صاروا يمارسون الاضطهاد والظلم، ودفعوا الأباطرة إلى ذلك.

المطلب الثالث: موقف الكنيسة من مخالقيها:

ما إن تحولت الإمبراطورية الرومانية الوثنية إلى الإمبراطورية البيزنطية المسيحية حتى تمسك الأباطرة بادماج الدين في القانون العام للدولة، وكان لذلك نتائج بالغة الخطورة، فقد أصبح كل من لا ينطوي تحت لواء العقيدة يُعدّ خارج الإطار القانوني العام ويقتضي ذلك عزله في خصوصية دينية مدنية مغلقة اجتماعياً وسياسياً، بحيث تطبق في حقّه أحكاماً خاصة، وبذلك جرى تسييس العلاقات الطائفية⁽³⁾.

وقد تزايدت إجراءات وقوانين الاضطهاد بدخول العصور الوسطى فقد صار للحكام دور ديني إلى جانب دورهم السياسي، الأمر الذي أدى إلى الصراع بين البابوات والأباطرة، وهو الذي دفع بكل طرف فيه إلى المزايدة في الاضطهاد لينال مزيداً من التأييد الشعبي. وكان ضحايا كل هذا كثيرين، حتى صار اعتناق المسيحية الكاثوليكية شرطاً جوهرياً لكي يكون الشخص مواطناً في الدولة الرومانية⁽⁴⁾.

وقد كان الأباطرة الرومان حريصين على أن يكون الأساقفة من موظفي الدولة وفي خدمتها، وذلك بمنحهم حق التحكيم في القضايا المدنية والقضاء على المذاهب الوثنية التي

¹ -ول ديورانت: قصة الحضارة ج3، م3، ص396.

² - الهرطقة هي كل ملوّه رجال الكنيسة بدعة وخروجاً عن رأي وفهم الكنيسة..

³ - د/ محمد يحيى فرج: للركيزة اللاهوتية في الخطاب الفلسفي المسيحي كلية الآداب جامعة عين شمس (دت) ص5.

⁴ - جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة وتقديم د/ عبد الرحمن بلوي: دار الغرب الإسلامي 1987 ص12.

كانوا يطبقون على أصحابها عقوبة الإعدام وبهذا الشكل امتلكت الكنيسة جميع مقاليد الأباطورية بين يديها، وتحكمت في مصائرهما، حتى أنها أصبحت بعد ذلك، خليفة الإمبراطور في الحكم، عند ما سقطت روما عام 910م، واسقط آخر إمبراطور روماني⁽¹⁾، لقد كانت أهم الانشقاقات اللاهوتية الأولى في تاريخ الكنيسة ما حصل بين أريوس وأتباعه من جهة، ومخالفيه من جهة أخرى، وقد كان التّحاج الذي لاقتة أفكار أريوس قد وصل الجدل حوله إلى الحدّ الذي أدى إلى انقسام جميع كنائس الشرق.

إنّ قسطنطين الذي كان يريد توحيد أركان الإمبراطورية، رأى في هذا التمزّق عاملاً قد يؤدي إلى انتشار الفوضى وزعزعة النظام العام، لذا فقد سعى في البداية إلى محاولة التوفيق بين المذاهب والآراء، وعند ما فشلت جميع مساعيه، قرّر اللّجوء إلى القوّة، وقد اتبع قسطنطين معياراً واضحاً يستطيع أن يميّز به بين المذهب الذي سيحقق الوحدة الأديولوجية لإمبراطوريته وبين الهرطقة التي كرّس نفسه لقمعها. ولقد كان الشماس المدعو أثناسيوس مخلص الإمبراطور الوثني للتهجم على عقيدة التوحيد التي نادى بها أريوس، وثبتت القول بتأليه المسيح حتى ينضم إلى المسيحية أكبر عدد ممكن من الوثنيين في الإمبراطورية الرومانية حيث يجدونها مقاربة ومشاكلة لما هم عليه من وثنية، فتتحقق الوحدة الدينية، وتصير دعامة أساسية للوحدة السياسية⁽²⁾.

لقد تمت الموافقة في مجمع نيقية على قانون الإيمان، ووَقّع عليه المجتمعون، ثم حكم بمرطقة تعاليم أريوس. وبما أن الإمبراطور كان يسعى من وراء هذا المجمع إلى وحدة الإمبراطورية، فقد أمر بحرق كتب أريوس ونفيه⁽³⁾.

لقد قرّر مجمع نيقية بأنّ قانون الإيمان الذي أصدره هو المعبر عن الإيمان المسيحي الحقيقي. وبناء على ذلك فمن يخالف تعاليم هذا القانون يخالف الإيمان المسيحي، ويجب حرمانه، ولذا فقد حرم المجمع أريوس وأتباعه، ونُفيّ مع بعض مؤيديه.

وفي إفريقيا لم يتردد القديس أوغسطين أسقف قرطاج، في القرن الرابع الميلادي بمساندة من القديس أبرسيوس أسقف ميلانو، في اللّجوء للقوّة الرومانية، من أجل بث

¹ — ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء 1 المجلد 4 ص 92..

² — حسن يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلامية والمسيحية ط2 مكتبة الزهراء القاهرة سنة 2002 ص 61.

³ — الدكتور القس حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي ج4، ص 631.

الرَّعب، وإبادة المسيحيين ولا سيما أنصار الحزب الدوناتي⁽¹⁾، والثوار من العمال والمزارعين في شمال إفريقيا. فهذا القديس بعد أن كان في بداية حياته شبه متسامح صار شديد التعصب وداعية إلى اضطهاد الأديان الأخرى غير المسيحية وإلى استعمال القوة والقهر معها، وقد برّر ذلك بأن إرغام الآخرين على اعتناق المسيحية يؤدي على الأقل إلى تعليمهم، واستند في هذه الدعوى إلى نصوص من الإنجيل وخصوصاً إلى العبارة الواردة في إنجيل لوقا: "أرغموهم على الدخول"⁽²⁾.

ذلك أن هذا القسيس كان يرى أن الخير والخلاص مرتبط دائماً بمدينة الله، وأن الشر والهلاك مرتبط بمدينة الأرض. لقد ربط أوغسطين فكرة مدينة الله [الكنيسة] بمبدأ أخلاقي له صلة مباشرة بثنائية الخير والشر، وهو الخطيئة والخلاص ويذهب إلى أن آدم قبل السقوط، كانت له إرادة حرة وكان في قدرته أن يمتنع عن اقتراف الخطيئة، لكنه لما أكل التفاحة هو وحواء دخلهما الفساد الذي انتقل منهما إلى خلفهما كلية، ولم يعد أحد من هذا الخلق يستطيع بقوة الخاصة أن يمتنع عن الخطيئة، فلا سبيل أمام الناس إلى حياة الفضيلة إلا برحمة الله⁽³⁾.

إن، الشر وجد بمعصية آدم، إذ تفرق الناس بعد ذلك إلى مجموعتين:

1- فئة تحب ذاتها إلى حدّ امتهان الله، أي أنها طوّرت حبّاً نرجسياً مَرَضِيّاً مبالغاً، كان نتيجه أن أدّى إلى "احتقار الله".

2- فئة انصرفت إلى حبّ الله إلى درجة بلغت فيها أنها "احتقرت ذاتها".

وقد أفلحت الأولى بأن تركّبت فضاء يناسب رؤيتها ونوع حبّها، فكانت "المدينة الأرضية" مدينة الدنس والشر والخطايا، فيما نجحت الثانية في بناء "مدينة سماوية" مقدسة وطاهرة، هناك إذن مدينتان لا غير ترجع إليهما سائر البشرية⁽⁴⁾ وبين هاتين المدينتين حرب منذ البدء، إذ تجاهد مدينة الله [الكنيسة] في سبيل العدالة، فيما تعمل الأخرى على نصرة الظلم، وستظل الحرب مستمرة بينهما إلى نهاية العالم، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الزّمان، فتنعم مدينة

¹ — نسبة إلى دوناتس وهو زعيم طائفة مسيحية إفريقية ظهرت في القرنين الرابع والخامس للميلاد وكانت تعارض أي .

نقص في احترام الشهداء وتطالب بإعادة تعميد من ينظمون إليها من أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

² — إنجيل لوقا: إصحاح 14 / فقرة 23 .

³ — سد/ محمد يحيى فرج: المركزية اللاهوتية في الخطاب الفلسفي المسيحي، ص 50.

⁴ — المرجع نفسه: ص 52.

الله [الكنيسة] بالسعادة الأبدية، فيما تلقى الأخرى جزاءها في النار التي لا تنطفئ، هذا فيما يخص قدر المدينتين، أما ما يخص المسار التاريخي لهما، فإن أوغسطين يقسم تاريخهما إلى مرحلتين يفصل بينهما ظهور المسيح:

1- فمن قاييل إلى إبراهيم كانا مختلطتين.

2- لما جاء إبراهيم بدأتا تمايزان سياسياً.

- المدينة السماوية ويمثلها بنو إسرائيل.

- المدينة الأرضية وتشمل باقي البشرية.

وبظهور المسيح ينتهي التمايز بين الاثنتين فتختلطان من جديد، وتعود كل منهما وحدة معنوية لها أعضاء إنسانية جمعاء⁽¹⁾.

إن المدينة السماوية هي جماعة في الماضي والحاضر والمستقبل، وإن الكنيسة هي الجماعة البشرية التي تعمل على بناء المدينة السماوية التي أرادها الله وأسسها لهذه الغاية وما يزال يؤيدها في تحقيقها. وينبغي على المدينة الأرضية أن تكون خاضعة للكنيسة لأن الأولى أدنى من الثانية، وإن مدينة السماء، مدينة الله، هي في هذا السياق الكنيسة الكاثوليكية⁽²⁾. ولا بد لها من أجل سعادة البشرية وخلصها وتحقيق غاياتها المقدرة والأبدية من أن تسيطر على مدينة الأرض (بما فيها العناصر المسيحية التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية).

إن ما تمخضت عنه الصراعات اللاهوتية المبكرة في الجامع الدينية حول مكونات العقيدة المسيحية وحول سلطات الكنيسة، هو الاعتراف ببطريك روما بوصفه "البابا" الأمر الذي جعل من الكاثوليكية القوة المركزية في المسيحية، وهو ما جعلها تستشعر قوتها وتعمل على إقصاء المخالفين، بقول أحد الباحثين: "إن هناك وجوداً وحيداً للكنيسة الحقيقية بينما لا يوجد خارج مجموعاتها المرئية إلا عناصر كنسية، وبما أنها عناصر من الكنيسة نفسها فهي تنوق إلى الكنيسة الكاثوليكية"⁽³⁾. وحتى الكنائس التي أسعفها الحظ وبقيت قائمة، رغم محاولة الكاثوليك للقضاء عليها، فإنها لا تعتبر كنائس قائمة بذاتها وإنما تستمد وجودها وقوتها من الكنيسة الوحيدة، يقول الباحث نفسه:

¹ - د/ زينب حمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين دار قباء القاهرة 1997 ص 85.

² - د/ محمد يحيى فرج: المركزية اللاهوتية ص 53.

³ - هاني لبيب: الحوار المسيحي الإسلامي رؤية جديدة مكتبة الشروق الدولية ط 1، 2002 ص 22.

"على الرغم من الانقسامات بين المسيحيين تتابع كنيسة المسيح وجودها بأكملها [كاملاً] في الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة، إنه توجد عناصر متعددة من التقديس والحق لا زالت قائمة خارج بنائها [أي الكنائس والجامعات الكنسية التي ليست بعد في شراكة مع الكنيسة الكاثوليكية]، وعلينا أن نؤكد في شأن هذه الأخيرة أن قوّتها مستمدة من ملء النعمة والحقيقة التي استودعها الله الكنيسة الكاثوليكية⁽¹⁾."

لقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية نفسها المهيمنة على العالم كله، والسلطة الوحيدة المخوّلة بتقديم مفهومها الوحيد عن الإيمان لجميع البشر، ومما يدل على ذلك أن أحد فصول كتاب التعاليم المسيحية لعام 1992م يحمل عنوان "لا خلاص بعيداً عن الكنيسة"⁽²⁾.

ولقد دفع استشعار القوّّة الكنسية إلى تطبيق سياسة شمولية وقمعية تهدف إلى إقرار سلطتها المطلقة، ليس على صعيد العقيدة لفرض مذهب ديني مطلق فحسب، بل أيضاً على الصعيد السياسي حيث أصبحت الكنيسة هي المتحدثة باسم الإمبراطورية الرومانية، ليس باعتبارها ممثلة لأورشليم، ولكن باعتبارها ممثلة لروما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، لقد كتب القديس توما الإكويني⁽³⁾ في القرن الثالث عشر: "إن الحكومات العلمانية يجب أن تكون تابعة لحكومة الكنيسة، وهذا بناء على التقسيم الذي أقامه القديس أوغسطين من قبل في القرن الرابع الميلادي، بين الحكومة المدنية (مدينة الأرض) وحكومة الكنيسة مدينة الله أو مدينة السماء."

وقد نشر البابا منشوراً في سنة 1864م جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة للسلطة المدنية، أو جواز أن يفسّر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ماترى الكنيسة أو يعتقد بأن الشخص حرّ فيما يعتقد ويدّين به.

وفي منشور آخر سنة 1868م، طلب البابا من المؤمنين أن يفدّوا الكنيسة بأرواحهم وأموالهم، وعليهم أن يتزلوا عن آرائهم وأفكارهم⁽⁴⁾، وقصد السيطرة على الأفكار ومراقبة حرية الفكر، أنشأت الكنيسة المراقبة على المطبوعات وفرضت على كلّ مؤلّف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو

¹ — هاني ليب: مرجع سابق ص 23.

² — البابا يوحنا بولس الثاني: كتاب التعاليم المسيحية، الفاتيكا 1992 ص 186.

³ — توما الإكويني: فيلسوف ولاهوتي إيطالي عاش بين 1225-1274 له قائمة من المؤلفات تبلغ 98 كتاباً أشهرها الرد على الخوارج والخلاصة الآهوتية وله شروحات كثيرة على مؤلفات أرسطو.

⁴ — محمد عبده: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، دار الحديث لبنان ط 2، 1983 ص 54.

ما يريد طبعه على القسيسين أو المجلس الذي عيّن للمراقبة وصدرت احكام المجمع المقدّس، بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب او ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقّ النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يرمي إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية، ثم أنشأت الكنيسة محاكم التفتيش، فاشتدت الأخيرة في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة إلى كسبه، وآلت على نفسها كشف البدع، والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها⁽¹⁾.

ولم تكن روح السيطرة ملازمة للكنيسة الكاثوليكية فقط، بل إن البروتستانت الذين تأسست حركتهم ضد الكنيسة الكاثوليكية استمروا في تنفيذ عقوبة الموت كقانون يحكم به على كل مخالف لمعتقد الطائفة، فلقد أقم CALVIN كالفن servet سيرفت بأنّه ينكر التثليث فقرّر مجلس مدينة جنيف إعدام سرفت بالإحراق وتم إحراقه علناً في 1553/10/27⁽²⁾. كما كان لوثر أشدّ الناس إنكاراً على من ينظر في فلسفة أرسطو ورأى جمهور البروتستانت أنّه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره إلى ما يخالف شيئاً مما حوته الكتب المقدّسة، وأنّه لا حاجة إلى شيء من العلم وراء ما ورد فيها⁽³⁾. وهكذا فالتاريخ المسيحي الذي أدى إلى نشأة أوربا، تاريخ حافل باضطهادات المرطقة التي لم يلق أصحابها غير التعذيب الجسدي وإراقة دمائهم.

وإذا كان موقف الكنيسة الكاثوليكية من أصحاب المذاهب المسيحية المخالفة والآراء الداعية إلى التجديد، كما سبق معرفته، فإنّ موقفها من أصحاب الأديان الأخرى كان أشدّ وأفتك. فقد نظرت الكنيسة إلى هذه الأديان على أنّها بتايا الوثنية، وإلى أصحابها على أنّهم وثنيون، ومن ثمّ فإنّ الموقف التقليدي للكنيسة في العصور الوسطى كان لا يرى أيّ سبيل للخلاص في غير المسيحية، فبالنسبة للكنيسة فإنّ حلقة الخلاص قد تمّت بمجيئ المسيح، فالتاريخ البشري بماضيه ومستقبله، إنّما يكتب معناه من مجيئ المسيح عليه السلام.

لقد اعتبر الفيلسوف هيجل المسيحية الديانة المطلقة بامتياز، ذلك أنّه تركّز فيها كل الدّيانات السابقة، وانصهرت فيها كل أشكال التعبير الديني فأصبح مضمونها هو الحقّ المطلق، إنّ الدّين المطلق هو نهاية تطوّر الأديان كلها، وقد جسّدته الديانة المسيحية، فاستطاعت بذلك تجاوز حسيّة الدّين الطبيعي وماديته وتعدي صورية دين الفردية المطلقة، فالدين المسيحي ممارسة متسامية

¹ — محمد عبده: مرجع سابق، ص 46.

² — جون لوك: مرجع سابق ص 15.

³ — محمد عبده: مرجع سابق ص 56.

تترفع عن كل أشكال الحسّ والصّورة لأنّه دين الوحي، الدّين الوحيد الذي تلقى رسالة من السماء، إنّ دين الكلمة إذ تتحلّى فيه باعتبارها لفظاً كونياً يظهر في التاريخ متجسداً في شخص يسوع المسيح، وعليه فإنّ الكون كلّ مظهر للكلمة، ففي الديانة المطلقة يظهر الدّين كموضوع لذاته وبذاته، وهو دين الرّوح لذاتها وبذاتها، لأنّ الدّين الحقّ هو وعي الرّوح ذاتها أيّ أنّه الفكرة المطلقة، وهذا لا يحضر إلّا في المسيحية، فهي بهذا الديانة الرّوحية اللاهوتية⁽¹⁾.

إنّ وضع هيكل الديانة المسيحية على رأس سلم ترتيب الأديان باعتبارها الديانة المطلقة التي هي خلاصة الأديان السابقة، هو نوع من الحكم على أنّها الدّيانة الأفضل، وغاية ذلك الدفاع عن المسيحية مقابل الأديان الأخرى، وإذ عرفنا أنّ الدّين المطلق عند هيكل هو دين الوحي يتضح أنّه جرّد الأديان الأخرى من أصولها السّماوية ويعدها أدياناً تاريخية، وإذا كان هيكل يتحدث عن الديانة الطبيعية على أنّها خاصة بالشعوب الشرقية، والديانة الفردية الرّوحية على أنّها خاصة باليونان والرومان، فإنّ حديثه عن الديانة المطلقة إنّما المقصد منه الديانة المسيحية كما تجلّت في الغرب⁽²⁾.

وإنّ هذا التفاوت القائم على التفاضل سيضع مسألة الأديان في سلّم متدرج تشكّل الديانات الإفريقية والآسيوية النقطة الباهتة والمنحطة الواقعة في أسفله، في حين تتبوأ المسيحية المكانة العليا فيه، هذا التفاضل سيمنح شرعية منطقية وأخلاقية للقائلين بضرورة استبعاد الأديان الأخرى، لأنّ المسيحية هي دين الوحي الحقيقي الذي تجلّت فيه الحقيقة الإلهية، ونموذجها المعبر عنها هو الكنيسة الكاثوليكية.

والملاحظ هنا أنّ هيكل يخلط بين الحضارة الغربية الحديثة والديانة المسيحية ويعتبرهما كلاً موحداً، كما أنّ الترتيب المتدرج للأديان والفلسفات من الشرق مروراً باليونان والرومان، وصولاً إلى الإمبراطورية الجرمانية، يراد منه القول إنّ المسيحية والأمة الجرمانية هما الوريثتان لكل الديانات والحضارات السابقة، إذ يتمركز فيهما خلاصة الفكر البشري، وبهذا قاد النّسق المنطقي في فلسفة هيكل إلى نهاية محدّدة فيما يخصّ فلسفة الرّوح، وهو إقصاء أهمية الأديان الأخرى، جاعلاً المسيحية كما أنتجها اللاهوت في العصور الوسطى، المركز الذي يشع منه

¹ - محمد يحيى فرج: المركزية اللاهوتية: ص 81-82.

² - المرجع نفسه ص 91.

الفكر الديني باعتبارها الديانة المطلقة الخالدة والأبدية في مسار التاريخ البشري، لأن المسيحية كما قال هي: "الحقيقة المطلقة"⁽¹⁾.

وإذا كانت مدينة الله الأوغسطينية مشتبكة في صراع تاريخي يتصل بواقع النزاع بين الدولة والكنيسة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، فإن مملكة الروح الهيكلية كانت لها طموحات أكبر، فقد أصبحت لها طموحات كونية، فهي غربية، والعالم خارج أوروبا بالنسبة لها "مدينة أرضية"، ومع بداية العصر الحديث وتفاعل الأسباب الداخلية في أوروبا [مدينة الله = مدينة الروح = الكنيسة] توسّع امتدادها كما هو الحال بالنسبة للتوسّعات الاقتصادية والعسكرية، وحينما لا يتمثل أحد في ولائه للكنيسة فمحكوم عليه أن يعيش عذاب مدينة الأرض وقهرها⁽²⁾. وفي هذا الإطار قامت حملات التنصير بوظيفة تقديم الأنساق الدينية والثقافية في مناطق واسعة من الأمريكيتين وإفريقيا وآسيا باعتبارها أنساقاً محمّلة بمضامين وثنية أو أسطورية، وتعويضها بنسق مأخوذ عن "مدينة الله" النسق المحمّل بلاهوت الكنيسة (الكاثوليكية).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة من الإسلام:

المطلب الأول: التصوّرات المسيحية الأولى عن الإسلام ومصادرها:

إنّ موقف الكنيسة من الإسلام متميّز ومختلف عن مواقفها من الأديان الأخرى، وذلك أنّ الإسلام هو الدّين الوحيد الذي أتى بحديث عن الشخصية المحورية في الدّيانة المسيحية - وهي المسيح عيسى - عليه السلام - وهو حديث متميّز ومختلف تماماً عمّا سبقه، فهو يشمل تصويبات تاريخية وعقدية تمسّ جوهر الديانة المسيحية:

- ومن ذلك أنّ ما استقر بعد المجمع النيقاوي هو الاعتراف الرسمي بالمذهب القائل بالوهية المسيح وبالتثليث.

- وما اعتقدت الكنيسة في صحته من صلب المسيح وفدائه للبشرية.

- وما تعتقله أيضاً في اكتمال تاريخ الخلاص بمجيئ عيسى - عليه السلام - والتجسد الإلهي فيه.

¹ - محمد يحيى فرج: المركزية اللاهوتية ص 94.

² - المرجع نفسه، ص 93.

لقد أتى الإسلام بطروحات جديدة فيما يخص فتح مجال النبوة من جديد، ووضع المسيح في موضعه التاريخي باعتباره واحداً من أنبياء بني إسرائيل، ثم التأكيد على أن سبيل الخلاص هو الإسلام، أي الخضوع التام والكامل لمنهج الله سبحانه وتعالى والذي بينه الأنبياء من نوح إلى - محمد صلى الله عليه وسلم -.

ولقد كانت مشكلة الإسلام، بالنسبة للمسيحية، في إيجاد سند لاهوتي مسيحي للإسلام ونبّه، إذ أن المسيحية تصوّر أن الهدف من إرسال الأنبياء منذ بدء الخليقة، ليس سوى تمهيد تدريجي لأجل بلوغ ذروة التاريخ الكوني المتمثل بـ "التجسد الإلهي" (في شخص المسيح) في حين أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - ظهر بعد أكثر من خمسة قرون ونصف، من ذلك الحدث الكوني [عند المسيحيين]، وأعلن أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن الله أنعم عليه بالوحي المؤيد لرسالته، ومن وجهة نظر المسيحية، فإنه لم يكن بإمكان محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون نبياً حقيقياً، أما عقيدته هي الأخرى فلا يمكن أن تكون صحيحة، ولهذا رأت الكنيسة، وبعدها المسيحيون، في شخص محمد رجلاً مرتدّاً أو نبياً مزيفاً لا يملك سوى الادعاءات والأضاليل، وفي تصوراتهم الأقل تحفظاً وأدبا صور محمد كساحر معادٍ للمسيح، أو حتى أنه الشيطان ذاته، وصوّر الإسلام على أنه لون جديد من الهرطقة، أو على أنه حزب جديد من الوثنية. ولقد ضمّت تصورات المسيحيين الأوائل عن الإسلام مزيجاً متناقضاً من المعارف والأفكار وتشويهات خطيرة، وهي التي نشأ عنها الموقف التقليدي للكنيسة من الإسلام، كما هيمنت بشكل راسخ ولمدة تاريخية طويلة على التصورات الغربية حول دين الإسلام، والأمر الجدير بالاهتمام هنا هو أن تلك الصور حول الإسلام، قد وضعت في غالبيتها العظمى من رجال الدين المسيحي، والذين استملّوا معارفهم عن الإسلام من مصادر شتى بعيدة كل البعد عن المصادر الأصلية للإسلام نفسه. فكانت مصادرهم في هذا، الحكايات الشعبية، وقصص الأبطال، والحجاج والقديسين والمؤلفات اللاهوتية الجدلية التي وضعت أساساً كدفاع عن المسيحية، كما كانت بعض كتابات المسلمين مصدراً لذلك التصوّر، ولكن كانت المعلومة المقتبسة تنتزع في معظم الأحيان من سياقها الأصلي، ثم تقدم إلى القارئ المسيحي. وعموماً فقد كانت التصورات عن الإسلام في خطوطها الكبرى قد وضعت على خلفية التفسير المسيحي للدين الإسلامي⁽¹⁾.

¹ - أليكسي جور افيسكي: الإسلام والمسيحية ترجمة خلف محمد الجراد عالم المعرفة رقم 215 الكويت 1996 ص 70.

وفي سياق البحث عن المصادر الأولى التي جاءت منها تلك التصورات عن الإسلام يمكن الوقوف عند المؤلفات التي وضعها يوحنا الدمشقي⁽¹⁾، والتي تعدّ باكورة الدراسات المسيحية عن الإسلام، لقد كان هذا القديس النصراني من أسرة اشغلت بخدمة الخلفاء الأمويين فكان هو خلفاً لجده وأبيه في هذه الخدمة، ولقد تميز يوحنا الدمشقي بمعرفته الجيدة باللغة العربية، كما كان مطلعاً على مصادر الإسلام الأصلية أي القرآن والسنة. ونظراً لأنه كان ذا مكانة فقد اكتسبت بحادثاته مع علماء الإسلام طابعاً لاهوتياً محضاً، وابتعدت عن الطابع السياسي والإيديولوجي.

لقد انطلق يوحنا في مناقشته للإسلام من كونه بدعة أي هرطقة بالمفهوم المسيحي. وإذا كان يؤكد على أنّ المسلمين يتفقون مع المسيحيين في الإيمان بالله الواحد، فإنه يرى في عدم اعتراف المسلمين بالعقائد الأساسية للمسيحية، وعلى رأسها الطبيعة الإلهية للمسيح، وكذا الصلب، أمراً يقلل من شأن الأطروحات التي تضمنتها تعاليم الإسلام. كما يبنّي على رفضه لمجموعة كبرى من اليقينيات الإسلامية، استحالة قبول المسيحيين التعايش معها مطلقاً، ومن تلك اليقينيات المرفوضة بالنسبة له:

- القول بأنّ محمداً نبيّ من الله وهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

القول بأنّ القرآن - كلمة الله - المترلة إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - من السماء ويورد في كتابه: "مناظرة بين سارقي ومسيحي" حججاً ضد الطبيعة الإلهية للرّسالة الإسلامية، ومنها أنّ الأنبياء السابقين لم ييشّروا بها، وأنه لم تقم معجزة شهيرة أو أعجوبة في حياة محمد، تدل على صحة حقيقة النبوة كما أنّه لا يمكن أن يكون نبياً لأنّ سلسلة الأنبياء ختمت بيوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام). كما اشتهرت على لسان يوحنا الدمشقي ومعاصريه من أهل ملته قصة خرافية، خلاصتها أنّ محمداً لم يكن سوى تلميذ للراهب النسطوري سرجيوس بجرّا⁽²⁾، وأنّه تلقى منه المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل، ثمّ مالّب أن أعلن نفسه نبياً

¹ - يوحنا الدمشقي (675-760م) ولد في دمشق وهو أحد آباء ومعلمي الكنيسة المسيحية حفيد منصور بن سرجون. رئيس ديوان المالية في عهد معاوية، ألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة مهّد بمؤلفاته إلى نشأة تعليم الفلسفة واللاهوت من أشهر كتبه "منهل المعرفة".

² - هو سرجيوس بجرّا: وهو رابع مسيحي يروي أنّه تنبأ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان عمره إثنتا عشر سنة وهو في طريقه إلى الشام ضمن قافلة لعمّه أبي طالب وكان ذلك في بصرى بالشام، وقد أورد القصة كاملة ابن هشام في السيرة النبوية ص 115 وما بعدها.

وأنشأ عقيدة خاصة به⁽¹⁾. قد أطلق بعض المسيحيين على المسلمين "طائفة أبناء الجارية" مستندين في ذلك إلى مقتطف من الإنجيل استل من رسالة بولس إلى أهل غلاطية⁽²⁾. ويستتجون من ذلك أن المسلمين مبعوثون من وعد الخلاص الإلهي. ويؤكد بعض الباحثين أن بعض التصورات المسيحية عن الإسلام كبدعة مسيحية، وعن نبي الإسلام بأنه نبي مزيف انتقلت من مسيحي سوريا ومن مؤلفات يوحنا الدمشقي أساساً إلى البرنطيين، ومنهم بعد ذلك إلى الأوربيين⁽³⁾.

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن أوروبا (الغرب) تعرفت على الإسلام من خلال المؤلفات الدينية والكلامية المعادية للإسلام مجسدة في نموذجها البيزنطي بالدرجة الأولى.

وبشكل عام، فقد تكونت في وعي الأوروبيين ملامح الصورة التالية عن الإسلام، إنه عقيدة ابتدعها محمد، وتقوم على أساس تكذيب وتشويش متعمد للحقائق المسيحية، وأنه دين الجبر وتقييد حرية البشر، كما يقوم على الانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية، كما تقوم دعوته في جانبها العملي على العنف والقسوة.

ومن التصورات التي شاعت عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أنه صاحب بدعة مسيحية، تلك التي تصفه بأنه كان كاردينالاً للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ثم أبعد بعد أن قام بمحاولة فاشلة للجلوس على كرسي البابوية، وهرب إلى شبه الجزيرة العربية، ومن أجل الثأر والانتقام أسس ديانة جديدة، ومنها تلك التي تقول: إن الشيطان لم تكن له قدرات ذاتية تكفي لوقف انتشار المسيحية في الشرق، ولذلك اخترع "كتاباً" يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة "وسيطاً" من طبيعة الشيطان ذاته أما الكتاب فهو "القرآن" بينما "الوسيط" هو محمد، والذي يجسد دور المسيح الدجال.

كما انتشرت حكاية أسطورية، مفادها أن محمداً درّب حمامة لتقرر حبوب القمح من أذنه وبذلك أفتع العرب، أن تلك الحمامة هي رسول الروح القدس الذي كان يبلغه الوحي الإلهي.

وهكذا كان التأكيد، بالنسبة للذين نظروا للموقف المسيحي من الإسلام، على رسم الإسلام

في صورة نموذج قبيح سيئ، مزيف غير حقيقي، يتناقض ويعادي كلية النموذج المثالي للمسيحية

¹ — serge Jargy 4 : Islam et chretienite :les fils d abraham entre la confrontation.---

Et le dialogue Geneve 1981 page 106

² — رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح 4 . فقرة: 21-31.

³ — أليكسي جور افيسكي: الإسلام والمسيحية ص 73.

لكونها ديانة الحقيقة والتي تتميز بالأخلاق الصّارمة، وروح السلام، وبأنها عقيدة تنتشر بالإقناع وليس بقوة السّلاح، وأنّ نبيّه لا يعدو أن يكون نبياً مزيفاً جاء بعقيدة ودعا إليها من أجل تقويض أركان كنيسة الرّب في الشرق، وأنّ محمداً نفسه نصّبّه قومه إلهاً وصنماً يقدرسونه⁽¹⁾.

يقول جورافسكي معلقاً على هذه التّصورات التي شاعت حول الإسلام ونبيّه محمد صلى الله عليه وسلم " وللحقيقة يجب القول إنّ تلك الأساطير المختلفة تمثّل سخرية مأسوية لأنّ النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي حارب أكثر من أي مخلوق آخر، عبادة الأوثان، والذي حطّم جميع أصنام الكعبة يتحوّل في تصوّر المسيحيين "إلى صنم يؤلّفه أتباعه" الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقاراً لقب "عبيد سارة" أو أبناء الجارية"⁽²⁾.

المطلب الثاني: الموقف المسيحي من الإسلام أثناء الحروب الصليبية وبعدها:

في أزمنة متأخرة عن تلك البدايات التي سبقناها سالفاً اتّجه المسيحيون إلى مجال آخر، وهو أخطر من حيث النتائج التي أعقبته، ففي الحروب الصليبية ظهر الإسلام قوة لا يمكن قهرها وظهر للمسيحيين ولرجال الدّين منهم خاصّة أنّه دين متغلغل في نفوس معتنقيه، وأنّ إيمانهم به مؤسّس لا يهتز، ولهذا ظهر اتّجاه يدعو إلى ضرورة الإفادة من أصول الإسلام وتحريفها، لأنّها مصدر كل عقيدة يؤسّسها، وقد تزعم هذا الاتّجاه رجل يدعى المبجل أو المكرّم (نحو 1059-1156)، والذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسّس الدراسات الإسلامية في القرون الوسطى، وهو أول من ترجم القرآن إلى اللّغة اللاتينية. وقد أسّس بطرس المبجل خطته في مواجهة الإسلام بناء على تصوّره أنّ المسلمين هراقطة، وأنّ صراعهم حتمي، ولكن ليس بالسيف، وإتما بالكلمة وقوة الحجّة والإقناع، لقد اعتقد أنّه بالإمكان إرجاع المسلمين إلى الكنيسة، وذلك مشروط حسب رأيه بتمكّن اللاهوتيين والمبشرين المسيحيين من إظهار مواطن الانحراف والضلال في الإسلام وبشكل مقنع وتشهد رسالته التي وجهها إلى العرب على نواياه تلك حيث جاء في الرسالة: "من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة من أولئك النّاس الذين يطلق عليهم اسم الرهبان إلى العرب أبناء اسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً، قد يبدو غريباً، ومن الممكن أنّه كذلك، إنّني إنسان بعيد

¹ - د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصوّرات الغرب ن مكتبة وهبة القاهرة 1987 ص92.

² - ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص77.

عنكم موطناً، وأتكلّم لغة أخرى، وأفكر بصورة مختلفة، وأعرف أن عاداتكم ونمط حياتكم مغايرة لحياتنا ونمط معيشتنا، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب، إلى شعوب الشرق والجنوب الذين أرجّح أنني لن أتمكن من رؤيتهم أبداً لكنني أردت أن أجيئ إليكم ليس بالسلاح، كما يفعل المسيحيون في أغلب الأحيان، وإنما بالكلمة ليس بالبغض والكراهية، وإنما بالمحبة، بتلك المحبة التي يجب أن تكون بين أولئك الذين يحملون المسيح وأولئك الذين استداروا عنه، بتلك المحبة التي وجدت بين رسل المسيح (حواريوه وتلاميذه) والوثنيين وهكذا، فأنا أيضاً، واحد من عدد لا يحصى من خدام المسيح بل الأصغر من بينهم... إني أحبكم، ومحبة أكتب إليكم دعياً إياكم للخلاص، ليس الخلاص الذي يزول ويتبدّل، وإنما إلى الخلاص الذي يبقى ويدوم... ليس الخلاص الذي ينتهي مع انتهاء الحياة القصيرة، وإنما إلى ذلك الخلاص الذي يستمر في الحياة الأبدية⁽¹⁾.

وقد انطلق بطرس المبجل من فكرته التبشيرية هذه، والقائمة أساساً على اعتماد الكلمة والإقناع لوقف المد الإسلامي القادم من الشرق والجنوب، وعلى أن الكنيسة في صراعها مع الإسلام، يجب أن تفتح كل المجالات، ليضع خطته لترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية، وقد استعان بعدد من المستعربين والمختصين في فروع علمية مختلفة، وكان في مقدمتهم: روبرت كنتنر، وتعدّ ترجمة هذا الأخير للقرآن، والتي تمت تحت إشراف بطرس المبجل، أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية⁽²⁾.

كما كلّف بطرس المبجل أحد أساتذته من المستعربين ويدعى بطرس الطليطلي بترجمة مقالات مناهضة للإسلام، كما قامت مجموعة أخرى من المترجمين كان يشرف عليها بنفسه، بترجمة بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وقد صنّف بطرس المبجل ما أسماه (دحض العقيدة الإسلامية) على أساس كل الترجمات المتقدّم ذكرها، التي أصبح يطلق عليها اسم (المجموعة الطليطلية) والتي أصبحت المصدر الرئيسي للمعلومات عن الدين الإسلامي بالنسبة للأوروبيين على مدى قرون عديدة.

ورغم الأخطاء الواضحة، التي ارتكبت في ترجمة روبرت كنتنر (الكيثوني) للقرآن، فقد ظلت هذه النسخة اللاتينية حتى القرن السابع عشر للميلاد أكثر الترجمات الغربية انتشاراً

¹ -الكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ، ص82.

² - المرجع نفسه ، ص83.

كما كانت الأصل الذي بنيت عليه الترجمات إلى اللغات الأوربية بعد ذلك، فكان النص اللاتيني مستنداً في الترجمة الهولندية والألمانية ثم الإيطالية في القرن السادس عشر، وفي القرن السابع عشر قام قنصل فرنسا ديوري بأول ترجمة فرنسية للقرآن اعتماداً على النص اللاتيني، كما كانت الأساس الذي اعتمدت عليه الترجمة الانجليزية التي وضعها جورج سيل في النصف الأول من القرن الثامن عشر للميلاد⁽¹⁾.

وإذا كانت الصورة التي رسمها بطرس المبحّل عن المسلمين تتمثل في كونهم هراقة مبتدعين فإنّ قديساً آخر له شأنه ومكانته في تاريخ المسيحية وهو توما الأكويني، قد عدّ المسلمين وثنيين⁽²⁾. ومن هذا المنطلق يرى الأكويني أن المسلمين في بعض الحالات هم أقل ارتكاباً للآثام والخطايا، قياساً مع المراقبة المبتدعين من المسيحيين، وفي مواقف أخرى يعتقد الإكويني أن المسلمين أكثر خطايا وآثاماً، من حيث الأخطاء الواقعة في قضاياهم العقيدة. ولهذا رأى الإكويني ضرورة عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين (عن فيهم المسلمين)، وذلك اعتماداً على البراهين العقلية، وليس وفق مفاهيم الكتاب المقدس وبالإضافة إلى المحاورات والمناظرات، رأى الإكويني أنّه لا يجوز تحويل الوثنيين إلى المسيحية بالقوة، ولهذا فإنّه يترجّب على الحكام المسيحيين الذين يقع المسلمون تحت سلطانهم، أن يتصرفوا بصبر تجاه مفاهيمهم في العقيدة والعبادة⁽³⁾.

وفي أحد فصول كتابه "الرّد على الخوارج" (الأمم الخارجة عن المسيحية) تحدّث توما الإكويني عن محمد ورسالته، وفي حديثه هذا لم يخرج عن إطار القوالب الذهنية التي سادت في الفكر الأوربي في عصره، إذ وضع الانتشار السلمي للمسيحية في مقابل "ما أسماه بالانتشار الإكراهي" للإسلام وقيم تفسيره لظاهرة انتشار الإسلام على مقولة مفادها أنّ محمداً أتبع دعوته في بادئ الأمر الجهلة البدائيون فقط، أولئك الذين عاشوا في الصحراء، ولم يسبق لهم أن عرفوا أيّ تعليم أو عقيدة، وعن طريق هؤلاء البدو الصّغار أجبر محمد بقوة السيف بقية الناس في المنطقة على الإمتثال إلى شريعته⁽⁴⁾. كما يؤكد توما الإكويني المزاعم

¹ — ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 84.

² — نجي محمد فرج: المركزية اللاهوتية، ص 69.

³ — المرجع نفسه، ص 85.

⁴ — المرجع نفسه، ص 86.

القائلة أن محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته من خلال تشجيعه إياه على الحصول على الملذات والشهوات الحسية، وعن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجه الغريزي⁽¹⁾. وينهب توما الإكويني إلى أن محمداً أسس شريعة وأحكاماً، تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب، ثم ينهب إلى القول إنه لكي لا يكتشف أتباعه زيف شريعته، فإن محمداً حرم عليهم قراءة العهدين القديم والجديد، وتوما الإكويني لا يستخدم كلمة "القرآن" مطلقاً وإنما يستعمل محلها عبارة "قوانين محمد"⁽²⁾. وهكذا فإن التصورات [المشوّهة والمغلوطة] المتكوّنة في أذهان الأوروبيين عن الإسلام وفق الأطر والقوالب الفكرية التمطية التي سادت في القرون الوسطى، كانت راسخة بصورة عجيبة، حيث بقي تأثيرها واضحاً في القرون اللاحقة.

وفي القرن السادس عشر الميلادي حصلت تغيرات كبرى في موقف المسيحيين تجاه الإسلام أهمها: أن الإسلام في نظرهم لم يعد المنافس الجدّي في مجال العقل والعلم، وذلك لأنهم بدأوا يقفون على التحوّل الواضح في السبق العلمي الذي أصبح إلى صفّهم وكان الراهب واللاهوتي الألماني زعيم حركة الإصلاح الديني مارتن لوثر⁽³⁾ أوّل من نهكهم على تصورات مسيحيي القرون الوسطى حول الإسلام وأسمائها "خرافات الأوروبيين وجهالائهم" حيال الإسلام. وكانت آراؤه عدائية تجاه الإسلام، فقد كان اقتراب الجيوش التركية العثمانية من فيينا (عاصمة النمسا) سنة 1524م، باعثاً لوصف الإسلام بأنه دين العنف الذي يخدم المسيح الدجّال، وأنّ المسلمين معادون للعقل والعلم، ولا فائدة ترجى من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصّحيح (الإيمان المسيحي)، والحلّ الأجدى هو محاربتهم بقوة السيّف وحده⁽⁴⁾. والحقيقة أنّ مارتن لوثر كان واحداً من أوّلئك الذين صاغوا في القرن السادس عشر، نموذجاً جديلاً كلياً للموقف من الإسلام وذلك هو "النموذج السّليبي" الذي استخدم في الجدل العنيف مع الكنيسة الكاثوليكية، حيث يقول لوثر في هذا الصّدّد: "البابا والإسلام

¹ — دراسات إسلامية مسيحية العدد 6 ، ص 265.

² — المرجع نفسه، ص 266.

³ — مارتن لوثر (1483-1546م) لا هوّي ومفكر وكاتب ألماني انفصل على الكنيسة الكاثوليكية بسبب اعتراضه على تصرفاتها وقاد حركة احتجاج كانت نتيجتها ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتي .

⁴ — جورافسكي: مرجع سابق ص 97.

يشكلان- من حيث الجوهر- العدوين اللدودين للمسيح وللكنيسة المقدسة، ولكن إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال، فإن البابا هو رأسه⁽¹⁾.

وبهذا الشكل، أصبح الإسلام مرادفاً للخطيئة داخل الكنيسة المسيحية، كما أصبحت الكنيسة الكاثوليكية ذاتها، هي الإسلام.

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح المفكرون المسيحيون (في أوروبا) كثيراً ما يعودون إلى الحديث عن الإسلام، ليس بهدف محاورته أو مناظرته مباشرة، بل من أجل استخدامه كنموذج ووسيلة في المجادلات اللاهوتية والفلسفية المشتدة، وهكذا فإن اتهام المفكرين لبعضهم البعض بصفة "الإسلامية" أصبح هو "الموضة" الراجحة بين اللاهوتيين البروتستانت والكاثوليك في القرن السادس عشر، كما أصبح هذا الإتهام المتبادل "الإسلامية" شائعاً لمدة قرن بعد ذلك بين عدد كبير من المتخاصمين من الطائفتين.

كما كان الإسلام ونيّه كانا حاضرين في فكر وأعمال مفكري القرن الثامن عشر وخاصة أصحاب مذهب التنوير وعلى رأسهم فولتير⁽²⁾. لقد استقطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكر ونظر هذا المفكر، فجعل منه بطلاً لمسرحيته التراجيدية "ماهومت" (محمد)، التسمية الكاملة للمسرحية (التعصب أو النبي محمد)، لقد رأى فولتير في شخص النبي محمد نموذج التعصب الديني والطغيان التیوقراطي، الذي يستغل مشاعر الناس البسطاء ومعتقداتهم الساذجة لأجل بلوغ غاياته الشريرة، لقد كتب فولتير إلى بعض أصدقائه قائلاً: "إني أصور محمداً متعصباً عنيفاً، وعاراً على الجنس البشري، الذي من تاجر أصبح نبياً، مشرعاً وملكاً، "محمد" إنه يجسد خطر التعصب⁽³⁾. وفي رسالته إلى ملك بروسيا حول تراجيديا: محمد" يشرح فولتير مرة أخرى مفهومه وتصوره لشخصية النبي محمد قائلاً: (محمد عندي ليس سوى مرآة بيده سلاح)⁽⁴⁾.

¹ — ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 98.

² — فولتير (1694-1778م): اسمه الحقيقي فرانسوا ماري أورفي فرنسي، أقام في بروسيا وسويسرا، ألف في التاريخ والفلسفة والمسرح وكتب الشعر كان ممقوتاً من طرف الكتاب والمفكرين زيادة على رجال الدين من مؤلفاته رسائل فلسفية حول الأنجليز والقاموس الفلسفي ومحمدن وهو من أتم وأشهر الفلاسفة التنويريين في القرن 18.

³ — ألكسي جورافسكي: مرجع سابق ص 100.

⁴ — المرجع نفسه، ص 101.

إن فولتر كما يتضح لم يكلف نفسه عناء محاولة فهم ظروف نشأة الإسلام، وبالتالي الوصول إلى إدراك موضوعي سليم لتاريخ ظهور العقيدة وجوهرها وجهد محمد-صلى الله عليه وسلم- من أجل نشر عقيدة التوحيد، كما أن فولتير بني على أساس "مادة الإسلام" حلولاً للمشكلات السياسية الاجتماعية التي سادت في عصره. ففي عمق عمله التراجيدي هذا يمكن للباحث أن يرى مشكلات أوروبا (في القرن السابع والثامن عشر)، وعلى رأسها: قضايا الحاكم والشعب والدولة والكنيسة، كما أراد من خلاله أن يعالج النقائص والعيوب الاجتماعية والسلطة المطلقة المؤدية إلى الاستبداد، والتعصب الديني، الذي يشكّل الأرضية المواتية لتلك السلطة الاستبدادية. وهكذا نجد أن المسرحية تعج بالأفكار والآراء التنويرية لعصر فولتير، مع أنّها بعنوان "محمد".

وإذا رجعنا إلى جملة ما كتب عن الإسلام في القرن الثامن عشر أمكننا القول: إن مفكري هذا القرن ألبسوا الإسلام حلة مشحونة بمضمون أيديولوجي جديد (حيث يستخدم ليس فقط من قبل فرق وجماعات مسيحية مختلفة ومتعارضة في المناقشات والمناظرات اللاهوتية والمذهبية فيما بينها وإثما من طرف أنصار نظرية التقدم في مجادلاتهم ضد القوى المحافظة والتقليدية)⁽¹⁾.

لقد وجدت النخبة المثقفة الأوروبية في نقد الإسلام تعبيراً عن نزعاتها وميولها المعادية للهيئات الكنسية والسلطات الملكية المطلقة. وهكذا أصبحت فكرة رجعية الإسلام وعدائته للتقدم الاجتماعي والثقافي للشعوب، هي الفكرة السائدة عند مفكري القرن الثامن عشر، حيث صارت قالباً غمطياً شائعاً لأبعد الحدود واستمر إلى القرن التاسع عشر.

وفي القرن التاسع عشر اتسعت دائرة الاهتمام بالعالم الإسلامي، عند مفكري أوروبا، ولكن هذا الاهتمام كان بدافع المصالح الحيوية للبلدان الأوروبية والاحتياجات العملية التي أصبحت تُملّيها ظروف المرحلة. وهكذا شهدت بلدان الشرق موجة كبيرة وقوية من الوافدين الأوروبيين شملت العسكريين والتجار والمبشرين والإداريين والإطارات التقنية والعلماء من اختصاصات مختلفة، فانفتحت أمامهم بذلك إمكانات عريضة للتعرف على عالم مختلف، واتسعت دائرة معارفهم عن البلدان الإسلامية وحياة شعوبها بسرعة فائقة. وقد ظهر للدوائر الاستراتيجية الغربية أن التفوق العسكري والتقني والاقتصادي غير كاف من أجل

¹ - أليكسي جورافسكي: مرجع سابق، ص 102.

إدارة البلدان المستعمرة، والاحتفاظ بالتأثير اللازم في البلدان التابعة، فالمصالح الاستعمارية بحاجة إلى المعارف والمعطيات حول تلك البلدان.

وليس غمّة شك في أن علم الإسلاميات الأوربي قدّم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مساهمة ضخمة في مجال دراسة تاريخ الإسلام وثقافة وعقيدة⁽¹⁾.

إنّ علم الإسلاميات الأوربي شكّل عدداً ضخماً من الأساطير والخرافات الغربية الجديدة حول الإسلام، ولم يفعل شيئاً مهماً سوى أنّه أضفى صبغة علمية على الأضاليل القديمة والخرافات العتيقة عن الإسلام. ولقد قدّمت الدراسات الاستشرافية في القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، صورة مزدوجة عن الإسلام استقرت في الوعي الأوربي فصورته في الأولى على أنّه أكبر تهديد وعدو للمصالح الغربية لأنّه أكبر عامل في الوحدة الإسلامية، وصورته في الثانية على أنّه رسالة تعصّب معاديه لـ "رسالة أوربا التحضيرية" الإنسانية الكونية كما صورته بعض الدراسات المتأخرة للإسلام على أنّه عامل استقرار وتثبيت، يمكن استخدامه في إطار إطاعة الحكام والمحافظة على السلطات الصّديقة⁽²⁾.

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسام الفكر الأوربي إلى تيارين أساسيين تجاه الإسلام: - أمّا الأوّل: وهو الأوسع انتشاراً فقد بقي أصحابه أسرى للدوافع والأهواء الدّينية- الطائفية والمذهبية التقليدية نحو الإسلام والتي تعتمد أساساً على الشحن العاطفي وتأجيج المشاعر.

- وأمّا الثاني: وهو الأصغر حجماً والأقل انتشاراً فقد استند أصحابه نسبياً إلى المنهج العلمي، وإلى تحليل المعطيات والوثائق الأصلية واستخدامها ولو بصورة جزئية، وقد ظهرت أصوات جديدة تطرح آراء وأفكاراً وتفسيرات فلسفية- لاهوتية حول نشوء الإسلام ودعوته ومرتكزاته العقائدية الأساسية. ومن أبرز أصحابها في أوائل القرن العشرين، الكاتب الكاثوليكي المستشرق LOUIS MASSIGNON لويس ماسينيون⁽³⁾ الذي تعدّ إسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته، بداية التحوّل الكاثوليكي بشأن الموقف من الإسلام.

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 105.

² - د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام بتصورات الغرب، ص 34.

³ - لويس ماسينيون: (1883-1962) مستشرق وعالم فرنسي تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والانجليزية كان عضواً في الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة، عني بالآثار القديمة والتنقيب عنها، أشهر أعماله الاستشرافية كانت حول الحلاج.

فخلافاً للمنهج العدائي المسبق من طرف أغلبية علماء الإسلاميات [المستشرقين]، فإنّ لويس ماسينيوس بنى موقفه تجاه الإسلام، انطلاقاً من فكرة "الاتصال" و"الارتباط" الديني بين المسيحيين والمسلمين، وقد رأى أنّ في هذا الارتباط آفاقاً واقعية عريضة أمام الفهم المتبادل بين أتباع الديانتين الكونيتين، ومن هنا يمكن القول إنّ لويس ماسينيوس كان ذا فضل ريادي في البحث عن التقريب بين مصالح الأوروبيين والمسلمين في مجال الاتصال والحوار الديني⁽¹⁾، ويهدف إقامة السلام، الصداقة، والتعاون بين الشعوب، بين أناس ينتمون إلى أمم وعقائد مختلفة أسّس لويس ماسينيوس عدداً من الجمعيات الفرنسية العربية للتبادل الثقافي فقد أسّس في عام 1947م الجمعية الفرنسية الإسلامية، وقام بتأسيس جمعية فرنسا-المغرب سنة 1953م كما ترأس في عام 1954م رابطة أصدقاء غاندي، وكان عضواً في الجمعيتين العربيتين بدمشق والقاهرة.

لقد خشي ماسينيون كثيراً مظاهر التصادم بين الحضارة الغربية المعاصرة والمجتمع الإسلامي والتي كان من نتائجها، وفق رأيه-أن أصبح المجتمع الإسلامي أمام خطر حقيقي يتجلى في فقد مقومات شخصيته المميّزة، لقد كان بعض المستشرقين المعاصرين لماسينيون يرون أنّ العالم الإسلامي بإمكانه أن يتكيف مع الحداثة والمعاصرة، من خلال تحديث الإسلام ذاته عن طريق تخليه عن أطروحات القرون الوسطى حول العالم، واستبدالها بمقولات أحدث وأكثر عصريّة، وأن يكون ذلك عن طريق التعليم الغربي الذي من شأنه أن يحرّر تفكير المسلمين ويعيدهم تدريجياً إلى الأوربة، أما لويس ماسينيون فكان مقتنعاً، بأنّ مستقبل المسلمين متعلق بمدى وفائهم "للتقليد الابراهيمي"، ومدى قدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحي الأصيل، وتحديد ثقافتهم الحقيقية، والأوروبيون الذين يتحملون مسؤوليته تخطيم العالم الإسلامي وثقافته الأصيلّة يجب أن يتواصلوا مع الإسلام ويسهموا في انبعائه وإعادة بعث القيم التي أضاعها الغربيون لأنّ كل ما هو موجود من القيم عبارة عن ثروة إنسانية مشتركة⁽²⁾.

وبالرغم من ذلك فإنّ ماسينيون لم يتخل عن بعض مقولات أسلافه من علماء الإسلاميات [المستشرقين] فقد اعتبر أنّ الإسلام يرجع من حيث منبعه إلى الصلوة الثانية (الدعاء) لآبراهيم في بئر سبع عن ولده البكر إسماعيل وشعبه العرب⁽³⁾. وطبقاً لهذا فإنّ

¹ - أليكسي جورافسكي: مرجع سابق ص 121.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - سفر التكوين إص 17 الفقرتان 17-18 و إص 21 الفقرتان 19-21.

العرب هم أبناء الجارية الذين استثنى أبوهم [إسماعيل] من "العهد" الذي أقيم مع إسحاق بن سارة⁽¹⁾. وبسبب ذلك العهد القديم لم يكن بمقدور إسماعيل الاشتراك في العهد الجديد وبناء عليه، فإن اليهود والمسيحيين دوناً عن المسلمين، ينتمون إلى الذرية "المختارة" وحسب رأي ماسينيون فإن الإسلام جاء بمنزلة ضمير لليهودية والمسيحية، وإن ظهوره في العالم إن هو إلا "إنذار إلهي" يذكر اليهود ويحذرهم من عاقبة عدم اعترافهم بالمسيح رغم أنه ولد وعاش بينهم، كما أنه يحذر المسيحيين من التواني في واجباتهم "بتنوير المخلوقات" وقيامهم بذلك الدور كشعب مختار⁽²⁾.

وفي موضع آخر يرى ماسينيون أن بإمكان المسيحيين الاعتراف "بالمصادقية النسبية" للقرآن والاعتراف الجزئي "المشروط" بنبوة محمد. كما رأى ماسينيون أن مذهب الخلاج الصوفي الحلولي لا يتعارض أو يتناقض في أفكاره وتوجهاته العامة والأساسية مع الإسلام الشُّني كما أن صاحبه الخلاج أقرب شخص مسلم إلى فكرة المسيحية حول وحدة اللاهوت والناسوت⁽³⁾.

ومن هذا المنطلق أولى ماسينيون أهمية كبيرة لدراسة المسائل اللاهوتية العامة التي تتسم بأهمية رمزية، والتي تشكل في رأيه محطات أساسية في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، كموضوع تبجيل مريم العذراء في الإسلام والمسيحية، وموضوع أهل الكهف، ومعاودة نجران بين النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى، وكان لويس ماسينيون يقول إن البحث المركز في تلك المواضيع المشتركة بين الديانتين من شأنه هيئة الأرضية الطيبة لحوار لاهوتي منمّر بين المسيحية والإسلام.

ورغم أن رؤيته لم تتخلص كلية من المنطلقات الفلسفية والآهوتية المسيحية، فإنه وفي الناحية العملية، كان يرى أنه يوجد بين المسيحيين والمسلمين إمكان حقيقي للتفاهم الديني المتبادل، ولهذا كان يرى أنه من الواجب على الكنيسة [الكاثوليكية] أن تعترف بالإسلام ومكانته المستقلة كديانة توحيدية. ومن هذا المنطلق تقدّم ماسينيون بمبادرات كثيرة لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية الرومانية [الفاتيكان] تجاه الإسلام⁽⁴⁾.

¹ — سفر التكوين إصحاح 17: فقرة: 18-21.

² — ألكسي جورافسكي: مرجع سابق ص 125.

³ — المرجع نفسه، ص 126.

⁴ — المرجع نفسه، ص 128.

وقد كانت مراسلاته واتصالاته الواسعة بالهيئات الكاثوليكية العليا، بما في ذلك صداقته الشخصية مع جيوفاني باتيستا مونتيني (الذي أصبح فيما بعد البابا بولس السادس) تمهيداً للمناقشات التي دارت في المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) حول العلاقة بين الكنيسة (الكاثوليكية) والمسلمين⁽¹⁾.

والواقع أن الكنيسة الكاثوليكية سايرت تياراً وسطاً، والذي مثله كل من لويس غارديه وروبار كاسبار وجاك جوميه وجورج قنواي وغيرهم، وهو موقف الانفتاح والحوار مع المسلمين والذي ينطلق من ضرورة الحوار والتقارب مع المسلمين في المجالات الاجتماعية والثقافية والروحية، مع الابتعاد عن المنطقة التي لا تتحمل المناقشة المفصلة لحساسياتها، ونعني بها المسائل المتعلقة بالأسس والمبادئ العقيدية في كلتا الديانتين.

المبحث الثالث: الكنيسة والدعوة إلى الحوار:

المطلب الأول: مقدمات التحول في موقف الكنيسة:

شهد النصف الأول من القرن العشرين تحولات كبيرة في موقف الكنيسة الكاثوليكية وعلاقاتها بالشعوب غير الأوروبية، وثقافتها وأصبحت اهتماماتها وتوجهاتها الاجتماعية والثقافية تنتقل تدريجياً باتجاه العالم غير الأوروبي، لتصبح الكنائس الفتية الناشئة في البلدان النامية مركزاً للكنيسة الكاثوليكية. وقد كان التركيز [أولاً] على المسيحية في الشرق الأدنى، فقد تأسست في عام 1917م "أمانة شؤون الكنيسة الشرقية"، والتي أصبح اسمها بعد المجمع الفاتيكاني الثاني "أمانة شؤون الكنائس الشرقية"، ثم تأسس المعهد البابوي للدراسات الشرقية في روما. كما أنشأ المبشرون الكاثوليك مجموعة من المراكز العلمية في البلدان العربية منها: جامعة القديس يوسف الكاثوليكية في بيروت [اليسوعيين]، والمعهد البابوي للدراسات الشرقية في القاهرة [الدومينيكان]، ومعهد دراسات الآباء البيض في تونس⁽²⁾. وهي إلى جانب نشاطاتها العلمية الاستشرافية تلعب دوراً رئيسياً في عملية التبشير، وكذا تفعيل عملية الحوار الإسلامي المسيحي، ولقد واجهت الكنيسة الكاثوليكية في تلك الفترة مشكلة كبيرة، كونها كنيسة

¹ - أليكسي جورافسكي: مرجع سابق، ص 129.

² - د/ سعيد المولى: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة دار المنهل اللبناني بيروت ط1، 1996 ص 143.

غربية، والغرب كان مستعمراً لمعظم الشعوب الإفريقية والآسيوية بما فيها المسلمين ولقد أدركت السلطة الكنسية الكاثوليكية أن شعوب العالم الإسلامي سائرة حتماً إلى الاستقلال، فأخذت تكيف نفسها مع الوضع الجديد، فسعت إلى محاولة تمييز نفسها ككيان مستقل عن الثقافة الغربية، والغرب عموماً، فقد تحدث البابا بيوس الثاني عشر سنة 1955م قائلاً: "إنّ الكنيسة الكاثوليكية لا تطابق نفسها بأي شكل من الأشكال مع الثقافة الغربية، كما أنّها لا تطابق نفسها بشكل عام بأي ثقافة معيّنة، بل إنّها تسعى إلى الاتحاد مع كل منها"⁽¹⁾. وفي نفس السنة 1955م، وفي تحية كتبها للمؤتمر الدولي للعلوم التاريخية، عاد البابا بيوس الثاني عشر إلى تأكيد هذه الفكرة من جديد قائلاً: "ما يسمى بالغرب أو العالم الغربي تعرض منذ القرون الوسطى إلى تغيّرات عميقة، فالعقلانية والليبرالية قادتا إلى دولة القرن التاسع عشر، إلى سياسة تقوم على القوة وإلى الحضارة العلمانية، والتغير فيما يخص العلاقة بين الغرب والكنيسة الكاثوليكية أصبح حتمياً"⁽²⁾. ومن هنا جاءت التحولات الجديدة في توجهات الكنيسة الكاثوليكية ومواقفها من:

- 1- قضية إزالة الاستعمار في إفريقيا وآسيا.
 - 2- العلاقة بين الشعوب من وجهة نظر عدم التماثل في تطوّرهما الاقتصادي، حيث أشارت رسالة البابا يوحنا 23 سنة 1961، إلى ضرورة التكافؤ والتماثل في مستويات النمو والتطور بين البلدان الصناعية النامية والسائرة في طريق النمو.
 - 3- نوعية علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالتقاليد الثقافية والدينية لشعوب البلدان الأفروآسيوية.
- وقد تجسّد الاهتمام بهذا المجال الحيوي الجديد للكنيسة في المجمع الفاتيكاني الثاني، حيث ضمّ هذا المجمع وللمرة الأولى أساقفة من بلدان آسيا وإفريقيا فمن آسيا حضر 238 أسقفاً حوالي 20.5%، ومن إفريقيا حوالي 186 أسقفاً أي حوالي 10%، ومن أوروبا 728 أسقفاً 38%.

¹ — أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص 135.

² — المرجع نفسه ص 135.

المطلب الثاني: المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م) والحوار مع الإسلام.

نظراً لكل ما سبق ذكره من مستجدات على الساحة العالمية، من حركات الاستقلال في البلدان المستعمرة وتسارع وتيرة الاقتصاد العالمي، وما أوجده من هوة بين الأغنياء والفقراء في العالم، مما أصبح يشكل عائقاً أمام نشاط الكنيسة الكاثوليكية، خارج حدود الدول الغربية، ويضع علاقتها باتباع الديانات الأخرى موضع المساءلة والإتهام، بالإضافة إلى السعي البروتستانتي الأمريكي لبسط نفوذه على منطقة الشرق الأوسط. نظراً لكل هذا سارعت الكنيسة الكاثوليكية، ولأول مرة في تاريخها، للبحث على المستوى المذهبي والعقائدي عن حلول ومنافذ جديدة لعلاقتها مع الآخر، وذلك في أشغال المجمع الفاتيكاني الثاني⁽¹⁾ (62-1965م)، وقد خصّص المجتمعون لهذه القضية تصريحاً (خاصاً) ومناقشة بعض جوانبها كما جاء في الوثائق والقرارات الصادرة عن المجمع وهي كالآتي:

- "الدستور العقائدي في الكنيسة"

- "الدستور الرعوي في الكنيسة وعالم اليوم"

- "في رسالة العلمانيين"

- "مهمة الأساقفة الرعوية في الكنيسة"

- "نشاط الكنيسة الإرسالي".

وكذلك في البيانات والإعلانات الصادرة عن المجمع:

- "الحرية الدينية"

- "التربية المسيحية"⁽²⁾.

ونظراً لأنّ بلدان وشعوب العالم الإسلامي كانت مستعمرة، وخرج معظمها من قيود الاستعمار الغربي في تلك الفترة، ولأنّ الكنيسة الكاثوليكية كانت متورطة بشكل أوبآخر، بتواطئها مع الاستعمار، وفي بعض الأحيان بتبريره واستغلاله، ولكي تحافظ على هذا المجال الحيوي لنشاطها، ولكي تكيف نفسها مع الظروف والمعطيات الجديدة، فقد كانت علاقة الكنيسة بالإسلام من القضايا الأساسية التي كانت موضع بحث ودراسة في جلسات المجمع

¹ — عز الدين إبراهيم: بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي، ما الجدوى وما المستقبل؟ مجلة المسلم المعاصر العدد

107 السنة 27، 2003، ص 31.

² — أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 137.

الفاثيكاني الثاني. ففي المرحلة التحضيرية للمجمع بين سنتي 1960-1961م تحدث عدد من المؤتمرين [وخاصة من أساقفة آسيا وإفريقيا] عن ضرورة إصدار وثيقة حول علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالديانات غير المسيحية، ورأى بعضهم وجوب التحدث عن المسلمين بروح إيجابية، رغم تمسك البعض الآخر بوجهة النظر التقليدية، التي ترى في الإسلام بدعة خطيرة، وتهديداً حقيقياً للكنيسة.

وفي السنوات التي عقد فيها المجمع (62-1965)، وخاصة بين المرحلتين الثانية والثالثة حدثت تطورات جذبت الاهتمام صوب الإسلام، فقد زار البابا بولس السادس منطقة الشرق الأدنى سنة 1964، فزار عمّان والقدس، وتوجّه في خطاباته التي ألقاها بالتحية إلى المسلمين، كما دعا إلى احترام أولئك الذين يعتنقون الأديان التوحيدية، والذين يعبدون مع المسيحيين إلهاً واحداً حقيقياً على حدّ قوله. ومن هذا المنطلق أعلن البابا بولس السادس في نفس السنة 1964م عن إنشاء: "أمانة سر لشؤون الديانات غير المسيحية" والتي حدّدت مهمتها الأساسية في إقامة حوار مع أولئك الذين يؤمنون بالله ويعبدونه⁽¹⁾. وقد كان البابا بولس السادس يركز في كل فرصة على ضرورة الحوار مع كل المؤمنين، لإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى، وعلى ضرورة التقارب والحوار مع المسلمين بصفة خاصة⁽²⁾.

وقد شكّلت لجنة فرعية حول مسألة العلاقة مع الإسلام قبيل انعقاد الدورة الثالثة، وكان من بين أعضائها خبراء من المعهد الدومينيكاني للدراسات والأبحاث الشرقية في القاهرة ومن المعهد البونيفيكيكاني للآباء البيض الكاثوليك للدراسات الشرقية في تونس أمثال جورج قنواي وروبار كوسبار وغيرهما، وقد قرّرت اللجنة التي كلّفت بإعداد مشروع الدستور العقائدي في الكنيسة أن تضمّ إلى الفصل الخاص "شعب الرّب" [إسرائيل والمسيحيين]، قسماً خاصاً بغير المسيحيين حيث يولي هذا القسم اهتماماً خاصاً للمسلمين والذين وصفوا بـ: "أولئك الذين لم يأخذوا بالإنجيل بعد، ولكنهم بدرجة مختلفة ينتمون إلى شعب الرّب"⁽³⁾.

إنّ الكنيسة الكاثوليكية التي أغلقت باب الخلاص أمام غير المنتمين إليها والذين لم يعرفوا الإنجيل والرّب معرفة واضحة، على حدّ تعبيرها، كثّفت جهودها خلال هذا المجمع ودوراته

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص 139.

² - موريس بو رمانس: البابا بولس السادس والمسلمون دراسات إسلامية مسيحية العدد الرابع 1978 ص 3.

³ - المرجع نفسه، ص 4.

المتعاقبة لبحث المبررات الآهوتية والفلسفية لتوجهاتها الجديدة وعلاقتها الودية والحوارية مع غير المسيحيين، وفي مقدمتهم: أولئك الذين رأى فيهم أعداء للمسيح والكنيسة، أي المسلمين، فقد وجدت في انتماء المسلمين بشكل مختلف عن انتماء اليهود والمسيحيين إلى إبراهيم، وفي إيمانهم بالخالق الواحد وعبادتهم له، الذين ينفذون بأعمالهم إرادته ويتبعون حياة صحيحة بعون الرب ذاته، مبررات كافية لكي يشملهم الخلاص بكيفية مختلفة، لأنّ المخلص، حسب ما تذهب إليه، يريد أن يخلص جميع الناس، ولن يحرّموا من الخلاص لأنهم لا ذنب لهم في عدم معرفة إنجيل المسيح وكنيسته، وما تقدم من إيمانهم وصلاحهم إن هو في نظر الكنيسة إلاّ كهيئة لهم لقبول الإنجيل والدخول في الكنيسة⁽¹⁾.

ومن الأمور ذات الأهمية أنّ المجمع عاجل للمرة الأولى موضوع علاقة الكنيسة بالمسلمين ضمن معالجة مكانة غير المسيحيين في عقيدة الخلاص. وتعتبر مشكلة "خلاص غير المسيحيين" من المشكلات الحادة ومن الموضوعات الهامة التي أثارها اللاهوتيون الكاثوليك، حيث طرحوا الإشكالات المتعلقة بها من جوانب مختلفة أمام هذا المجمع، وكان الطرح الأكثر قوة هو كالآتي:

"باعتبار أنّ الفداء التكفيري الذي قدمه المسيح كان من أجل الناس جميعاً بصرف النظر عن عقائدهم ومنطلقاتهم الدينية، فإنّ المسيحية التاريخية" التي لا تشمل سوى جزء من البشرية، ليست هي السبيل الوحيد للخلاص"⁽²⁾.

وأفضت المناقشات إلى التسليم بأنّ أشكال الغفران والخلاص الإلهي متنوعة في العالم، وأنّ الثقافة الخاصة يمكن أن تكون أحد تلك الأشكال، "فالثقافة التي تعمق في كل إنسان سعيه الأزلي والدائم لبلوغ القيم السامية تصبح أحد الأشكال غير الصريحة لتعرف ذلك الذي خلق الكون والناس جميعاً، وبالتالي فإنّ خلاص الإنسان ينظر إليه هنا، في سياق الوسط الثقافي الذي ينتمي إليه .

¹ — مورييس بو رماتس: البابا بولس السادس والمسلمون ص 5 .

² — الدستور العقائدي في الكنيسة الصادر عن الفاتيكان 1965.

وقد جرت خلال مناقشات أعمال الدوريتين الثالثة والرابعة تصحيحات وتعديلات كثيرة حول نص التصريح الذي جرى الاقتراع عليه في جلسة علنية في 15 أكتوبر 1965 بعنوان: "علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية"⁽¹⁾.

ويتألف نص التصريح حول: "علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية" من خمسة أقسام:
1- المقدمة:

وجاء فيها بيان المسيرة البشرية نحو الاتحاد، ونمو العلاقات المختلفة بين الشعوب، والذي تغيرت فيه أيضاً نظرة الكنيسة إلى علاقتها بالديانات غير المسيحية كما جاء فيها أن الكنيسة والتزاماً بمهمتها القائمة على مبدأ تعزيز الوحدة والمحبة بين الناس والشعوب، تعمل على البحث عما هو مشترك بين الناس وما يقودهم إلى مصير واحد.

2- القسم الثاني:

ورد فيه حديث عن "مختلف الديانات غير المسيحية" بشكل غير مفصّل وشرح لسعي الإنسان الدائم ومنذ أقدم العصور لإدراك القوة الخفية، المسككة بمجريات الأمور والحوادث في الحياة البشرية. ولئن حاولت الديانات الإجابة عن الأسئلة المصيرية، ومنها الهندوسية والبوذية، كما ورد فيه احترام الكنيسة لتلك القواعد والتعاليم، التي غالباً ما حملت شعاعات من تلك الحقيقة التي تنير كل الناس، وحثّها لأتباعها على معرفة تلك الخيارات والقيم الاجتماعية والثقافية الموجودة لدى تلك الديانات⁽²⁾.

3- القسم الثالث:

وقد خصّصه المجتمعون ومحررو البيان للحديث عن الديانة الإسلامية وسنرجع إليه فيما بعد.

4- القسم الرابع: خصّص للحديث عن الديانة اليهودية.

5- القسم الخامس: تحدث عن الأخوة الشاملة التي ينتهي فيها كل تمييز، كما جاء فيه بيان موقف الكنيسة الراض لكل نظرية أو تصرف يفرق بين إنسان وإنسان وبين أمة وأمة وللتفرقة العنصرية وللظلم اللاحق بالبشر، بسبب عرقهم أو لونهم وسبب وضعهم أو دياناتهم

¹ — جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص 142.

² — الدستور العقائدي في الكنيسة 1965.

وما يهمنا هنا في موضوعنا هو القسم الثالث من نص التصريح والذي ورد فيه بيان لنظرة الكنيسة وموقفها من الديانة الإسلامية:

"تنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضاً إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، ومكلم البشر، الذين [أي المسلمين] يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما خضع له إبراهيم، الذي يستند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي، وأنهم يحلون يسوع كني، وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون أمه مريم العذراء، كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحياناً، علاوة على ذلك فإنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضاً، ويؤدون العبادة لله، لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم¹."

وإذا كانت قد نشأت، على مرّ القرون، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالجمع المقدس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معاً العدالة الاجتماعية والخيارات الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة الناس جميعاً."

إنّ النص النهائي للتصريح الصّادر عن المجمع، في قسمه الخاص بعلاقة الكنيسة بالديانة الإسلامية، وإن جاء في سياق بيان تغيّر موقف الكنيسة من الإسلام، فإنّ الوقوف على بنيته يكشف أنّ موقف الكنيسة لم يتغير من حيث جوهره اللاهوتي، إذ تظهر فيه الروح الاستعلانية للكنيسة وخاصة في العبارة: "إنّ الكنيسة تنظر بعين الاعتبار". وكأنّ الموقف الجديد تجاه الإسلام جعل الكنيسة تتنازل عن بعض مكانتها. كما تظهر فيه معالم النظرة التي تنتقص من عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام والتي تظهر في العبارة: "وأنهم يحلون يسوع [عيسى] كني، وإن لم يعترفوا به كإله" كما تبدو فيه بعض المغالطات في بيان عقيدة المسلمين في أمّ المسيح مريم عليها السلام، وذلك في العبارة "كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحياناً" وليس في ما نعلم أحد من المسلمين يفعل هذا ويعتقد أمراً آخرّاً في مريم سوى أنّها امرأة أكرمها الله واصطفها لتكون أمّاً لأحد أنبيائه. وإن كان بعض المستشرقين أمثال لويس ماسينيون، أراد من خلال أبحاثه الربط بين تقديس المسيحيين لمريم وإجلال بعض الشيعة

¹ - الدستور العقائدي للكنيسة الكاثوليكية 1965.

تجاه الإسلام جعل الكنيسة تتنازل عن بعض مكائنها. كما تظهر فيه معالم النظرة التي تنتقص من عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام والتي تظهر في العبارة: "وأنهم يجلّون يسوع [عيسى] كنبي، وإن لم يعترفوا به كإله" كما تبدو فيه بعض المغالطات في بيان عقيدة المسلمين في أم المسيح مريم عليها السلام، وذلك في العبارة "كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحياناً" وليس في ما نعلم أحد من المسلمين يفعل هذا ويعتقد أمراً آخر في مريم سوى أنها امرأة أكرمها الله واصطفها لتكون أمّاً لأحد أنبيائه. وإن كان بعض المستشرقين أمثال لويس ماسينيون، أراد من خلال أبحاثه الربط بين تقديس المسيحيين لمريم وإجلال بعض الشيعة

لفاطمة بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. والملاحظة العامة على نص التصريح، أنه جاء عاماً جداً ومقتضياً ومتحفظاً، كما تطرق لبعض المجالات التي تبدو مهمة في إطار الحوار الإسلامي المسيحي.

ولأن الرؤية الكاثوليكية للحوار تفرّق بين شكلية الأساسيين:

1- الشكل النظري [الحوار العقائدي]

2- الشكل العملي [التعاون في المجال الاجتماعي]

فإن نص التصريح الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني انطوى من حيث الموضوع على:

- 1- مآرته الكنيسة الكاثوليكية موقفاً إيجابياً من المسلمين، والدعوة إلى نسيان خلافات الماضي.
- 2- آفاق التعاون المشترك بين الديانتين في النواحي الاجتماعية والأخلاقية، ذلك أن المجمع حدّد ما يربط هاتين الديانتين بدرجة أو بأخرى [الوحدانية، التقليد الإبراهيمي المشترك، مسائل الآخرة، التعاليم الأخلاقية، العبادات...]

فبالنسبة للإيمان بالله الواحد "التوحيد" [وفق المصطلح الإسلامي] وهو الركن الأساس في العقيدة الإسلامية، والذي يؤكّده القسم الأوّل من الشهادة الإسلامية: "أشهد أن لا إله إلا الله". رأى اللاهوتيون الكاثوليك وجوب أن يصبح الأساس الذي يركز إليه الحوار الإسلامي المسيحي، وانطلاقاً من هذه الرابطة الجوهرية المشتركة يشير "الدستور العقائدي في الكنيسة" بصورة واضحة ومحدّدة إلى الذين: "يعبدون

جامعة الأمير
عبد القادر للعالم الإسلامي

1- الاتجاه الأول: ويمثله من يؤيد الحوار انطلاقاً من قرارات المجمع ووثائق الفاتيكان والرسائل البابوية اللاحقة، ويرى اللاهوتيون المؤيدون لهذا التوجّه أنّ السلوك العملي من أجل العدالة الاجتماعية والسلام الشامل، انطلاقاً من فكرة التوحيد، يشكّل أساس التفاهم المتبادل والتعاون المنشود بين المسيحيين والمسلمين

2- الاتجاه الثاني: ويمثله من لا يرون مانعاً في إقامة الحوار بين أتباع الديانتين ولكنهم يضعون له شرطاً، وهو أن يكون في المجال الدنيوي البحث، بحيث يتعد المتحاورون عن المسائل العقدية، أو تلك المتصلة بمفهومى الأمة أو الكنيسة العالمية.

3- الاتجاه الثالث: ويمثله بعض رجال الكنيسة الذين أظهروا شيئاً من التطرف في موقفهم من الحوار مع المسلمين، ومنهم الأسقف اللبناني بولس بسيم، فهذا الأخير يؤكد أنّ الشكل الوحيد المقبول لدى المسلمين فيما يخص النسق الاجتماعي السياسي هو "الأمة"، أي الجماعة الإسلامية التيقراطية التي تضع المسلمي (الأغلبية) في مرتبة "الحامي" و"الراعي" لديانات الأقليات الأخرى، ولهذا فإنّه في حدود العالم الإسلامي لا يمكن الحديث عن أي مساواة بما في ذلك الحقوق المدنية بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وهذا في الواقع "حسب رأي" بولس بسيم" يحول وحده دون إقامة أي حوار مفيد بين أتباع الديانتين⁽¹⁾. إنّ هذه الاتجاهات على اختلافها وتعدّدها، تقف شاهداً على أنّ الإشكال اللاهوتي بالنسبة لموقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام، لم يحل وأن نص التصريح الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني، لم يغن عن الخلاف، ولم يحسم الأمر بشكل لا يدعو إلى الجدل، كما هو الشأن أيضاً بالنسبة للبيانات التي صدرت بعده، ولهذا أعيد طرح وإنتاج الإشكالات المشار إليها من قبل، والتي تلخص كالآتي:

1- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

2- المصدر الإلهي للقرآن الكريم.

3- كون الإسلام طريقاً للخلاص.

فبالنسبة للإشكال الأول والخاص بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنّ المسيحيين يعترفون بمحمد صلى الله عليه وسلم كشخصية تاريخية عظيمة، أثرت على مجريات

¹ - البكسي جورافسكي: مرجع سابق ص 142.

الأمر والأحداث في العالم تأثيراً جذرياً، فقد استطاع أن يعطي العرب ديناً غير دينهم القديم ويجعل هذا الدين الجديد ديناً عالمياً، إن شخصية محمد فريدة تخالف المحيط العام الذي عاشت فيه، لقد أوجد قِيماً ومقاييس جديدة جاءت في القرآن.

يقول الأستاذ هانس كونج: "أليس حقاً أن محمداً كان ولا يزال الشخصية الدينية الأصيلة عند جزء كبير من الإنسانية؟ أليس حقاً أنه" وخلال قرون عديدة والقرآن والصحابة كانوا مرجع البشر كلما أشكل عليهم شيء؟" (1). ثم يذهب هذا الباحث إلى التعبير عن رأيه فيما يخص نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "وإذا كان هناك نبي يسمى "النبي" (معرفاً بالألف واللام) فإنه محمد صلى الله عليه وسلم، كما يقول هو عن نفسه، ولكن هل هو كذلك فعلاً؟ سأعبر عن رأيي باختصار وأذكر أن كل مسيحي أو يهودي حقيقي يتقصى هذا الأمر لا بد أن يسلم بصحة بعض النقاط (الأدلة) الآتية:

- مثل أنبياء إسرائيل لم يستمد محمد صلى الله عليه وسلم قوته من جماعة أو سلطة حكومية ولكن كان يستمدّها عن طريق علاقة شخصية بالله.
- مثل أنبياء إسرائيل كان محمد صلى الله عليه وسلم شخصية ذات إرادة قوية، رأى في نفسه رسولاً مختاراً مكلفاً برسالة من الله يبلغها للناس.
- مثل أنبياء إسرائيل جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسائله أثناء محنة (فوضى) دينية واجتماعية، وكان يقف وحده بكل قوة وصلاح وإصرار على تبليغ رسالته (دعوته)، ضد قوة معارضة مسيطرة لها تقاليد تتمسك بها ولا تريد تركها.
- مثل أنبياء إسرائيل بلغ محمد صلى الله عليه وسلم وبإصرار لا يهين التوحيد، الإيمان بآله واحد لا شريك له وهو الخالق الرحمن والمحاسب الرحيم .
- مثل أنبياء إسرائيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم بطاعة الله المطلقة والعبودية لله (الإسلام) بما يحتويه هذا من شكر لله ورحمته بالعالمين (اليسر).

¹ — د/ السيد محمد الشاهد: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام. دراسة تحليلية نقدية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط 1 1994، ص 34.

- مثل أنبياء إسرائيل-يربط محمد صلى الله عليه وسلم التوحيد الخالص بالإنسانية(حب الإنسان للإنسان humanisme)، ويربط الإيمان بوحداية الله وعد له بالمطالبة بالعدالة الاجتماعية، يبشر بالعدل والخلاص ينذر الظالمين بالنار ويبشّر المنصفين بالجنة .

إنّ من ينظر في التوراة والانجيل والقرآن يجد أنّهم جاءوا من مصدر واحد، خاصة التوراة والقرآن ففيهما أمور كثيرة متطابقة، أليس إذن الاعتراف بأنبياء إسرائيل وإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حكماً جديلاً خاطئاً ؟ كل هذه الأشياء تحتم علينا نحن المسيحيين أن نصحّ تصوّرنا عن محمد صلى الله عليه وسلم، ونترك الأحكام الخاطئة التي نشأت من الكراهية ضد الإسلام، وعلينا أن نضع نصب أعيننا مايلي:

- أنّ العرب كانوا على حق، عندما اتّبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي.

- أنّهم ارتقوا بدين التوحيد عما كانوا عليه من الكفر.

- أنّهم جميعاً استملوا من محمد صلى الله عليه وسلم أو بالأحرى من القرآن الكريم إلهاماً كثيراً وشجاعة وقوة انتقلت بهم إلى حقيقة عالية ومعرفة عميقة وإحياء وتجديد لدين خالد هو الإسلام⁽¹⁾.

ولا يقف هانس كونج عند هذا الحدّ من دعوة المسيحيين إلى تصحيح تصوراتهم عند محمد صلى الله عليه وسلم، وترك ما ترسب في أذهانهم من الأحكام الخاطئة والمشوهة، والتي تكوّنت لديهم في سياق ظروف تاريخية سادت فيها الكراهية، بل إنّه يذهب إلى دعوة الكنيسة الكاثوليكية نفسها، إلى أخذ موقف جاد وواضح وشجاع تجاه محمد صلى الله عليه وسلم- ونبوّته، حيث يقول: "ويجب على الكنيسة الكاثوليكية التي تحدّثت عن المسلمين بصفّتهم من عباد الله أن تملك الشجاعة وتتحدّث عن محمد صلى الله عليه وسلم- بنفس الوضوح... فإنّه هو الذي دعى الناس إلى عبادة الله وحده، ولم يفعل ذلك غيره في زمانه... هذا الإله الذي تحدّث إلى محمد صلى الله عليه وسلم-وسمّاه "التي"، إنّ الكتاب المقدّس كان يعترف بنبوّات بعد عيسى(عليه السّلام)، ولكن اختفاء هذا الاعتراف بدءاً من القرنين الثاني والثالث الميلاديين، لا يبرّر لنا إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

¹ - محمد الشاهد: التوحيد والنبوة والقرآن ، ص 31 و32.

² - محمد الشاهد: التوحيد، النبوة والقرآن في حوار الإسلام والمسيحية ، ص 32.

إن دعوة هانس كونج الكنيسة إلى الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم تعبير عن عمق الإشكال المطروح على المستوى الآهوتي، بالنسبة للكنيسة من جهة هي ملزمة بحكم ضرورة التكيف مع الظروف والمستجدات، للحوار مع المسلمين، ومن جهة ثانية هي متحفظة بشأن الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن فيه هدماً للمنظومة الآهوتية المسيحية من أساسها.

وبالنسبة للإشكال الثاني وهو المطروح على مستوى مصدرية القرآن، وهل هو كلام الله؟ فإنه بالنسبة للمنظومة المسيحية نعرف أن السؤال كان محرماً طوال قرون عديدة، لأن المسيحيين ينكرون ذلك وينسبون القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يطرح السؤال في العالم المسيحي بصورة واضحة إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وكان أول من طرحه عالم الأديان الكندي **Wilfred Contwell Smith** ولفريد كانتويل سميث، وذلك عام 1963 في كتابه "نحو فهم الإسلام" "On Understanding Islam" وذلك أن المسيحيين وإلى ذلك التاريخ كانوا يعتبرون القرآن نوعاً من البدع أو (الإفتراء)، وأنه لا يوجد وحي إلهي خارج حدود المسيحية الزمانية والمكانية. لقد ظل علماء الآهوت المسيحي ينكرون المصدر الإلهي للقرآن وكانت معظم الدراسات تشكك في صحة الوحي ومصدريته وتؤيد نظرية وجود تأثير يهودي ومسيحي، ويدلل أصحاب تلك النظرية على ذلك بما جاء في القرآن من آيات توافق ما جاء في الكتاب المقدس، وكذلك علاقات الحوار مع اليهود والمسيحيين.

ولكن بعض المفكرين الكاثوليك عدلوا عن أرائهم تلك، واضطروا في الأخير إلى الاعتراف بوجود نور (وحي) إلهي خارج الكنيسة بعد أن مكثوا فترة طويلة ينكرون ذلك، ومنهم **Karl Barth** كارل بارث، ويجدد الباحث الألماني هانس كونج دعوته الكنسية إلى تحديد الموقف الذي يجب أن تكونه في هذه المسألة إذا كانت تريد حواراً جاداً مع المسلمين، حيث يقول: "إنه لا مجال للشك في أن القرآن وحي إلهي، وأنه على عكس ما يدعي بعض علماء الدين المسيحي، وثيقة لبشر لا حصر لعدددهم، حيث تمتد صلاحية هذه الوثيقة حتى قرنا العشرين، ولم تقتصر على القرن السابع الذي أوحيت فيه"⁽¹⁾.

¹ - محمد الشاهد: التوحيد والنبوة والقرآن ، ص 34.

أما بخصوص الإشكال الثالث الخاص بعدم إقرار الكنيسة بالإسلام كطريق للخلاص، فإنّ موقف الكنيسة واضح من الناحية الآهوتية، وهو كون الخلاص قد اكتمل مشروعه ومخططه، وأغلقت دائرته بمجيء المسيح يسوع، تخلص العالم وفاديه، ويعتبر هذا الموضوع جوهرياً في حوار الكنيسة مع أصحاب الديانات الأخرى، إذ تتوقف أهمية الحوار وجديته على نوعية الإجابة على هذا السؤال: "ما الفائدة من حوار مع من سيذهبون إلى النار؟". إنّ الاعتراف بدين آخر كطريق للخلاص يعني بالنسبة للكنيسة تناقضاً صارخاً مع نظرية اكتمال الخلاص في المسيح يسوع، كما يترتب على احتمال وجود طريق للخلاص (دين صحيح) أن تعترف الكنيسة بأنّ هناك أنبياء حقيقيين في (الديانات الأخرى).

وقد حاول بعض الآهوتيين المسيحيين الاجتهاد لإيجاد مخرج لهذا السؤال المخرج للكنيسة الكاثوليكية، التي تريد إقامة علاقات جديدة مع أتباع الديانات الأخرى على أساس من الحوار والاعتراف المتبادل، ومن هؤلاء المجتهدين الباحث الكاثوليكي الألماني هانس كونج والذي يرى أنّ هذه القضية ينظر إليها من ناحيتين خارجية وداخلية.

أما بالنسبة للنظرة الخارجية، فإنّه يقول إنّّه إذا نظر إلى الأديان نظرة علمية، فإنّ المسيحيين يرون أنّ هناك ديانات متعدّدة حقيقية، وهذه الأديان على الرغم من تناقضها (كما يرى) تجيب على الأقلّ ضمناً، على مقاييس عامة [أخلاقية، ودينية] فهناك طرق متعدّدة للخلاص مع أوجه مختلفة⁽¹⁾. ثمّ يذهب إلى القول: إنّ النظر إلى هذه القضية من الداخل أي وجهة نظر المسيحي المؤمن، الذي يستمدّ توجّهه من العهد الجديد، فالنتيجة: ليس هناك سوى ديانة حقيقية واحدة هي الديانة المسيحية، طالما هي تشهد بوجود إله الحقيقي، كما يتجلّى في شخص يسوع المسيح⁽²⁾.

ومن هنا فأكثر المخارج الآهوتية تنازلاً، لا تغیر شيئاً من نظرة الكنيسة إلى الأديان الأخرى وإلى ذاتها كمحور للخلاص، فالبنسبة للعهد الجديد في عمومها، وبالنسبة للكنيسة فإنّ يسوع هو مرسل نهائي، وهو وحده مسيح الله، يسوع المسيح هو الطريق والحق

¹ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 205.

² - المرجع نفسه، ص 206.

والحياة⁽¹⁾ والآهوتي المسيحي لا يقبل أن يتخلّى عن هذا المعيار وهذه الغاية الموجودة في شخص يسوع المسيح وفي رسالته⁽²⁾.

المبحث الرابع: موقف المسلمين من دعوة الكنيسة إلى الحوار:
الحقيقة أن موقف العلماء المسلمين من الحوار بشكل عام كان ذا اتجاهين رئيسيين:

المطلب الأول: الاتجاه الموافق على الدخول في الحوار مع الكنيسة:
وهو أقوى الاتجاهين لأنه يعتبر امتداداً للنهج الذي رسمه القرآن الكريم للمسلمين في التعامل مع المخالفين دينياً من أتباع الديانات الأخرى، والمتضمن: التذكير بالأخوة الإنسانية إقرار الاختلاف بصورة عامة والديني بصفة خاصة، والدعوة إلى التعارف، واحترام المخالف دينياً، واحترام ما يؤمن به ويعتقد في صحته، ثم البحث عن أحسن السبل في المجادلة والحوار. وبالنسبة للأجيال الأولى من المسلمين فإنها عاشت الاختلاف مع الآخرين عملياً وعلى أكثر من مستوى، ولئن كانت بعض الأحيان قد شهدت اتجاهات نحو الصدام، فلأن الأخير توافرت أسبابه بالنسبة للمسلمين، ولكن الأحيان الكثيرة والغالبة كانت الأمور فيها تسير على وتيرة من التعايش والتسامح، ثم إنّه من الصعب على التسامح أن يتعايش مع من لا يؤمن بحتمية الاختلاف، ويبحث عن كل من يمكنه من استئصال مخالفه، وقد ظل المسيحيون يعتقدون في كمال عقيدتهم الخلاصية، وينتقصون كل العقائد والأديان الأخرى، ويرون فيها صوراً مشوّهة للحقيقة، وبالرغم من هذا، فإن المسلمين عاشوا التسامح مع المسيحيين على المستويين: النظري والعملي، أمّا الأول: فتشهد عليه النصوص المكتوبة والمحفوظة، والتي لم تكن في غالبها، سوى ردود على شبهات طعن بها المسيحيون الإسلام والمسلمين، أمّا الثاني: فيشهد عليه تاريخ المسلمين في علاقاتهم القائمة على التسامح وقبول الآخر المختلف بصورة عامة، والمسيحيين بصفة خاصة، ومع بدايات تكون التوجّه المسيحي الكاثوليكي الجديد من مسألة العلاقات مع غير المسيحيين وبخاصة مع المسلمين، والدعوة إلى الحوار كبديل عن

¹ — يوحنا: 6/11.

² — هانس كونج: مرجع سابق ص 204.

الصدّام، كان الموقف الإسلامي حاضراً، ففي بداية القرن العشرين انعقد مؤتمر الأديان في لندن في 03 جويلية 1936م، وبالرّغم من أنّ الظروف العامة للعالم الإسلامي، وبخاصة السياسية منها، كانت لا تسمح بأن يكون للمسلمين موقف متسامح مع من يبررون الاستعمار الغربي ويستغلونه في التمكين للتصير، فإنّه حدث العكس، حيث نجّس موقف المسلمين.

أ- المرافي الشيخ محمد مصطفى - رحمه الله - شيخ الأزهر آنذاك، حيث بعث برسالة⁽¹⁾ إلى القائمين على أعمال المؤتمر، مبيناً فيها موقف الإسلام الثابت من الأخوة الإنسانية، ومن الحوار كسبيل إلى تحقيقها، وقد أوضح فيها الشيخ المرافي - رحمه الله - أنّ الاختلاف طبيعة بشرية وأنّه لا يمنع من قيام الزمالة الإنسانية، وأنّ هذه الأخيرة رهينة بتحقيق الزمالة بين رجال الدين أنفسهم، وفي مقدمة الرسالة بحث الشيخ في أسباب التفرق بين البشر، وعزاها إلى :

- الغرائز الحيوانية التي ركبت فيهم

- حب الأثرة والغيرة والخوف والشك

- اختلاف العقائد والأديان كعامل يضاف إلى العوامل السابقة⁽²⁾.

ولكن وعلى الرّغم من وجود عوامل التفرق هذه، فإنّ فكرة الزمالة طبيعة، فقد تولدت عند الجماعات البدائية الساذجة، وكان غرضها تذليل عقبات الحياة في أشكالها البسيطة، وقد نمت الفكرة بنمو الجماعات، واليوم تطرح فكرة الزمالة الإنسانية نفسها بقوة فقد اشتد الشعور بوجوب إبعاد الحياة الإنسانية عن خطر الأحقاد، كما أنّ الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية، ممّا لا تستقل به أمة واحدة، بل تحتاج إلى مشاركة عامة، تجعل فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنساني كلّ⁽³⁾.

ولكن الإخاء الإنساني المنشود، كما يقول الشيخ، قد تتدافعه كل نوازع الفرقة المركبة في الإنسان، ممّا يجعل منه مطلباً بعيد المنال في هذه الحياة، ذلك أنّ الأسباب المانعة منه ستظل قائمة أبداً الدّهر:

¹ - محمد مصطفى المرافي: رسالة لمؤتمر الأديان العالمي في موضوع الزمالة الإنسانية، طبعت بمطبعة الرافيق القاهرة في جمادى الأولى سنة 1355هـ (جويلية 1936).

² - المرجع نفسه، ص 4

³ - المرجع نفسه، ص 3.

"بل في الحقّ أنّي لا أعتقد أنّه سيحيى اليوم الذي تتحقق فيه المثل العليا للبشرية لأنّه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبر جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة في الإنسان، فإنّه لا يمكن أن تنطفئ تلك النار"⁽¹⁾.

ولكن هذا الاعتراف بحقيقة قيام عوامل الفرقة وباستمرارها ملازمة للوجود الإنساني، لا يحمل الشيخ على التشاؤم، والتوقف عن البحث عمّا يمكنه أن يخفف من النزاع، ويلطف الغرائز المسيية له، ويكبح جماحها: "لكن هذه الحقيقة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن تلك الوسائل المنطقية لتلك الغرائز والكابحة لجماحها، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل"⁽²⁾. ومن الوسائل التي عوّلت عليها البشرية في غاياتها هذه، التقدم العلمي، ولكن الأخير ثبت فشله وعجزه عن تحقيق الغاية المرجوة منه، فقد كانت الحروب تزيد وحشية وهولاً، كلّما ازداد تقدّم العلم، حتى غدا العلم أمضى أسلحة الحروب.

وليس بعد هذا من وسيلة سوى الاعتماد على غريزة التدن، ذلك الأصل الراسخ في الإنسان، والذي يدفعه للثقة بأنّ العالم مجموعة متناسقة تسودها قوّة مدبرة حكيمة عادلة ترقب الضمائر والنّيّات، وأنّ هذه الحياة سائرة إلى غاية من المسؤولية والمجازاة. فالتدين فيه من التأليه والخضوع والمراقبة، وتوقع المحاكمة، وهي عوامل ليست أضعف أثراً في دفع الإنسان إلى الخير والبر، من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور والدافعة إلى الحرص والحرب وإفساد أمر الجماعة الإنسانية⁽³⁾.

ولكن هذا التدن قد يكون هو أيضاً عامل فرقة في حالة ما إذا أسبى فهمه وتوظيفه، يقول الشيخ: "إنّ مخيلة الإنسانية حافلة بذكريات من صراع قاس مخيف أدار رحاه الخلاف الديني، وكان فيه الشعور الديني الحاد الجاهل قوّة طائشة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب ومروع"⁽⁴⁾. وكان من أسباب هذا:

– تحكّم الحياة في التدن، حين كان ينبغي أن يحكم التدن في الحياة.

¹ — محمد مصطفى المراغي مرجع سابق، ص 4.

² : المرجع نفسه، ص 4.

³ — المرجع نفسه، ص 5.

⁴ — المرجع نفسه، ص 6.

- استغلال الشعور الديني استغلالاً مادياً من طرف أشخاص خالين من الضمائر في

سبيل مآربهم الشخصية.

غير أن الشعور الديني الذي انحرف عن غايته، وتسبب في مآسي كبيرة للبشرية، قد أمكن توجيهه وتوظيفه لخدمة المصلحة الانسانية العامة، وذلك بفضل التوجه الجديد في فهم الدين في إطار الرقي العقلي والنفسي للإنسانية، حيث أمكن كل هذا من إبعاد التدين عن ساحة الصراع يقول الشيخ في هذا :

"وإن الرقي العقلي والنفسي قد حسم فعلاً غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسسوها دينية ووجه الشعور الديني توجيهاً أصح نوعاً مما كان قديماً، ومن آثاره مؤتمرات الأديان هذه، لمحاولة تنمية الزمالة العالمية"

ويثني الشيخ الأستاذ على هذه التوجهات الأولى والأعمال التي تهدف إلى توحيد النوع الإنساني، مبعدة إياه عن أسباب الخلاف والصراع معتبراً أن عملها هو هدف سعت إليه كل الأديان، وآخرها الإسلام، يقول الأستاذ :

"وهي [المؤتمرات] بهذا السعي تحقق غرضاً أساسياً من الأغراض التي سعت إليها الأديان وعنى بها الإسلام، فقد نبه القرآن الكريم إلى وحدة الأيوين الموجهة للتعارف والتعاون والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتصارع، ولم يقم وزناً لشرف المولد وكرم الجنس ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو قوله تعالى في القرآن الكريم:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (1) وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشره غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب، إلّا في حالة العدوان، وفي القرآن الكريم "لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (2).

وإذا كان الأستاذ المراغي يدعو أتباع الأديان إلى الأخوة وتفادي أسباب الصراع، فإنه يؤكد في دعوته هذه على أن الأخوة والزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة بين

¹ - سورة الحجرات: الآية 13.

² - سورة الممتحنة الآيتان 8-9.

الأتباع الآخرين، ذلك لأنهم مؤهلون إلى قيادة الإنسانية في جانبها الروحي وأقدر على فهم أسباب التقارب:

"والدعوة إلى تنمية الشعور الديني المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعاني السامية، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذي يدهم الإنسانية لا يجيئ من أديان المخالفين، وإنما يجيئ من الإلحاد، ومن المذاهب التي تقلس المادة وتعبدها، وتستهيئ بتعاليم الأديان وتعدّها هزواً ولعباً"⁽¹⁾ ولا يكفي الأستاذ بالدعوة إلى إقامة الزمالة بين أتباع الديانات ورؤسائها، بل يذهب إلى بيان الوسائل التي تتحقّق بها هذه الغاية، والتي تجعل من التدنّ أداة فعالة في تهذيب الجماعة الإنسانية، وتمكّن العوامل المعنوية التي تشترك فيها الأديان من التأثير في الحياة الإنسانية الواقعية، ولكي تصبح الفضائل التي تدعو لها الأديان كلّها نظاماً عملية، ويعدّد من ذلك الوسائل:

أ- إيجاد ذهنية تعمل على تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد، وذلك بـ:

- توجيه الوعظ الديني في الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنساني بالأساليب التي يقرّرها أهل كل دين لوعاظه.

- جمع ما في كل دين من المعاني الإنسانية السامية العامة من الرفق بالبشر، والتبرّ بهم من حيث هم أفراد من النوع الإنساني، دون النظر إلى الفوارق، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل في مختلف اللغات.

- جعل الدعايات للأديان والتبشير لها قائماً على أساس عقلي محض، وحبّ للحقيقة، ورغبة صادقة في الوصول إليها، مع البعد عند الاحتيال لذلك، والاعتماد على وسائل غير بريئة في توجيه الاعتقاد والإغراء به، وقصر الجهد على إبراز ما في الدين المدعو إليه من محاسن.

ب- إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الديني وبخاصة في الطبقات المستنيرة، فتعني بتأييد مركز التدنّ أمام البحث العلمي، والتفكير الحرّ، تأييداً يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه، التماساً للمعرفة الصحيحة مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل، وعن الارتكاز على السلطة الروحية المستبدة، وبالجملة تتبعد عن الأخطاء الماضية التي دفعت الإنسانية ثمنها باهضاً مرهقاً، ونظراً لأنّ الإنسانية قد نالها عسف كثير، نرى أنّ

¹ - محمد مصطفى المراغي: مرجع سابق ص 8.

سببه السلطة الروحية وأصحابها، فمن الحق أن تظهر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدين أن يعملوا على إسعادها، وأن تجد في إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لا يطمحون إلى رغبات مادية، ولا إلى سيطرة على الحكم أو إلى الجاه أو النفوذ، وإذا ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة، والأجيال المقبلة، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنساني، ولكسب المبادئ الدينية والفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية بوحدة الأساليب العملية التي تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة، سلطة عملية تمكن من السعي إلى حماية النظم والقوانين ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة⁽¹⁾.

ج- عمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة بين الأديان، فيقاوم الزنا، وتُحمى الأسرة، وتُحدّ الحرية في التمتع، وأسباب الشّهوات... إلى غير ذلك، مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه⁽²⁾ ويختتم الأستاذ محمد مصطفى المراغي رسالته إلى المؤتمر بقوله:

"وقد أردت لفت نظركم إلى أن الغرض الشريف الذي تسعون إليه، لا ينافي قواعد الإسلام العامة"⁽³⁾.

ب- الدكتور محمد عبد الله دراز:

جاء رأي الدكتور محمد عبد الله دراز في مقال له عنوانه بـ: "حول المؤتمرات العالمية للأديان" نشر ضمن مجموعة مقالات أخرى في كتاب "دراسات إسلامية"⁽⁴⁾.

ويعود المقال في أصله إلى كلمة ألقاها الدكتور محمد عبد الله دراز خلال انعقاد مؤتمر للأديان بباريس في جامعة السوربون ممثلاً للأزهر الشريف، وفي بداية الكلمة يعرض الدكتور إلى حال العالم والإنسانية اليوم، حيث ذكر ما يعانيه البشر من تفشي روح العداوة والشحناء، والتي يرجع سببها الأول حسب رأيه إلى سيادة النزعة المادية التي ازداد نفوذها في تسيير مجرى الأمور العالمية، ثم تساءل عن العلاج لهذه المعضلة، فذكر أنه يمكن في إعادة الاعتبار إلى الروح التي أهملها العصر إهمالاً كبيراً، ومهمة إعادة الاعتبار للروح لا يمكن لقوة مهما كانت أن تضطلع بها، إلا قوة الدين.

¹ - محمد مصطفى المراغي: مرجع سابق ص 13.

² - المرجع نفسه ص 13.

³ - المرجع نفسه ص 14.

⁴ - محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - دار القلم الكويت 1984.

لكن الرجوع بالنظر في الأديان يكشف عن اختلافها، وعلى أنها طالما كان اختلافها، من أسباب الخصومات والحروب، بدل أن يكون مساعداً على التفاهم والتقريب بين القلوب، وبالرغم من هذا فلا يمكن التوقف عن البحث في الأديان وفي كونها حاملة لمبادئ صالحة لأن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتنقيها، ومسهلة للتعاون على الخير المشترك للجميع.

- ويذهب الدكتور إلى القول إنه يميل في رجوعه إلى الأديان كعامل لتقرير السلام والتعاون على أساس الفصل في الأديان نفسها بين ناحيتها، الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى، ففي رأيه أن افتراق الأديان في عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها، لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هي أساس التعاون المطلوب، وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والإحسان وتنهاي عن الظلم والعدوان⁽¹⁾.

ومن الإطار العام المشترك بين الأديان ينتقل الدكتور دراز إلى حديث خاص عن الإسلام الذي تتجسد فيه قيم التسامح والوحدة والائتلاف، فقد سعي الإسلام إلى توحيد البشر بأوسع ما في حدود الإمكان، وذلك من وجهتين حسب رأي الدكتور:

1- الوجهة الأولى: وهي نظرية، وسعي إلى تأسيسها على دعامتين:

أ- من طريق توحيد الغاية، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد.

ب- من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية، وذلك ببيان أن الشرائع ترجع كلها إلى أصل واحد، ودعوة معاصريه من أهل الأديان السابقة إلى تكوين أسرة روحية واحدة، كمؤمنين بجميع الكتب وجميع الأديان دون تفريق أحد منهم⁽²⁾.

"إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ."

"قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"

"إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون"

ويبين الدكتور دراز بعد ذلك، أن القرآن في أثناء دعوته لأهل الأديان السابقة، يُعني دائماً بربط الإسلام بالأديان التي سبقتة منذ عهد نوح⁽³⁾.

¹ - محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية، ص 131.

² - المرجع نفسه، ص 134.

³ - المرجع نفسه، ص 134.

"شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ".

ويصوّر نبي الإسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله:

"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْنَدَهُ" ويقول إنه لم يجرى مجديده يهدم القدم، وإنما جاء مجدداً لما اندرس منه، مبيّناً لما خفي، مصححاً لما حرّف⁽¹⁾.

"قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ" وبالجملة ليعيد الدين إلى نقاوته الأولى. ويضيف الدكتور دراز في بيان حرص الإسلام على تأكيد قوة علاقته بما سبقه

فيقول: "إن الإسلام نفسه في اصطلاح القرآن اسم مشترك يضعه القرآن على لسان أكثر الأنبياء المتقدمين⁽²⁾ يقول في شأن إبراهيم: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" وفي شأن يعقوب يقول: "إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ".

وفي شأن التوراة وأنبياء بني إسرائيل:

"يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا".

وهو حين يقول بصيغة الحصر: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" لا يمكن أن يعني إلا هذا المعنى المشترك بين الأديان المنسزلة وإلا لكان هادماً للأساس الذي أراد أن يقيم عليه بناء هذه الوحدة⁽³⁾. ويذكر الدكتور دراز نقطة بالغة الأهمية، وهي أن القرآن حين دعا إلى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يُطلب الوصول إليها من كل طريق وشراءها بكل ثمن، بل نظر إليها كمثال عال وأمل عزيز ينبغي الإقتراب منه بقدر الطاقة، واعترف في أكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ".

وهذه النظرة كما يقول الدكتور دراز: لها نتائجها الطبيعية في مسلك الإسلام إزاء مخالفيه، فهي التي جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح، كما أنها هي التي حددت مهمة الرسول بأنها ليست هي إكراه الناس على الإيمان وإنما هي التعليم والإنذار، ثم تفويض الأمر

¹ — محمد عبد الله دراز: دراسات إسلامية، ص 134.

² — المرجع نفسه، ص 135.

³ — المرجع نفسه، ص 135.

في عقائدهم إلى الله الذي سيتولى الحكم بينهم في يوم الفصل: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ".
 "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ".

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرْلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ".
 "مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ".

ومن المهم أن يلاحظ- كما يقول الدكتور دراز- أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب، وقد صرح القرآن بأن هذه هي حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها، وذلك في تلك الآية المدنية الجامعة: "وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" (1).

2- الوجهة الثانية: وهي عملية، وقد أقامها الإسلام على:

أ- حظر البدء بمناوشة مخالفيه أو مضايقتهم في الحياة المادية، ما داموا مسالمين له، وأقرَّ

بحسن حوارهم، ليس بطريقة سلبية فحسب، بل بالبر إليهم والعدل بينهم.

ب- في حالة العداوة واحتمال وقوع الحرب، وضع الإسلام وسائل كافية لاتقائها، ومنها قبول شروط يعرضها المخالفون، مادامت تؤدي لحقن الدماء وصيانة الحرمات، وحسن العلاقات بين الجانبين، وعهود المسلمين ليست حبراً على ورق، بل هي عقود دينية يوجب الإسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين (2).

ج- في حالة الحرب وضع الإسلام قواعد عملية تخفف من أهوائها، وتحدد بإنصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعي البحث.

د- بعد الحرب الدعوة إلى الصلح وعدم الاستمرار في تتبع الفارين والذين يطلبون الأمان (3).

وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مطبوعاً على التسامح وحب السلام، ويخلص الدكتور محمد دراز من عرض موقفه من الحوار إلى النتائج الآتية:

¹ - محمد عبد الله دراز: مرجع سابق، ص 136.

² - المرجع نفسه، ص 136.

³ - المرجع نفسه، ص 137.

1- إنَّ الأديان كلّها، بدلاً من أن تكون سبب نزاع وخصام في شؤون هذه الحياة، هي على الضّد من ذلك تنادي بالائتلاف والوئام.

2- إنَّ السّبب الحقيقي لهذه الخصومات هو بالعكس تعمد الإنحراف عن الدّين، وأنَّ كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدّين كاذبة في دعواها الانتساب إلى دينها.

3- إنَّ العلاج الوحيد للآلام الإنسانية الحاضرة هو أنَّ يعني رجال كل دين عناية خاصة الجانب الخلقي العام منه، فينمّوا في أتباعهم عاطفة الأخوة الإنسانية باسم الدّين نفسه. ويتّهي الدكتور دراز إلى القول بأنَّ التقارب والتعاون في الحياة العملية، إن تمَّ على وجهه سيكون خطوة أولية في سبيل التفاهم في الحقائق الدينية نفسها، ويرجى من وراء ذلك تقليل فوارقها التّظرية، وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحرّ في جوّ ودّي نزيه.

ج- الدكتور يوسف القرضاوي:

عرض الدكتور يوسف القرضاوي موقفه من الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى، ومع المسيحيين بوجه خاص، بوضوح في مقال خصّه للموضوع، نشر بمجلة المسلم المعاصر⁽¹⁾، ويمكن من خلال المقال أن نقول بأن موقفه تبرز فيه ناحيتان:

1- عملية: ويذكر فيها الدكتور أنّه حضر عدّة ملتقيات للحوار بين المسيحيين والمسلمين ومنها:

- مشاركته في مؤتمر موسكو في ماي 1995م حول الإسلام والتفاهم بين الشعوب، حيث شارك فيه مسيحيون ويهود وممثلو ديانات أخرى.

- حضوره حفلاً في نهاية 1995م نظّمه مجلس كنائس الشرق الأوسط، لتكريم عدد من الشخصيات المسلمة والمسيحية.

- مشاركته في مؤتمر حوار إسلامي مسيحي، بألمانيا، والذي شارك فيه إلى جانبه الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وبعض أساتذة الأزهر⁽²⁾.

2- نظرية: وهي التي يمكن جمعها من خلال بعض المواقف التي عرضها في المقال المذكور، والتي يمكن أن نتميّز فيها مايلي:

¹ - يوسف القرضاوي: الحوار الإسلامي المسيحي: مجلة المسلم المعاصر العدد 86 نوفمبر، ديسمبر 1997، يناير 1998

من ص 143 إلى 165.

² - المرجع نفسه، ص 144.

أ- موافقته المبدئية على إجراء الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى يقول الدكتور: "إني لا أرى مانعاً يمنعنا من الحوار مع أهل الديانات الأخرى، وأؤمن دائماً بالحوار على أساس أننا كمسلمين مأمرون بالحوار مع الآخر"⁽¹⁾. والحقيقة أن موقف الدكتور يوسف القرضاوي من الحوار ينطلق - كما يذكر - من التزامه بمنهج القرآن الكريم والاقتداء به:

" وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أنه كتاب حوار من الطراز الأول، لذلك لا عجب في أن نقف بالقرآن الكريم، في أن نتحاور حتى مع مخالفينا، فالقرآن رسم لنا منهج الدعوة وطرقها"⁽²⁾. وإذا كان القرآن الكريم قد جعل لأهل الكتاب، معاملة خاصة تميزهم عن غيرهم:

- كجواز مشاركتهم في الطعام.

- وجواز الزواج منهم ومصاهرتهم.

فإنه جعل للمسيحيين خصوصية تميزهم عن غيرهم، بوصفهم أقرب أهل الكتاب مودة للذين آمنوا، أما اليهود فإنهم غلاظ بطبيعتهم وبما عندهم من حسد ومكر⁽³⁾. ويستدل الدكتور يوسف القرضاوي بثلاث سور من القرآن الكريم، يذكر أنها تنبئ عن صلة القربى بين المسيحيين والمسلمين وهي:

- سورة آل عمران

- سورة المائدة (وهي معجزة من معجزات التي أنزلها الله على المسيح عليه السلام)

- سورة مريم، وهي سورة خاصة بالسيدة مريم العذراء البتول، يقول الدكتور "وهذا كله مما يقرب المسافة بين المسيحيين والمسلمين"⁽⁴⁾.

وهذه الأسباب - حسب رأي الدكتور - جعلت الحوار الأقرب والأكثر إيجابية وجدوى هو الحوار الإسلامي المسيحي، والذي أصبح أمراً لا بد منه في عصرنا هذا، فالمسيحيون يعيشون بين المسلمين والمسلمون يعيشون في بلاد غالباً مسيحية، خاصة في الغرب، كما أصبح من الضروري البحث عن الجوامع المشتركة والحوار للوصول إلى أهداف إيجابية⁽⁵⁾.

¹ - يوسف القرضاوي: مرجع سابق، ص 143.

² - المرجع نفسه، ص 144.

³ - المرجع نفسه، ص 145.

⁴ - المرجع نفسه، ص 147.

⁵ - المرجع نفسه ص 147.

وفي عرضه لموقفه من الحوار الإسلامي المسيحي يرد الدكتور يوسف القرضاوي على بعض الاعتراضات والمخاوف من مثل هذا الحوار، فالاعتراض الأول بينه أصحابه على دعوى أن الحوار بين الأديان يسعى أصحابه ودعائه إلى تذويب الفوارق بين الأديان من خلال الدعوة إلى الحوار، ويرد الدكتور على هذا الاعتراض مبيناً:

- إنه لا يمكن أن يسعى هو وأمثاله إلى ذلك إطلاقاً
- إن الفوارق بين الأديان لا يمكن أن تذوب، فالمسيحية كما يقول ستظل تقول بالتثليث وسيظل الإسلام يقول بالتوحيد الخالص، وهذا أمر لا يمكن التفريط فيه.
- إن كل ما يريده المسلمون من الحوار هو البحث عن قضايا وهموم مشتركة بينهم وبين المسيحيين⁽¹⁾.

ثم إن ما يعانيه عالم اليوم من مشكلات: كالمادية الإلحادية، والإباحية الجنسية، تتطلب من المؤمنين بالله - حسب رأي الدكتور - الوقوف صفاً واحداً في مواجهتها، ويذكر الدكتور أمثلة لهذه المواقف المشتركة:

- المؤتمر العالمي للسكان بالقاهرة.
- مؤتمر المرأة في بكين.
- والتي تؤكد، كما يقول، إمكانية التحالف الإسلامي-المسيحي، ضد الإباحية وعلى هذا المنوال، يمكن الوقوف جميعاً صفاً واحداً ضد الظلم والبغي من الأقوياء على الضعفاء ومن المتسلطين على المستضعفين، وبذلك يمكن إيجاد أرض مشتركة، يمكن أن تسع الجميع، فالمراد ليس تذويب الفوارق بين الديانتين، وإنما أن نقف جبهة واحدة في الأمور المشتركة⁽²⁾.
- أما الاعتراض الثاني، والذي يرفض أصحابه الحوار الإسلامي-المسيحي بحجة أن مثل هذا الحوار يعني الاعتراف بالكفر فإن الدكتور يرد عليه، بأن الحوار مع الكفر لا يعني الاعتراف له على أنه حق... ولكن الاعتراف على أنه موجود وواقع، فهناك كفر دون كفر... وباطل دون باطل، وكفر أهل الكتاب أخف من كفر غيرهم⁽³⁾.

¹ - يوسف القرضاوي: الحوار الإسلامي المسيحي، ص 148.

² - المرجع نفسه، ص 148.

³ - المرجع نفسه، ص 144.

ويختتم الدكتور حديثة عن موقفه من الحوار الاسلامي المسيحي ببيان المبادئ التي يؤمن بها المسلمون، وتدفعهم إلى التسامح مع المخالفين، رغم الاعتقاد بكفرهم وبطلان عقائدهم، ومن تلك المبادئ:

- 1- إيمان المسلم، أن اختلاف الناس في الدين أمر واقع. بحسب قوله تعالى: مصداقاً لقوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"⁽¹⁾.
- 2- إن المسلم ليس مسؤولاً عن معاقبة الكافر على كفره أو الضال على ضلاله، لذلك يقول تعالى: "وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَخْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"⁽²⁾.

يقول الدكتور: "ولعل ما يطفئ جذوة الغضب والكراهية بين المختلفين أن الحساب ليس في هذه الدنيا، وإنما هو في الآخرة، وأن الله هو الذي يحاسب الجميع يوم القيامة".

- 3- إن الذي يدفع المسلم إلى التسامح مع المخالفين، هو أن الإسلام يكرم الإنسان من حيث هو إنسان كما قال تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"⁽³⁾.

- 4- إن الإسلام يأمر بالعدل ويحرم الظلم والبغي والعدوان على أي مخلوق، ولو كان غير مسلم، والعدل مطلوب للناس، جميعاً لأنه عدل لعباد الله والظلم محرم على الناس جميعاً آياً كان المظلوم، ولذلك نجد في سورة النساء آيات نزلت دفاعاً عن يهودي اتهم ظلماً، وهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجادل عن الذين اتهموه فجاء قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا"⁽⁴⁾.

فالعدل مطلوب للمسلم وغير المسلم ولا توجد تفرقة في العدل، كما يوجد أمر آخر - حسب رأي الدكتور - وهو الأخوة بين البشر، وأساس هذه الأخوة البشرية أن جميع البشر عباد لرب واحد وهو الله سبحانه وتعالى، وأبناء لآب واحد هو آدم أبو البشرية، فلماذا نضيق

¹ - سورة: هود الآية 118.

² - سورة: الحج الآية 69.

³ - سورة: الإسراء الآية 70.

⁴ - سورة النساء: الآية 107.

الفصل الثالث = المنطلقات الفكرية واللاهوتية لصراع المسيحية مع الإسلام
حين إذا كان من أهداف الحوار تحقيق الأخوة البينية العامة ؟ وهذا هو الحوار الذي نؤمن به
وندعو إليه⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الاتجاه الرافض للحوار:

وهو الاتجاه الرافض للدخول في حوار مع المسيحيين على أساس قراءة الدوافع، التي تجعل
المسيحيين يوجهون الدعوة إلى الحوار، والأهداف التي يرمي هؤلاء إلى تحقيقها من خلال تلك
الدعوة، ولعل القائلين بهذا الرأي لا ينكرون الحوار كمبدأ، ذلك أن الأدلة الشرعية واضحة
في هذا الشأن، وهي التي استند إليها أصحاب الاتجاه الأول كما رأينا، وإنما يقرأون هذا
المبدأ في السياق الذي يمارس فيه، وهو في رأيهم وفي الظروف الراهنة لا يخدم الإسلام
والمسلمين، ومن الذين اتجهوا هذا الاتجاه في موقفهم من الحوار:

أ- الدكتورة زينب عبد العزيز :

عرضت الدكتورة زينب عبد العزيز، رأيها في الحوار الاسلامي المسيحي في عدة كتابات
لها، أهمها: محاصرة وإبادة، الإسلام والفاثيكان، من أوربان الثاني إلى يوحنا بولس الثاني،
والخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثاني لتنصير العالم.

تبدأ الدكتورة عرضها لموقفها ببيان معنى كلمة الحوار في المفهوم الكنسي، فتقول: لعل من
المفيد أن نلقي بنظرة خاطفة على المشوار لعبارة الحوار في المفهوم الكنسي، لنرى كيف أن
معناها لم يتغير وإن تغيرت الظروف أو الأسماء، فهو دائماً يعني على حد قول البابا "في رسالة
الفادي": فرض الارتداد للدخول في سر المسيح⁽²⁾.

وترى أن جهود المجتمعين في المجمع الفاثيكاني الثاني، الذي عني بقضية الحوار، قد تضافرت
لفرض مفهوم الحوار بمعناه السابق، وذلك بإيجاد مؤسسات تابعة للفاثيكان: "وقد تضافرت
جهود المجمع الفاثيكاني الثاني لتتمخض عنه العديد من اللجان والمنظمات، وأهمها لجنة الحوار
ولجنة تنصير الشعوب اللتان تعملان في تلازم مستمر"⁽³⁾.

وقد صدرت نصوص عن الهيئات الكنسية المسيحية تتعلق بالحوار مع أتباع الديانات
الأخرى أهمها نصان: أما الأول: فهو الخطاب الرسولي للبابا يوحنا بولس الثاني المعنون "رسالة

¹ — د/ يوسف القرضاوي: مرجع سابق، ص 152.

² — د/ زينب عبد العزيز: الإسلام والفاثيكان، دار القدس للنشر والإعلان القاهرة ط 2، 2001، ص 126.

³ — زينب عبد العزيز: الإسلام و الفاثيكان ، ص 124.

الفادي" الصادر في 1990/12/07 م وفي 19 ماي 1991م، ووثيقة "حوار وبشارة" المؤرخة في 19 ماي 1991م، والتي تم الإعلان عنها في 20 جوان 1991م، وهي من إعداد لجنة الحوار والمجلس الأعلى لتبشير الشعوب، وتعلق الدكتورة زينب على هذين النصين: "والعلاقة الموضوعية بين الوثيقتين تكمن في أن الخطاب الرسولي للبابا يؤكد ويفرض أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل خلاص جميع البشر، وهو معناه إخضاع جميع البشر لعملية التنصير التي طالب بها عام 1982م، أما الوثيقة الثانية فتعني اختصار كيفية تنفيذ عملية التنصير هذه"⁽¹⁾.

ثم تبين الدكتورة أن الحوار الذي تدعو إليه الكنيسة الكاثوليكية هو:

1- وجه آخر من معاملة الكنيسة الكاثوليكية مع المسلمين، ففي الوقت الذي تدعو فيه الكنيسة المسلمين إلى الحوار، والتعامل الإنساني تحت زعم التقارب، تتخذ كل التدابير لا لاقترابه من أوروبا فحسب، وإنما من العالم بأسره، فالحوار هنا أصبح وسيلة ممانعة وكسب الوقت، حتى يتمكن من كيل الطعنات⁽²⁾.

2- وسيلة للتبشير: ذلك أن كافة المسلمين، أينما كانوا، وسواء أكانوا أغلبية البلد الذي يعيشون فيه أم هم أقلية فيه، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير تتم "بصبر ودأب" على حدّ تعبير البابا في العديد من خطبه، وإن كانت تتم بالاعتماد على التسلل البطيء وعدم المواجهة الصريحة والاقتراب عن طريق الحوار.

3- وسيلة لكسر الحاجز بين الديانات: وهذا ماتم بالفعل في الصلاة الجماعية التي دعا إليها البابا من "أجل السلام العالمي"، وأقيمت في بلدة أسيزي في إيطاليا في 1986/10/17، وحضرها مندوبون عن كافة المذاهب المسيحية، ومن كافة الديانات العالمية الأخرى، كما تم كسر نفس الحاجز في الصلاة الجماعية العالمية التالية، التي دعا إليها وأقيمت عام 1993م، من أجل السلام في البوسنة⁽³⁾.

ومن منطلق الرفض دعت الدكتورة زينب عبد العزيز علماء المسلمين إلى مقاطعة هذه الصلوات، التي تستهدف المسلمين ومغالطتهم: "أناشد الأزهر الشريف وعلماءه وكل ما يحملونه من أمانة للدفاع عن الإسلام وحمانيته، كما أناشد المسلمين أينما كانوا، العمل على

¹ - زينب عبد العزيز: الإسلام و الفاتيكان، ص 124.

² - المرجع نفسه، ص 18.

³ - المرجع نفسه، ص 104.

مقاطعة هذا الاحتفال التنصيري، فالمشاركة ولو بالتواجد تعني القبول ضمناً، مثلما تعني التواطؤ صمناً على عمليات تحريف ومغالطات⁽¹⁾.

ب- الدكتور عبد الودود شلي:

جاء رأي الدكتور عبد الودود شلي، مدعماً لرأي الدكتورة زينب عبد العزيز، وذلك في كتابه: الحوار بين الأديان: أسرار وخفاياه⁽²⁾. والذي يبين فيه جملة من الحقائق بني عليها موقفه الرفض للحوار مع المسيحيين، وقد بدأ الدكتور بعرض العمل الذي قام به البابا بولس السادس قبل وأثناء المجمع الفاتيكاني الثاني، من أجل إيجاد موقف مسيحي جديد من أصحاب الأديان الأخرى يتناسب مع الظروف والمعطيات العالمية الجديدة آنذاك: "لقد وجه البابا بولس السادس في 1964/8/6م، رسالة إلى المجمع الفاتيكاني دعا فيها إلى موقف جديد من أصحاب الديانات الأخرى غير المسيحية يتخذ اسم "الحوار" ويهدف إلى إيجاد علاقات متنوعة بأصحاب هذه الديانات"⁽³⁾.

ولقد كشف الدكتور عبد الودود شلي أن رسالة البابا هذه إلى المجمع الفاتيكاني الثاني كانت بداية مرحلة جديدة في عمل الكنيسة التبشيري، تتناسب مع ما استجد في العالم آنذاك على المستوى السياسي، والمستوى الاقتصادي، واستحداث الوسائل المناسبة للمرحلة الجديدة يقول الدكتور: "فكانت هذه الرسالة إيذاناً بمرحلة جديدة للكنيسة في مجال التبشير، ثم أنشأ البابا بولس السادس بموافقة المجمع الفاتيكاني الثاني أمانة (تقابل سكرتارية أو وزارة) بالفاتيكان تختص شؤون غير المسيحيين، وحدّد المجمع مهامها في: البحث عن الأساليب والوسائل التي تؤدي إلى فتح باب الحوار مع غير المسيحيين، والعمل الجاد للتعرف على الديانات غير المسيحية"⁽⁴⁾.

ومن بين الوسائل والأساليب المستحدثة من قبل هذه الهيئة، كما يقول الدكتور، الحوار بجميع أشكاله، مع غير المسيحيين من أصحاب الديانات الأخرى، وخاصة المسلمين: "لقد

¹ — د/زينب عبد العزيز: الخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثاني تنصير العامل، ص 48.

² — د/ عبد الودود شلي: الحوار بين الأديان، أسرار وخفاياه، دار المعالم الثقافية، القاهرة. د. ت.

³ — المرجع نفسه، ص 114.

⁴ — عبد الودود شلي: الحوار بين الأديان، أسرار وخفاياه، ص 15.

استحدث التبشير أسلوباً جديداً في أيامنا هذه يتسلّل به إلى أماكن المقاومة لدى المسلمين وغيرهم، من أصحاب الديانات الأخرى غير المسيحية سماء "الحوار"، وحدّد مفاهيمه ومبادئه وأهدافه في اصطلاح خاص بالكنيسة⁽¹⁾.

وهكذا يصل الدكتور إلى النتيجة التالية أنّ الحوار لا بد وأن يكون وسيلة للتّصير، وتكون أشكال الحوار بما فيها:

- المؤتمرات.

- اتحاد الأديان.

- اللّجان المشتركة.

- الأعمال الاجتماعية المشتركة.

- الصّلوات والدّعوات للسلام والتّضامن...

أشكالاً للتّصير، يقول الدكتور شلي: "عندئذ يأخذ التبشير صيغة "الحوار" وأعني به عقد المؤتمرات واللقاءات واللّجان من أجل السلام والحرية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ورعاية حقوق الانسان وهكذا⁽²⁾.

كما أنّ الحوار يمكن أن يكون وسيلة لإحداث مزيد من التمزّق والفرقة بين أبناء المسلمين، ويكون القصد منه، عندئذ، نقل المعركة إلى داخل الأمة الإسلامية، ذلك أنّ ما يقتضيه الحوار من مجاملات وبعض التنازلات، لا بد أن يلقي معارضة الفئات المحافظة، ويكون هذا بداية الانقسام والصّراع بين المسلمين⁽³⁾.

ج- الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ:

جاء في كتاب الدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ: "التبشير والاستعمار"⁽⁴⁾. مبحث بعنوان الحوار وسيلة للتبشير، يبيّن فيه الكاتبان أنّ الكنيسة استحدثت وسيلة جديدة للتبشير تعتمد على المثقفين وذوي الكلمة المسموعة في قومهم، وذلك بحضورهم في

¹ - عبد الودود شلي: الحوار بين الأديان، أسرارته وخفائيه، ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 19.

³ - المرجع نفسه، ص 19.

⁴ - د/ مصطفى الخالدي ود/ عمر فروخ: التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، بيروت لبنان 1986

اجتماعات ومناقشات علنية لا تُمَتُّ بظاهرها إلى التبشير، وإن كانت غايتها الحقيقية، كما يذكر المؤلفان زعزعة العقائد، وذلك يجرّ الناس إلى القول والرد، ثم التفوذ من خلال الأخطاء والجمل المتشابهة إلى التأثير على ذوي النفوس الضعيفة⁽¹⁾.

ويتبين من خلال عرض مواقف بعض من رفض الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية، أنّ أصحاب هذا الاتجاه لا ينكرون النصوص الصّريحة التي وردت في مشروعية الحوار مع أتباع الأديان الأخرى، وبخاصة مع المسيحيين، ولكنهم يرون أنّ عدم التكافؤ في الاستعداد والامكانيات لا تسمح بقيام حوار ينفع المسلمين، ثمّ إنّ عدم اعتراف الطّرف المسيحي بنُدّة الإسلام للمسيحية، على الأقلّ كلّها موانع تمنع الانطلاق في الحوار مع المسيحيين.

ولكن بالرّغم من هذا الرفض، فإنّ المسلمين انطلقوا في عملية الحوار وشاركوا مع المسيحيين في المؤتمرات والملتقيات التي ناقشت موضوعات مختلفة تخصّ الجانبين.

¹ - د/ مصطفى الخالدي ود/ عمر فروح: التبشير والاستعمار، ص 257.

الفصل الرابع:

الحوار الإسلامي المسيحي المنظم خلال العقود الأخيرة.

المبحث الأول: الحوار الإسلامي المسيحي قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني.

المبحث الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني.

المبحث الثالث: أهم اللقاءات والمؤتمرات بعد المجمع الفاتيكاني الثاني .

المبحث الرابع: الحوار بين الفاتيكان والأزهر.

المبحث الخامس: الحوار بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية.

تمهيد:

شهدت الفترة بين بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وبداية النصف الأول من القرن الواحد والعشرين، عقد لقاءات إسلامية-مسيحية مكثفة، كانت في أولها بدعوة مسيحية بروتستانتية، ثم كانت بدعوة مسيحية كاثوليكية بعد ذلك، مثلها الفاتيكان في فترة ما بعد الجمع الفاتيكاني الثاني. وكان لكل دعوة منهما أسباب ومنطلقات عقيدية وسياسية مختلفة.

المبحث الأول: الحوار الإسلامي المسيحي قبل انعقاد الجمع الفاتيكاني الثاني:

المطلب الأول: الإطار العام الذي ظهرت فيه الدعوة إلى الحوار الإسلامي المسيحي:
في منتصف الخمسينات تصاعدت حركة التحرر العربي، واتخذت طابعاً جماهيرياً، وعمل الاتحاد السوفياتي على كسب ودّها، لاستخدامها في حربه الباردة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبالمقابل سعى الأمريكيون إلى توظيف الانقسام أو الخلل الناشئ داخل الصف العربي بين الإسلام الجماهيري المحافظ من جهة، والنخب العسكرية الثورية القومية من جهة أخرى، وفي هذا الإطار طرح الأمريكيون موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، كعنوان تعبوي لبناء جبهة عربية معادية للشيوعية وللأنظمة الناشئة في العالم العربي. فلم تنفصل دعوة الحوار عن مشاريع الأحلاف، وعن المؤامرات والانقلابات المتتالية (في مصر، العراق، سوريا). وفي هذا السياق شكّلت المؤتمرات الإسلامية-المسيحية نموذجاً للمحاولات الأمريكية لتكتيل قوى الأديان في وجه "المادية والإلحاد"، ولمساعي تطوير المعسكر الشيوعي، وشلّ تأثيره ونفوذه وإضعاف الحركة القومية العربية (الناصرية والبعث).

في أبريل 1954، وجّهت "جمعية أصدقاء الشرق الأوسط" في الولايات المتحدة الأمريكية دعوة إلى "علماء المسلمين" لحضور مؤتمر يعقد في بجمدون عنوانه: "التواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدينين" لتبيان عقم الفلسفة المادية الفانية. وقد أثارت الدعوة جدلاً كبيراً في الأوساط الإسلامية، إذ رفضها الشيخ الدكتور محمد البهي مشيراً إلى الماضي التبشيري لأحد منظمي المؤتمر، وهو القس كرلاند ايفانز هوبكنسز، وإلى الاهتمام السياسي الأمريكي بالموضوع... كما رفضها علماء الشيعة في لبنان والعراق انسجاماً مع الموقف

المصري. وقد انعقد المؤتمر بين 22 و29 أبريل 1954، وحضره 24 من رجال الكنيسة قدموا من 22 بلداً في الشرق والغرب، وسجلت مشاركة بعض المسلمين من رجال الفكر والعلم، ولكن من غير أن يكونوا ممثلين لدولهم أو لجماعاتهم، وفي نهاية اللقاء تألفت "لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي"، ثم عقد لقاء في الإسكندرية بين 9 و15 فيفري 1955، شارك فيه 28 مندوباً، وصدر في ختامه بيان أكد على القيم الروحية المشتركة بين الدينين، ودورها في إقامة العدل وبناء سعادة الإنسان.

وفي عام 1956، دعت اللجنة الدائمة إلى مؤتمر ثانٍ يعقد في القدس غير أن الحكومة الأردنية رفضت الترخيص لها بذلك، فانعقد المؤتمر الثاني في بحمدون مجدداً في الفترة بين 15 و18 جوان، وحضره 30 مندوباً وقاطعه المسلمون نظراً لـ:

- الأجواء السياسية العاصفة (والتي أسفرت في مابعد عن العدوان الثلاثي على مصر).
- الالتفاف العربي حول جمال عبد الناصر.
- تصاعد الثورة الجزائرية .

وقد ماتت اللجنة المذكورة (اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي)، بعد ذلك التاريخ ولم يعد يسمع لها صوت أو يعرف لها حضور⁽¹⁾. وبشكل عام لم تنجح الحوارات الأمريكية في إثارة حوار فعلي حرّ وصريح، لأن موقف الرّفص من الجانب الإسلامي لمؤتمرات الحوار كان مؤسّساً على اكتشاف توظيف عنوان الحوار في الصّراع الدولي على الشرق الأوسط.

- **المطلب الثاني: المؤتمرات واللقاءات الإسلامية المسيحية قبل المجمع الفاتيكاني الثاني، وأهم ما صدر عنها:**

سبق انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965)، تنظيم عدّة لقاءات إسلامية مسيحية، مهّدت الطريق للتحوّل الذي حدث فيما بعد في موقف الكنيسة من الإسلام والأديان الأخرى، يمكن ذكر أهمّها، وأهم ما صدر عنها من قرارات أو بيانات كالآتي:

¹ - معهد الدراسات الإسلامية المسيحية (جامعة القديس يوسف) البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من 1954-1992م، جمها: جوليت حداد أشرف عليهما الأب أوغسطين دويره لا نور دار الشرق بيروت ط1 1995. ص 24.

1- اللقاء الإسلامي - المسيحي الأول سنة 1941 بالقاهرة (مصر): والذي كان بمبادرات خاصة من شخصيات مسيحية وإسلامية، وكان من نتائج هذا اللقاء تأسيس جمعية الإخاء الديني، والتي استمرت في النشاط حتى سنة 1953 م، ثم عادت إلى النشاط مرة أخرى سنة 1975، ولم يصدر المجتمعون في هذا اللقاء بياناً يمكن الرجوع إليه لمعرفة موضوع اللقاء وسير أعماله، وكذا النقاط المتفق عليها⁽¹⁾.

2- المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي عقد في بحدون (لبنان): من 22 إلى 29 أبريل 1954، وكان موضوعه " القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية "، وقام بالدعوة إلى هذا اللقاء " جمعية الأصدقاء الأمريكيان للشرق الأوسط"، ولاسيما القس كرنالد إيفر هوبكنس، إذ اجتمع 74 من رجال الكنيسة والعلماء المسلمين قدموا من 22 بلداً في الشرق والغرب، وتألفت أثناء المؤتمر لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي، من أجل دراسة تنظيم مؤتمرات أخرى، وختم المؤتمر ببيان جاءت فيه المقررات النهائية التي اعتمدها المجتمعون:

- جاء في البند الأول بيان لبعض أسباب الخلاف المتنامي في ذلك الوقت، ومنها تخلف الناس عند الاقتناع بدور القيم الروحية، وتنامي تيارات الإلحاد والمادية وتسربها إلى الجماعات والشعوب، وما يقتضيه ذلك من تكوين جبهة مشتركة لمقاومتها⁽²⁾.

وفي البند الثاني من البيان، أوضح المؤتمرون أن ميدان التعاون بين الديانتين الإسلام والمسيحية، فسيح وأن القيم المشتركة (كالإيمان بالله الواحد)، يمكن أن تكون المنطلق إلى العمل على إيصال تعاليم الديانتين للأجيال المقبلة، ومن هنا يصبح البحث عن طريق التآزر ضرورة عاجلة.

- واعترف المؤتمرون في البند الثالث من البيان بأنهم لا يملكون حلولاً عاجلة للمشكلات القائمة. وأنهم لا يملكون وسائل سريعة لتقييم الأخطاء الواقعة، ولكن بالرغم من ذلك فإنهم سيعملون على أن يعيش المؤمنون من الديانتين إخواناً، وأن يعملوا معاً على الوصول إلى أهداف تسعى الإنسانية إلى تحقيقها، وأهمها احترام الإنسان والمحافظة على حقوق الآخرين، ومحاربة الاستغلال وانتهاك الحرمات⁽³⁾.

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 15.

² - المرجع نفسه، ص 15.

³ - المرجع نفسه، ص 16.

- وأعلن المجتمعون في البند الرابع من بيانهم بأنهم جعلوا من أنفسهم لجنة دائمة للتعاون الإسلامي المسيحي، وأنهم سيعملون في هذا الإطار بلاهوادة على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين من المسلمين والمسيحيين، في جو الثقة والاحترام المتبادل لحقوق الآخرين، وقد أصدر المؤتمر وصية جاء فيها استنكار العدوان الواقع في الأرض المقدسة (فلسطين) وما لحق اللاجئين العرب من طرد وحرمان وبؤس، كما عاهد هؤلاء المؤتمر إخوانهم المنكوبين بأنهم سيرفعون أصواتهم في بلدانهم بعد الرجوع من المؤتمر - للانتصار لهم، وحثّ حكوماتهم والأمم المتحدة على اتخاذ إجراءات سريعة لعودتهم إلى وطنهم⁽¹⁾.

3- لقاء الاسكندرية من 9 إلى 14 فيفري 1955م: وكان بمبادرة من "اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي" التي تأسست عقب المؤتمر الأول المنعقد في بجلون (لبنان) 1954، وكان موضوع اللقاء الإعداد للمؤتمر الثاني، وجلّد المجتمعون تأكيد الالتزام بتنمية روح الأخوة بين المسلمين والمسيحيين، وتبنوا بياناً ذكرت فيه القيم الواجب إحيائها في العالم المعاصر، جاء فيه مايلي:

- التذكير بالأزمة التي تحتازها البشرية، نتيجة للظلم والتعسف والاستغلال، وما تتعرض له الحياة الروحية من أخطار الاتجاهات المادية والإلحادية، كما جاءت الدعوة إلى إعادة النظر في الآراء والمواقف القديمة.

- اتفق المجتمعون على أنه وبالرغم من التراث المشترك بين المسلمين والمسيحيين، فيما يخص الإيمان بالله، فإنّ هناك جهلاً سائداً بين أتباع الديانتين فيما يخص عقائد الآخرين وتراثهم وثقافتهم، ودعوا إلى فهم الآراء المختلفة، بأسلوب يمتاز بالاحترام والتقدير، ويتعد عن التهجم والافتراء⁽²⁾.

- بين المجتمعون أنّ كلاً من الإسلام والمسيحية يحتويان على قيم روحية عظمت حاجة البشرية إليها في الآونة الحاضرة، وأنّ المشكلات المعاصرة ناشئة عن بعد الناس عن العمل بالقيم السامية المنصوص عليها في تعاليمهم الدينية، ومن هنا أصبح من اللازم إلزام الذات بتطبيق المبادئ والقيم الأخلاقية، تطبيقاً عملياً في الحياة اليومية.

¹ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 19.

² - المرجع نفسه، ص 19.

- ذكّر المشاركون بقيمة الشخصية الفردية، ومالها من حرية الإرادة ومن حقوق، وقيمة العدالة الاجتماعية في الاجتماع البشري، وأهميتها في نشر السلام، وما تمتلكه الديانات، من قيم في هذا المجال، الأمر الذي من شأنه أن يصبح سبيلاً للتضامن والتعاون بين البشر⁽¹⁾.

- كثر المشاركون على أهمية المؤسسة الأساسية للنظام الاجتماعي وهي الأسرة، وما تتضمنه تعاليم الإسلام والمسيحية حول تأكيد أهمية العلاقات الأسرية، المبنية على الإيمان بالله واحترام بني الإنسان. وأمام ما يهدّد الأسرة في كيانها وعلاقات أفرادها، دعا المجتمعون إلى الرجوع إلى الإيمان والقيم الروحية، محافظة على الحياة العائلية وقدسيتها الزواج⁽²⁾.

- أكّد المشاركون على قيمة العبادة الصحيحة، ودورها في تصحيح علاقة الفرد بالله، وما تتركه هذه العلاقة من أثر طيب عظيم الأثر في المجتمع، يمهد لحياة صالحة، كما أكّدوا على أنّ قيم الحبّ والكمال الروحي والإخلاص والتواضع، ستنجح إلى مدى بعيد في معالجة مشكلات العالم على درجة تغلغلها في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات.

- أبدى المجتمعون قلقهم إزاء انتشار المادية، وتهديدها للقيم الروحية التي يدعو إليها الإسلام والمسيحية، وكشفوا عن الأسباب التي أدّت إلى ذلك، وأهمّها أنّ أتباع الديانتين جعلوا من الأمور الدنيوية معياراً لوجودهم، ولم يتقيدوا بالأحكام الدينية.

- دعى المشاركون إلى العمل إلى ربط العالم برباط الأخوة، واستئصال أسباب الحقد وسوء التفاهم بين أفراد البشر، وإحلال السلام بينهم، وأنّ السبيل إلى ذلك هو التربية السليمة التي تكفل نقل القيم الروحية إلى الأجيال المقبلة، على منحنى يضمن توجيه الأجيال نحو الله، وحرص المشاركون على أن يتم عرض التعاليم الدينية وفقاً لروح العصر، وإخراجها من الكنيسة والجامع، لتتعداهما إلى البيت والمدرسة والسوق ومكان العمل⁽³⁾.

4- لقاء بمحمدون [لبنان] من 15 إلى 18 جوان 1956: وقد عقد اللقاء بمبادرة من اللجنة الدائمة للتعاون الإسلامي المسيحي، وكان من المفترض أن يعقد هذا اللقاء في القدس ولكن اللجنة الدائمة للتعاون لم تحصل على ترخيص لها بأن تجتمع في القدس، وذلك بسبب الحذر من النوايا الحقيقية لهذه المبادرة [العربية]، لأنّ اللقاء الأوّل الذي نشأت عنه اللجنة كان بدعوة

¹ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: ص 20.

² - المرجع نفسه، ص 20.

³ - المرجع نفسه، ص 21.

من جمعية "الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط". وقد تأثرت أعمال المؤتمر بهذه التحفظات ولم يكن لنص البيان الختامي أدنى علاقة بالغاية الأولى المنشودة، ألا وهي "التعاون المبني على إيمان مشترك بالإله الواحد"، فكان عبارة عن استنكار لبعض الأحداث التي سادت آنذاك⁽¹⁾ وقد جاء نص البيان كالآتي:

"إن لجنة مواصلة العمل للتعاون الإسلامي المسيحي المجتمعة في بجمدون من 15 إلى 18 جوان 1965م، لا يسعها إزاء الظروف القاسية والحوادث الدامية التي تجري في كثير من بلدان العالم الآن، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، التي نلتقي فيها، وبدافع من المبادئ السامية التي تلتقي فيها الديانتان، كما ورد في القرآن الكريم "وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"⁽²⁾ وفي الإنجيل "فكل ماتريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم"⁽³⁾ لا يسعها إلا أن تعلن استنكارها للظلم والعدوان وسفك الدماء واغتصاب الأوطان، وكبت الحريات والتمييز الجنسي والعنصري والديني، كما نعلن براءة الديانتين من جميع أنواع العدوان على الأفراد والشعوب، في أرواحهم وممتلكاتهم وسائر حقوقهم الإنسانية، ذلك العدوان المخالف مخالفة صريحة لمبادئ القرآن والإنجيل، ويعاهد المجتمعون الله أن يكونوا رسلاً لمعاني الحق والعدل والخير، والانتصار للمثل العليا التي دعا إليها الدينان ويهيون بكل مخلص لمبادئ دينه أن يعمل في محيطه على تحقيق هذه المبادئ"⁽⁴⁾.

وقد أرسل المجتمعون نص هذه المذكرة إلى كل الحكام والرؤساء الدينيين، ولا سيما البابا (بولس السادس)، ورئيس كنيسة فرنسا، ليستخلصا نفوذهما من أجل وقف الحرب في الجزائر.

إن ما يمكن استنتاجه من عرض اللقاءات الإسلامية المسيحية، التي تمت قبل انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني هو الآتي:

1- إن المبادرة إلى تنظيم هذه اللقاءات كانت غربية، سواء كانت من شخصيات غربية، (كرلاندايفتر هوبكنس)، أو هيئات (جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط).

2- جرت اللقاءات بمنطقة الشرق الأوسط، وبخاصة مصر ولبنان، وهي منطقة استراتيجية من ناحيتين:

¹ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة : ص 24.

² - سورة البقرة: الآية 190.

³ - إنجيل متى / 172.

⁴ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ص 25.

أ- الناحية الفكرية الثقافية: فقد ظلت مصر مركزاً للعلم والثقافة الإسلامية لقرون عدة، كما تعتبر لبنان نقطة التقاء المسيحية والإسلام في الإطار الوطني .

ب- الناحية الجغرافية: إذ تعتبر منطقة الشرق الأوسط بوابة لقارتين آسيا وإفريقيا، وقد لعبت المنطقة دوراً هاماً في ترجيح كفة الحلفاء على حساب النازية في الحرب العالمية الثانية، وقد كانت المبادرة إلى اللقاءات من طرف الأمريكيين، لأن المنطقة بالنسبة لهم تمثل موقعاً هاماً، يخدم الأهداف الاستراتيجية الأمريكية مستقبلاً، وهو ما ظهر بعد ذلك بعقود.

3- تناولت مواضيع اللقاءات التي تمت بين المسيحيين والمسلمين قبل المجمع الفاتيكاني الثاني:

أ- القيم الدينية وسبيل إحيائها وبعثها في المجتمعات الإسلامية والمسيحية.

ب- الإلحاد والمادية وسبيل مقاومتها، لما لهما من الأثر في نشر الفساد الأخلاقي والاجتماعي، وربما كانت هذه المواضيع ظواهر اجتماعية تعاني من آثارها البلدان الغربية في تلك الفترة، وما سبقها، وعلى هذا كانت الحاجة ملحة لإيجاد علاج لها.

ج- الأسرة: وسبيل محافظة عليها وعلى قوة العلاقة بين أفرادها، باعتبارها الأساس في

بناء المجتمعات.

د- بعض الأحداث الخاصة بالمنطقة-الشرق الأوسط- كالأحداث التي عرفت فيها فلسطين.

4- إن السعي الأمريكي لإقامة علاقات حوار مع المسلمين، كان الغرض منه تكوين جبهة

دينية مشتركة لمواجهة المد الشيوعي في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما يدخل ضمن الحرب الباردة بين المعسكرين آنذاك.

المبحث الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني:

المطلب الأول: الفاتيكان والحوار:

اندفع الفاتيكان (وهو المؤسسة الكاثوليكية الأكبر)، إلى تنشيط عملية الحوار كرد فعل كاثوليكي على النشاط البورتستانتي في المنطقة، وكرّد أوربي على المشروع الأمريكي الذي انطلق مع مشروع مارشال للاستيلاء على المنطقة، بالإضافة إلى ذلك تصاعد حركات التحرر في العالم الثالث، وفي العالم الإسلامي بالخصوص، والذي كان ينذر بنهاية السيطرة المسيحية الكاثوليكية في المنطقة، وقد زاد السعي الكاثوليكي حدة مع قدوم جون كندي إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية (1961-1963) والذي تزامنت فترة رئاسته مع انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني 1962، حيث كان الرئيس الأمريكي الوحيد من الطائفة الكاثوليكية.

وقد سجّل عام 1964م منعطفاً حاسماً في موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام، فالقرار حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية، الذي أعلنه المجمع الفاتيكاني الثاني، فتح الباب لمبادرات أوفر وأكثر وضوحاً، وقد قام البابا بولس السادس بالخطوة الجريئة الأولى، حين خرج من الفاتيكان ومن إيطاليا في أول رحلة يقوم بها حبر أعظم في اتجاه الأراضي المقدسة (القدس من 4 إلى 6 ديسمبر 1964)، والتي قابل فيها مفتي القدس، والملك الأردني حسين بن طلال، وفي 9 ماي 1964 أسّس البابا "أمانة سرّ العلاقات مع غير المسيحيين"، كمؤسسة دائمة في الفاتيكان للحوار مع المؤمنين من بقية الأديان، وهي التي تحوّلت عام 1988 إلى "المجلس البابوي للحوار بين الأديان"¹ ونعّدت البابا في رسالة له سنة 1964 كذلك عن المكانة الخاصة والدور المتميّز للمسلمين في الحلقات المركزية الخاصة بالحوار المسكوني (العالمي) في الكنيسة الكاثوليكية، وتعرض للأسس اللاهوتية للالتزام المسيحي في اللقاء والاستماع إلى بقاء المؤمنين من الديانات الأخرى، والوصول إلى تفهّم مشترك، وأشار أيضاً إلى المسلمين الذين يستحقون التقدير، باعتبار ما هو صحيح وحقّ في عبادتهم لله. ثمّ كانت زيارات البابا إلى

¹ - د/ سعيد المولى: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة ص 139.

بيروت (1964)، وإلى استنبول (1967)، حيث التقى بمفتي استنبول، وحضر أوّل لقاء علني مع مجموعة كبيرة من المسلمين، في زيارته لأوغندا سنة 1969⁽¹⁾.

وقد ساهم تأسيس أمانة سرّ العلاقات مع غير المسيحيين (ثمّ المجلس البابوي للحوار بين الأديان) على إطلاق حركة اتصالات على مستوى عالٍ، برزت خلالها عدّة شخصيات من المبعوثين الخاصّين الذين أرسلهم البابا في مهمات خاصّة. وقد تميّز عمل الأمانة ثمّ المجلس بتمتين العلاقات مع الدوّل العربية والإسلامية، ومع المؤسسات الإسلامية⁽²⁾.

ويمكن رصد السياسة الفاتيكانية في تنشيط الحوار عبر ثلاث خطوط:

1- إقامة العلاقات الدبلوماسية مع البلدان العربية الإسلامية: وتطوّر هذه العلاقات وتبادل الزيارات مع للمؤسسات الدّينية الرسمية أو السلطات الدّينية العليا. وفي هذا الإطار فإنّ الفاتيكان واجهته صعوبة نظراً لعدم وجود مرجعية دّينية رسمية عليا واحدة لدى المسلمين، تماثل الأمانة أو المجلس في الفاتيكان. ومع ذلك تُسجّل مبادرة البابا بولس السادس إلى إرسال وفد رسمي إلى القاهرة في أفريل 1968 برئاسة الكاردينال فرستيرغ، ولقائه مع شيخ الأزهر⁽³⁾.

وقد شهدت فترة السبعينات من القرن الماضي تبادلاً للزيارات بين الفاتيكان وكلّ من المجلس الأعلى للشؤون الدّينية في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في السعودية، والحزبة الدّينية في النجف بالعراق.

- ففي ديسمبر من سنة 1970 قام وفد من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر، بزيارة رسمية إلى الفاتيكان وشارك في ندوة (الإيمان والعدالة الاجتماعية والتربية الدّينية)⁽⁴⁾. وتلا ذلك عمل مشترك مع جامعة الأزهر و مسجد باريس، نتج عنه تأسيس اتحاد المؤمنين لمجاهة الإلحاد (باريس جوان 1972).

- وفي 14 جويلية 1972 زار النائب البابوي جوب روي الشيخ الخالصي في العراق، وفي أفريل 1974 زار الكاردينال بينادولي، ووفد رسمي كبير من الفاتيكان، الملك فيصل في

¹ - المرجع السابق 139.

² - المرجع نفسه 141.

³ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: ص 189.

⁴ - المرجع نفسه، ص 189.

السعودية واجتمع مع علماء المملكة، كما زار الوفد نفسه القاهرة في سبتمبر من نفس العام، والتقى بأعضاء المجلس الأعلى للشؤون الدينية.

- وفي الفترة من 23 أكتوبر إلى 8 نوفمبر 1974، انعقد في الفاتيكان مؤتمر حول "حقوق الإنسان في الإسلام والمسيحية"، شارك فيه وفد كبير من علماء السعودية، وفي أبريل 1978 زار الكاردينال روسانو القاهرة، وتلاه الكاردينال بنادولي الذي التقى شيخ الأزهر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود⁽¹⁾. وقد تزامنت هذه الزيارات مع الصراع بين الأزهر والرئيس السادات، حول زيارة القدس ومعاهدة كامب ديفيد.

2- الأنشطة المشتركة مع المؤسسات الدينية الرسمية: حرس الفاتيكان على إقامة علاقات ثنائية مع المؤسسات الدينية الإسلامية الرسمية مثل رابطة العالم الإسلامي في السعودية، مؤسسة آل البيت في الأردن، والجمعية العالمية للدعوة الإسلامية في ليبيا.. وشارك بالتنسيق معها في عقد المؤتمرات والندوات، ومنها:

أ- ماكان بالاشتراك مع رابطة العالم الإسلامي والتي كان أولها مؤتمر قرطبة الأول من 10 إلى 15 سبتمبر 1974، دعت إليه الجمعية الإسبانية للصدّاقة الإسلامية المسيحية، وشارك فيه الفاتيكان ومجلس كنائس إسبانيا ورابطة العالم الإسلامي، وكان عنوانه إضافة إلى "تعارف أفضل"، أزمة الإيمان في العالم الحديث، وشاركت فيه وفود رسمية من 23 بلداً⁽²⁾. والمؤتمر الثاني انعقد من 21 إلى 27 مارس 1977، بعنوان "محمد والمسيح في الإسلام والمسيحية"، وشارك فيه مائتا شخص من عشرين بلداً.

ب- ماكان بالاشتراك مع الجمعية العالمية للدعوة الإسلامية بليبيا، ونذكر منها المؤتمرات التالية: مؤتمر طرابلس الغرب 1976، مؤتمر روما (التبشير والدعوة) فيفري 1990، مؤتمر مالطا (التعايش والتسامح) 1990، مؤتمر ليبيا (الإعلام والدين) أكتوبر 1993⁽³⁾.

ج- ماكان بالتعاون والاشتراك مع مؤسسة آل البيت في الأردن، نذكر منها المؤتمرات التالية: مؤتمر روما 1989 حول التعليم الديني في المجتمع الحديث، مؤتمر عمان 1990 حول

¹ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 191.

² - د/ سعيد المولى: مرجع سابق، ص 143.

³ - المرجع نفسه، ص 144.

حقوق الطفل في الإسلام والمسيحية، مؤتمر روما 1992 حول المرأة والمجتمع، مؤتمر عمان 1994 حول الدين والقومية، ومؤتمر روما 1995 حول البيئة⁽¹⁾.

3- الأنشطة المشتركة مع الجامعات ومراكز الأبحاث: وجه الفاتيكان اهتمامه إلى تنشيط عملية الحوار الإسلامي المسيحي، من خلال إقامة أنشطة مشتركة مع الأكاديميين المسلمين، من مختلف الجامعات ومراكز البحث، وكان نتيجة التعاون مع تلك الجامعات والمراكز ظهور هيئات إسلامية مسيحية أكاديمية تهدف إلى تنشيط ودفع عملية الحوار، ومن هذه الهيئات:

أ- جماعة الأبحاث الإسلامية-المسيحية: (GRIC) وهي التي ولدت من لقاءات دينية (صوفية) في دير ستينكا (فرنسا) بدءاً من سنة 1974، ثم اتخذت طابع الحلقة الدراسية الفكرية، تنعقد سنوياً خلال عطلة الصيف، ويشارك فيها خبراء ومختصون في الشؤون الدينية، يناقشون فيها موضوعاً محدداً وتستمر مناقشته حتى الوصول إلى صياغات نهائية له، يتم نشرها بعد ذلك، وقد صدر عنها:

- تلك الكتب التي تستنطقنا: القرآن والإنجيل (1987).

- العلمنة الدين والدولة 1989 .

- الإيمان والعدالة 1993⁽²⁾.

وهذه الجماعة لم تنقطع اجتماعاتها السنوية حتى اليوم.

ب- جامعة أنقرة: في عام 1988 جرى اتفاق تعاون بين جامعة أنقرة وجامعة الفاتيكان،

تلاه عقد عدة مؤتمرات إسلامية مسيحية مشتركة حملت العناوين التالية:

- إيصال القيم الدينية إلى شباب اليوم 1989.

- الدين، الثقافة، التسامح 1990.

- العلاقات الإسلامية المسيحية 1991.

- العدالة الاجتماعية 1992⁽³⁾.

¹ - سعيد المولى: مرجع سابق، ص 144.

- المرجع نفسه، ص 145.

³ - المرجع نفسه، ص 145.

ج- مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية في الجامعة التونسية: (CERES)، وقد نظم بالتنسيق مع الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي عدّة ملتقيات بدءاً من سنة 1974، كانت على التوالي:

- الضمير الإسلامي والضمير المسيحي تجاه مسائل التنمية 1974.

- معاني الوعي والتنزيل ومستوياتهما 1979.

- حقوق الإنسان 1982.

- الروحانية من متطلبات عصرنا 1986.

- مساهمة الأديان في السلام 1991⁽¹⁾.

- المطلب الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى الأوروبي:

كان من الطبيعي أن تنشط عملية الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى الأوروبي للأسباب التي ذكرناها آنفاً وأبرزها أن عملية الحوار الكاثوليكي كانت ردّ فعل على النشاط البروتستانتي في منطقة الشرق الأوسط، كما برزت بعض المشكلات الخاصة بالتكيف والاندماج للمهاجرين المسلمين في أوروبا في مرحلة ما بعد الاستعمار، وخاصة منذ السبعينات من القرن الماضي وما تلاها، وقد جدّدت هذه الإشكالية في الغرب إعادة طرح القضايا المتعلقة بالدولة والمجتمع، العلمانية والدين، التعددية والوحدة... وغيرها. وهو الأمر الذي أدّى إلى انطلاق الحوار على المستوى الأوروبي عموماً تحت عناوين حوارية متعدّدة مثل: الحوار العربي الأوروبي، الحوار بين ضفتي المتوسط، الحوار الإسلامي المسيحي⁽²⁾... وشهدت بلدان مثل: إيطاليا وإسبانيا (بحكم أن الأولى هي مختصة الفاتيكان، وأنّ الثانية بلد التعايش الإسلامي المسيحي لقرون)، ميلاد عدّة هيئات وجمعيات تنشط في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، كما شهدت انعقاد العديد من المؤتمرات والتدوات واللقاءات العالمية والإقليمية، وبالإضافة إلى إيطاليا وإسبانيا شهدت بلدان أوروبية أخرى نفس العملية، وكأمثلة على هذه البلدان:

¹ - سعيد عبد المولى: مرجع سابق، ص 146.

² - عزالدين إبراهيم: أربعون سنة من الحوار الإسلامي المسيحي ما الجدوى وما المستقبل ص...

1- فرنسا: في فرنسا أسّس مؤتمر أساقفة فرنسا الكاثوليك منذ عام 1973 الأمانة العامة للعلاقات مع الإسلام (SRI)، كما أسّست الفديرالية الإنجيلية في فرنسا لجنة باسم الكنيسة والإسلام (EI). ويمكن اليوم أن نعدّ أكثر من مائة مجموعة محلية فرنسية تهتم بالحوار الإسلامي المسيحي، أهمّها:

- جمعية الإسلام والغرب AIO
- جمعية الحوار الإسلامي المسيحي ADIC
- مجموعة الصداقة الإسلامية المسيحية GAIC
- جمعية الأخوة الإبراهيمية AFI
- مجموعة الدّراسات والأبحاث حول الإسلام (ستراسبورغ) GERI
- مجموعة الدّراسات الإسلامية المسيحية GRIC
- بريطانيا: تقدّم بريطانيا نموذجاً خاصاً نظراً للوجود الكثيف لأتباع الديانات غير المسيحية، ولهذا أسّس مجلس الكنائس البريطاني في عام 1977 لجنة للحوار والعلاقات مع بقية الأديان، وقد نشرت هذه اللّجنة في عام 1981 خطوطاً عريضة أو توجيهات للحوار والعلاقات مع أتباع الديانات الكبرى، وفي عام 1984 أسّست الكنيسة الكاثوليكية في بريطانيا لجنة حوار خاصة بها⁽¹⁾. كما أسّست هيئات وجمعيات محلية كثيرة خصوصاً في المدن الكبرى، وذلك نظراً لتصاعد أزمة الهوية أو الانتماء والاندماج في المجتمع البريطاني (كما في الغرب عموماً)، وقد انضمت في السّنوات الأخيرة أكثر من ستين (60) جمعية وهيئة تهتم كلّها بالحوار الإسلامي المسيحي إلى اللّجنة المشتركة للحوار بين الأديان، أبرزها:
- مجلس مساجد المملكة المتّحدة وإيرلندا.
- المركز الثقافي الإسلامي في لندن.
- مجلس المساجد والأئمة.
- الرّابطة العالمية لأهل البيت.
- معهد تسيللي أوك للحوار الإسلامي المسيحي.

¹ - د/ سعيد المولى: مرجع سابق ص 149.

- المؤسسة الإسلامية في ليسستر⁽¹⁾

وفي هذا الإطار الأوربي الذي تزايدت فيه مشكلات الهجرة العربية الإسلامية، وتساعد فيه الإحساس بالهوية لدى المهاجرين مع تصاعد التوترات الاجتماعية والسياسية، وتساعد المواجهة بين العرب وإسرائيل، دعت أمانة السرّ الفاتيكانية إلى لقاء أوربي عقد بالنمسا عام 1976 وذلك لبحث وضع المسلمين المهاجرين في أوروبا⁽²⁾. وفي فيفري 1978 عقد في سالزبورغ المؤتمر الاستشاري الأول لمجلس الكنائس الأوربي CEC وبحث موضوع المسلمين في أوروبا وموقف الكنيسة، وقد حضر المؤتمر ممثلو 120 كنيسة. وفي عام 1979 أسّس المجلس المذكور هيئة إستشارية حول الإسلام في أوروبا، وفي عام 1986 تشكلت هيئة مشتركة بين الفدرالية الأوربية للمؤتمرات الأسقفية الكاثوليكية CCE ومجلس الكنائس الأوربي CEC، وذلك على أساس 10 أعضاء من الفدرالية و14 عضواً من المجلس، مع وجود عضوين مراقبين من المجلس البابوي للحوار بين الأديان ومن وحدة الحوار في مجلس الكنائس العالمي، هذه الهيئة المشتركة حملت اسم لجنة الإسلام في أوروبا وهي التي أصدرت عام 1991 تقريراً بعنوان: "الحضور الإسلامي في أوروبا والإعداد اللاهوتي للأساقفة والكهنة"⁽³⁾.

وإلى جانب الاهتمام الرسمي بالحوار الإسلامي المسيحي، برز في أوروبا اهتمام محلي وشعبي ناجم عن ضغوطات وتعقيدات ظروف العمال المسلمين المهاجرين في تلك البلدان، وقد توزّع الاهتمام الأهلي ما بين مؤسسات خاصة ومراكز دينية.

1- المؤسسات والهيئات الأهلية: وأبرزها:

- مؤسسة جيوفاني سيبي البندقية - إيطاليا- أبرز أعمالها مؤتمر حول الإسلام والحضارة الغربية سبتمبر 1955.

¹ / سعيد المولى: مرجع سابق، ص 150.

² - المرجع نفسه، ص 151.

³ - المرجع نفسه، ص 151.

- مؤسسة آديناور بون- ألمانيا- أبرز أعمالها مؤتمر بون حول الدين والثقافة والحقوق السياسية مارس 1981، مؤتمر ياوندي- الكامرون- حول التنمية والتعاون بين الشعوب فيفري 1983، مؤتمر مراكش حول التربية والقيم الدينية ماي 1985⁽¹⁾.
- مؤسسة جوفاني آتيلي تورينو- إيطاليا- أبرز أعمالها مؤتمر المسلمون الأوروبيون ماي 1989
- مركز الجبل العالي HAUT MONT في موفو- فرنسا- وهو ينظم مؤتمراً دورياً خلال شهر مارس من كل عام، وذلك بدءاً من عام 1982.
- مركز العيون الثقافي شانتيلي فرنسا، وهو ينظم مؤتمراً دورياً كل سنتين بدءاً من عام 1980
- نادي باليرمو الثقافي المتوسطي صقلية- إيطاليا- نظم عدة مؤتمرات أهمها: الله- الإنسان- الطبيعة، أكتوبر 1984، الإنسان ومصيره أكتوبر 1985، العلم والتقدم والدين نوفمبر 1986، العمل والتأمل في المنظور الإسلامي والمسيحي نوفمبر 1987⁽²⁾.
- معهد حوار الحضارات وقد أسسه المفكر روجيه غارودي عام 1987، ويعقد مؤتمراً حول الإيمان الإبراهيمي.
- الجمعية الفرنسية للحوار الإسلامي المسيحي ADIC، وقد نظمت عدة مؤتمرات منها: باريس 1985، 1989، 1987. واستراسبورغ 1990 وروان 1992.
- الحركة الإيطالية (شراكة وتحرير) ومن أبرز أعمالها تنظيم مؤتمر التقاليد الدينية والعصر الحديث 1987.
- مركز خدمة العلاقات الإسلامية المسيحية SRCN في استراسبورغ، نظم مؤتمراً مطلع عام 1990 حول الحوار الديني في المجتمع الفرنسي⁽³⁾.
- مركز الكلمة الثقافي بروكسيل- بلجيكا- وهو يصدر نشرة فصلية منذ 1989.
- المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام WCRP، وقد نظم عدة مؤتمرات منها مؤتمر لوفان بلجيكا 1974، مؤتمر نيروبي كينيا 1984، مؤتمر باريس فرنسا 1985، مؤتمر بإيطاليا 1987 مؤتمر مليون أستراليا 1989، مؤتمر نيويورك و.م.أ 1991، مؤتمر طوكيو 1992.

¹ - / سعيد المولى: مرجع سابق، ص 152.

² - المرجع نفسه، ص 152.

³ - المرجع نفسه، ص 152.

- مركز دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية، كليات سيللي أوك جامعة برمنغهام بريطانيا⁽¹⁾. وقد نشأ المركز بتمويل من عائلة كادييري، حيث آوت العائلة راهباً حمل معه وثائق عربية سريانية... وبدأ المركز عمله كمركز للدراسة الوثائق والمخطوطات العربية والسريانية، وتحول مع الوقت إلى مؤسسة للتدريس تابعة للجامعة برمنغهام، وفي ماي 1975 انعقد أول مؤتمر تشاوري حضره 120 مندوباً من 18 عشر بلداً للبحث في إنشاء معهد للدراسات الإسلامية المسيحية، تحول مع الوقت إلى أبرز مركز لدراسة العلاقات الإسلامية المسيحية، وهو ينسق مع الكنائس البريطانية والأوربية ومع المنظمات الإسلامية أيضاً، ويصدر نشرة إخبارية، ومجلة نصف سنوية (منذ 1990) ويعقد مؤتمرات ودورات صيفية.

2- المؤسسات الدينية الأوربية: وأهم هذه المؤسسات:

- أمانة السرّ الفرنسية للعلاقات مع المسلمين SRI، وهي تنظم مؤتمرات دورية منذ عام 1976 بالتعاون مع مركز العيون في شانتيلي ومركز التبع LA SOURCE في الرباط.

- الجمعية الإسبانية للصدّاقة الإسلامية المسيحية، وقد انبثقت عن الكنيسة الإسبانية وبلدية قرطبة، وتقوم بتنظيم مؤتمرات دورية.

- معهد الآداب والفنون العربية IBLA تونس، وهو تابع للإرساليات الفرنسية في شمال إفريقيا (الأباء البيض الأفارقة)، وله نشاط كبير بالتعاون مع الجامعة التونسية ومثقفين من المغرب والجزائر، وهو يعمل وسط المغاربة في أوروبا⁽²⁾.

- المعهد البابوي للدراسات العربية الإسلامية PISAI روما، وهو أبرز مؤسسات الحوار قاطبة يصدر نشرة شهرية اسمها ENCAUNTE منذ 1974، ومجلة فصلية اسمها دراسات عربية منذ سنة 1961، ومجلة سنوية اسمها إسلاميات مسيحيات ISLAMOCRISTIANA منذ 1975⁽³⁾.

- مركز الدراسات والتوثيق الإسلامي المسيحي في فرانكفورت - ألمانيا - وهو يقوم بإصدار نشرة دورية منذ عام 1978.

¹ - / سعيد المولى: مرجع سابق، ص 152.

² - المرجع نفسه، ص 153.

³ - المرجع نفسه، ص 153.

- معهد دراسة الأديان بجامعة أمستردام الحرة - هولندا - وهو يصدر منذ سنة 1976 نشرة بيبلوغرافية توثيقية عن حوار الأديان وقضاياها.
- مجلس الكنائس البريطاني قسم الحوار بين الأديان لندن - بريطانيا - ويصدر مجلة فصلية منذ عام 1986.
- جماعة سانت ايجديو، وهي أبرز المجموعات الدينية الأوروبية، مركزها روما، وقد تأسست عام 1985 باسم جمعية الإيمان والبشر، والتقى أعضاؤها في أحد أحياء روما الشعبية في كنيسة سانت ايجديو التي أصبحت مركزاً لها، عملت في مجال الحوار الإسلامي المسيحي منذ (يوم الصلاة من أجل السلام) الذي دعا إليه البابا بولس السادس وانعقد في مدينة أسيزي أكتوبر 1986، وقد أخذت في عقد المؤتمرات للحوار الديني أهمها: روما 1987، أسيزي 1988، وارسو - بولونيا - 1989، لوفان - بلجيكا - 1990، مالطا 1991، بروكسيل - بلجيكا - 1992 ميلانو 1993، أسيزي 1996، 1995، 1994⁽¹⁾.
- معهد تولوز الكاثوليكي - فرنسا - وهو يقوم بتنظيم مؤتمرات دورية منذ عام 1984.
- كلية اللاهوت في جامعة القديس جبرائيل مودلنغ - النمسا - وتنظم مؤتمرات أبرزها مؤتمر عام 1975، ومؤتمر عام 1977 حول الله في الإسلام والمسيحية.
- الجمعية الدينية الدولية بروما، وقد نظمت عدة مؤتمرات أبرزها مؤتمر حول حرية الدين والعقيدة سبتمبر 1984⁽²⁾.
- وبالتنظر إلى مجموع المؤتمرات واللقاءات الإسلامية المسيحية العالمية والإقليمية التي عقدت بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، فإن نسبة المؤتمرات واللقاءات التي عقدت بأوروبا تفوق 70 %.

¹ - / سعيد المولى: مرجع سابق، ص 154.

² - المرجع نفسه، ص 154.

المبحث الثالث: أهم اللقاءات والمؤتمرات الإسلامية المسيحية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني:
عرفت العلاقات الإسلامية-المسيحية كثافة من حيث عدد اللقاءات الحوارية، ففي الفترة الممتدة بين 1965 إلى 1996 عقد أكثر من ثلاثمائة وخمسين مؤتمراً ولقاءً، ما بين لقاءات ثنائية (إسلامية - مسيحية) ومتعددة الأطراف، ختم بعضها بيانات، وانتهى بعضها الآخر دون إصدار بيان ختامي، وسنورد فيما يلي أهم اللقاءات الثنائية بين المسلمين والمسيحيين، التي ختمت بيانات عبر فيها المشاركون عن توجهاتهم ورؤاهم فيما يخص القضايا التي عالجوها في لقاءاتهم تلك.

المطلب الأول: المؤتمرات التي عقدت بين 1965-1975 :

1- لقد كان من البديهي أن نجد في لبنان ذي التركيبة الإسلامية- المسيحية، المساعي الأولى نحو اعتراف متبادل فالندوة اللبنانية، وهي مركز ثقافي مستقل أسسه ميشال أسمر، نظّمت سلسلة من المحاضرات تكلم فيها مسيحيون ومسلمون عن المسيحية والإسلام في لبنان، وكان من شأن الاهتمام الذي أثارته تلك المبادرة أن حثت المحاضرين على مواصلة العمل في طريق الحوار، فعقدوا في مقر الندوة عدّة اجتماعات، حرروا في ختامها (8 جويلية 1965) بياناً جاء فيه:
-الإشادة بجو الحوار الحرّ الذي هو أفضل أسلوب لتعزيز الألفة الوطنية، والانفتاح على الآخر والتعاون معه، من أجل صيانة كرامة الإنسان، وحفظ حقه في الحياة الفضلى⁽¹⁾.
- تجديد الوعي بتعاليم الديانتين، وقدرتها على تزويد الإنسان بالطاقة الروحية.
- التعاهد على العمل وفق تعاليم الديانتين، وعلى أن يسعى كل طرف لفهم ما انطوت عليه الديانة الأخرى من تعاليم تقرب الإنسان من أخيه الإنسان.
- السعي لإنشاء معهد جامعي عالٍ للدراسات الدينية المقارنة، يعرف بحقائق الإسلام والمسيحية.

2- لقاء كرتيني (قرب جنيف) سويسرا، من 2 إلى 6 مارس 1969م، شارك فيه خمسة وعشرون شخصية (25) من أتباع الديانتين، وقد كان حديث كل منهم باسمه الشخصي، وقد دارت المباحثات حول نتيجة الحوار الإسلامي المسيحي، وختم المشاركون لقاءهم بإصدار بيان

¹ - جولييت حلاّد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ص 33.

حول أهم القضايا التي أثّرت، بالإضافة إلى بعض التطلعات للتعاون المستقبلي⁽¹⁾. وقد تلخص ذلك فيما يلي:

-أ- ضرورة الحوار :

وقد رأى المشاركون في اللقاء أنّ الحوار بين المسيحيين والمسلمين ضروري، وأنّه ينبغي التوسع فيه على أصعدة مختلفة، وأنّ ضرورته تأتي من:

- القرابة الخاصة والتاريخية بين الديانتين.

- من النقد الذاتي الذي تمتاز به الديانتان.

- من الوضع التاجم عن اختلاط السّكان، فهو يضطرهم إلى تلاق متنام، يزيد في

مسؤوليات الديانتين لجهة الحياة المشتركة المثمرة.

- من الوضع التاريخي آنذاك، ولاسيّما في مسؤولية الديانتين المشتركة فيما يخص قضية

الشرق الأوسط.

-ب- ماهو المشترك بين الديانتين ؟

حيث بيّن المشاركون حقيقة الاختلاف الموجودة في إدراك الطرفين للأمور المتماثلة، وأكدوا

على أنّ المهّم في الحوار هو رؤية الأمور المتماثلة مع التباين في رؤيتها، فليس الهدف من الحوار

التوصل إلى اتفاق مصطنع، بل مهمة الحوار هي إتاحة الفرصة للديانتين في اللقاء فيما يقرب

بينهما⁽²⁾.

-ج- الإسلام والمسيحية في مواجهة العالم المعاصر :

أوضح المشاركون في اللقاء أنّ أتباع الديانتين يلتقون في عالم آخذ في تحوّل عميق، أهم ما

يميّزه، إعادة النظر في التّصورات الدّينية التقليدية، وأنّه على أتباع الإسلام والمسيحية أن يعبروا

عن الإيمان في هذا العالم المعاصر، وذلك بأن يعيشوا هذا الإيمان، ويجب أن تبرز القضايا

المشتركة في حوارهم مع العالم المعاصر⁽³⁾.

¹ - جوليت حنّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 36.

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - المرجع نفسه، ص 38.

د- التفاعل بين الديانتين :

- بين المجتمعون أن ما يفرضه الحوار على أتباع الديانتين، هو أن يتجدد التعامل بينهم دون أن يمس ذلك الأمانة الكاملة تجاه العقيدتين، فالحوار لا يثمر إلا في إطار تلك الأمانة، مع سعي المتحاورين إلى تدعيم تلك الأمانة بموقف تفاهم متبادل، وهذا يعني:
- أن يسعى كل جانب ليفهم الآخر كما يفهم ذاته.
 - أن تؤدى الشهادة للحقيقة في جو احترام الآخر وحرية.
 - أن يتجنب الحوار كل تشويه لديانة الآخر وتجاربه.
 - أن يتم النقاش بطريقة يساهم فيها كل جانب بالتعلم من الآخر على، الصعيدين الفكري والروحي.

د- المهام:

- وحدث فيها المجتمعون على مواصلة الحوار حول الموضوعات والأسئلة التي يمكن ذكر بعضها:
- كيف تعرف اليوم الكتب المدرسية والتصوص الدينية الإسلام والمسيحية ؟ وكيف تنظم الدروس اللاهوتية ؟

- ما المشاكل الناتجة عن تمازج الجماعات المتزايد ؟ وماهي الحلول ؟
 - كيف يمكننا تصوّر التبشير والدعوة ومخاربة اجتذاب الآخرين ؟
 - هل يمكن القيام بصلاة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين ؟
 - ماهي مسؤولية الإسلام والمسيحية تجاه مشاكل العصر، الإنسانية و الاجتماعية، لا سيما مفهوم الدولة ودورها، وتحرّر المرأة والعلاقات بين البلدان الغنية والفقيرة ؟⁽¹⁾
- 3- ندوة برمانا [لبنان] : من 12 إلى 18 جويلية 1972، وقد كانت بعنوان " الانفتاح والتعاون لإزالة التعصب وسوء التفاهم " وقد دعا إلى هذه الندوة مؤسسة مجلس الكنائس العالمي وكانت المرة الأولى التي يقام فيها لقاء إسلامي مسيحي بهذه الأهمية.

فقد بلغ عدد المشاركين 46 شخصية دينية وجامعية، من مسلمين ومسيحيين بالمساواة

¹ - جولييت حداد : البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ص 39.

قادمين من 20 بلداً في العالم، بالإضافة إلى شخصيات لبنانية رسمية من مسلمين ومسيحيين⁽¹⁾.
وختمت التدوة ببيان جاء فيه:

أ- بيان دوافع اللقاء: وهي كما ذكرها المشاركون:

- الماضي المشترك والأوضاع التي كانت آنذاك بالإضافة إلى العيش المشترك في تجمعات سكنية وداخل العائلات ذاتها، الأمانة المشتركة لعلاقاتنا الواعية لله في عالم يبدو أنه يرفض ذلك.

ب- الكشف عن الآمال في الحوار:

- وهي السعي إلى إلغاء الاختلافات في جو من المصارحة والنقد.
- إمكان التوصل إلى التخلّص من كل تشويه متبادل، وذلك بتوضيح ما هو أساسي وما هو عرضي في الاختلافات الموجودة.

ج- بيان المبادئ الموجهة للحوار وأهمها:

- الشهادة المخلصة، وتقتضي عدم إلغاء اقتناعاتنا أو إخفائها، ومن شأنها أن تبعد كل ريبة أو خوف.

- الاحترام المتبادل، وهو يعني عدم الاكتفاء بمبدأ التعايش، بل الذهاب إلى النظرة المتفهمة للآخر في كل خصوصياته.

- الحرية الدينية، وتعني احترام كل فرد في خصوصيته الدينية وتحتب كل جذب أو اقتناص بالضغط بواسطة الامتيازات، والأسوأ هو استغلال ضعف الأमीين والمرضى والشباب⁽²⁾.

4- لقاء لاغون[غانا]: من 17 إلى 21 جويلية 1974م، وكان بمبادرة من مجلس الكنائس العالمي، وجامعة غانا قسم الأبحاث الدينية، أما موضوع اللقاء فكان:
الإيمان بالله الواحد والجماعة الإنسانية من أجل التعاون بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا، على صعيد العمل والشهادة، أما هدف اللقاء فكان البحث عن الوسائل الكفيلة بالوصول إلى

¹ - جويلت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 46.

² - المرجع نفسه، ص 48 و 49.

تفاهم أفضل وتعاون أجدى بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا⁽¹⁾. وقد وافق المشاركون في اللقاء على مذكرة جاء فيها بيان لـ :

أ- إمكانية الاتصال بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا أو في العالم، ذلك لأنهم يعيشون ضمن مجتمعات تقليدية، وكذلك اعتراف كل من الديانتين بأمور متلاقية في الآهوت والروحانية، واشتراكهم في تقديرهم للقيم الدينية والأخلاقية، وأكثر من ذلك فهم يواجهون اختباراً واحداً تجاه التحدي الذي جأهت به "المادية و" الحداثة " القيم الدينية والأخلاقية، وهذه كلها أسباب وأسس للتعارف والاحترام المتبادل وكذلك التعاون العملي⁽²⁾.

ب- ولأجل هذا فالواجب في التعليم الديني، ألا يقتصر على ديانة واحدة، بل يشمل الديانتين، سعياً إلى الاحترام المتبادل والانفتاح على الآخر المخالف عقائدياً ودينياً، الأمر الذي يمكن أن يثير الرغبة في البحث عن الحقيقة، وتبادل الأفكار والمشاعر التي تؤدي إلى التعرف العميق على الآخر.

5- المؤتمر الإسلامي المسيحي الأول بقرطبة (إسبانيا): من 10 إلى 15 سبتمبر 1974م، بمبادرة من أعضاء جمعية الصداقة الإسلامية - المسيحية في إسبانيا، وقد شارك في هذا المؤتمر عدد من الوفود والشخصيات الإسلامية والمسيحية، قدمت من ثلاث وعشرون دولة، وكانت الموضوعات التي طرحت للبحث والمناقشة كالاتي:

1- تقديم مسيحي للديانة الإسلامية، في صورة تمكن المسلم من رؤية نفسه فيها.

2- تقديم إسلامي للديانة المسيحية، في صورة تمكن المسيحي من رؤية نفسه فيها

3- ميادين العمل المشترك التي يمكن أن يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون⁽³⁾.

وفي ختام اللقاء تليت التوصيات التي وافق عليه المؤتمر والتي كانت كالاتي:

- إقامة تعاون إسلامي مسيحي لتأكيد الإيمان بالله، وتعميق القيم الدينية والإنسانية، وقصر

دراسة الخلافات العقائدية على مجالات التخصصين، مع الاحترام المتبادل بين الديانتين.

- الدعوة إلى تأليف مشترك في حقل العقيدة، يتعاون فيه متخصصون من المسلمين

والمسيحيين، لنشر الحقائق الداعية إلى الإيمان.

¹ - حوليت حداد : البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 56.

² - المرجع نفسه، ص 68.

³ - المرجع نفسه، ص 69 .

- تيسير تبادل سبل البحث العلمي والتعاون، بصفة خاصة في مجال الوثائق والمخطوطات الإسلامية والمسيحية.
 - تنقية المناهج والكتب الدراسية، في العالمين المسيحي والإسلامي، من الأخطاء التي تسيئ إلى أي من الدينين.
 - تشجيع تبادل الزيارات، والإكثار من اللقاءات، وتوسيع دائرتها بين المسلمين والمسيحيين، لمواصلة الحوار في الموضوعات المشتركة⁽¹⁾.
 - عقد المؤتمر المقبل بقرطبة بعد عامين، لمواصلة دراسة الموضوعات التي تهم المجموعتين، ومتابعة إنجازات اللقاء الأول.
 - الدعوة إلى عقد مؤتمرات مماثلة في البلاد الإسلامية والمسيحية الأخرى، للتعاون على تحقيق الأهداف التي دعا إليها المؤتمر⁽²⁾.
 - التعاون بين المسلمين والمسيحيين، على منع ما تلاقيه الأقليات الدينية في أي جزء من العالم، من اعتداء واضطهاد، والعمل على وضع حد حاسم.
 - تأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني، مع اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد لهذا الشعب، وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد، والتقسيم، والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الشعوب والمقدسات الإسلامية والمسيحية، وخاصة المسجد الأقصى، والمطالبة بإطلاق سراح جميع المعتقلين، لا سيما رجال الدين الإسلامي والمسيحي، وتأييد التضال العادل للشعب الفلسطيني، والمطالبة بتحرير الأراضي العربية المحتلة.
 - اعتبار جميع الآثار الإسلامية والمسيحية في العالم، تراثاً إنسانياً ينبغي الحفاظ عليه، والإشادة بالمنجزات التي قامت بها إسبانيا في هذا المجال، والمأمول أن تواصل العمل لتحقيق مزيد من النتائج.
 - إنشاء لجنة مشتركة دائمة لمتابعة تنفيذ توجيهات المؤتمر⁽³⁾.
- 6- لقاء برمنغهام (أنجلترا): وكان في شهر ماي سنة 1975م، تم بمبادرة من كليات "سلي أوك" في برمنغهام، ضم 120 مسلماً ومسيحياً، وقد قامت كليات "سلي أوك"، ومنذ الثلاثينات من القرن

¹ - جوليت حلاذ : البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 70 .

² - المرجع نفسه، ص 70.

³ - المرجع نفسه، ص 71 .

الماضي حتى تاريخ اللقاء أعلاه، بدراسات عن الإسلام والعلاقات المسيحية- الإسلامية، وأخذ متخصصون بالمحاضرات في العلوم الإسلامية على عاتقهم مساعدة المسيحيين في تعميق فهمهم للإسلام، بتحليل الإيمان والممارسة الإسلامية، وقد تعددت إسهامات بعض المسلمين، كطلاب، أو ضيوف محاضرين أو مشاركين في لقاءات وقد نظمت في إطار كليات "سلي أوك" عدة لقاءات استشارية بين المسلمين ومسيحيين في موضوعات تهم الجانبين⁽¹⁾.

واستناداً إلى تلك الخبرة في حقل العلاقات الإسلامية- المسيحية، وللحاجة التي تزايدت إلحاحاً إلى معرفة أعمق من المسيحيين للإسلام، ومن المسلمين للمسيحية، اقترحت كليات "سلي أوك" إنشاء مركز دراسات مسيحية إسلامية، ونظمت اللقاء المذكور أعلاه للإستشارة حول المشروع وقد اتفق المشاركون على بيان تلخصه فيما يلي:

- التأكيد على الحاجة إلى معرفة كل طرف بالآخر، بطريقة أعمق وأكثر تعاطفاً، وأكّدوا أنّ هذه الحاجة أصبحت ملحة بسبب ما طرأ من ازدياد عدد الجماعات الإسلامية في أوروبا الغربية، فهذه الحالة، حسب ما رآه المجتمعون، تقتضي إنشاء مركز في أوروبا الغربية، يلتقي فيه المسيحيون والمسلمون لأجل دراسة كل ما يهمهم على جميع الأصعدة.

- الاتفاق على أن يقوم المركز بدراسة كل ديانة، بشرط أخذها كلياً، في طرقها التي تتبعها في فهمها وممارستها من قبل المنتمين إليها.

- أن يقوم المركز بعد الدراسة، المعمّقة، بتهيئة دروس من أجل معلمي التربية الدينية، والأشخاص العاملين على الخدمات الاجتماعية والهيئات التطوعية. ومن هنا ألح المجتمعون على ضرورة توفر المركز على عدد كبير من الوثائق الصحيحة عن العلاقات الإسلامية- المسيحية في أوروبا⁽²⁾.

وما يجب الوقوف عنده، في هذا الصدد، هو أنّ هذه الفترة، العشر سنوات الأولى بعد الجمع الفاتيكاني الثاني، شهدت نشاطاً مكثفاً حيث فاق عدد المؤتمرات الكبرى بين المسلمين والمسيحيين الستين مؤتمراً دارت في معظمها حول موضوع أهمية الحوار، والإيمان والقيم المشتركة، التعاون، المعرفة الجيدة بالآخر وقيمه، الاحترام المتبادل، والانفتاح، والنتائج الإيجابية

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 3، 1977، ص 229.

² - المرجع نفسه، ص 230.

التي يخلفها الحوار بين المسيحيين والمسلمين. وهذا يلتقي مع الهدف من عملية الحوار الذي قادها الفاتيكان، وهو ترغيب المسلمين وتشجيعهم على الحوار والانفتاح، في ظروف سادها بالخوف والتوجس عند المسلمين، من كل ما يأتي من الغرب، مُستعمر الأمس القريب.

المطلب الثاني: المؤتمرات التي عقدت بين 1976 - 1985.

1- لقاء طرابلس - ليبيا: من 1 إلى 6 فيفري 1976م، وقد كانت المرة الأولى التي تقوم فيها دولتان بالتنظيم الرسمي للقاء كهذا، وهما دولة الفاتيكان والجماهيرية الليبية، وجرى التنظيم بالاشتراك، من جهة بواسطة لجنة العلاقات مع الإسلام التابعة لأمانة السرّ الفاتيكانيّة لشأن غير المسيحيين، ومن جهة ثانية بواسطة الحزب الاشتراكي العربي الليبي. وترأس الكاردينال (pigne doli) بيندولي، مسؤول أمانة السرّ الفاتيكانيّة للعلاقات مع غير المسيحيين الوفد المسيحي الذي عينته روما رسمياً. وترأس الوفد الإسلامي الوزير الليبي للتربية الوطنية السيد محمد أحمد شريف، وقد فاق عدد المشاركين الأربعمائة (400) قدموا من ستين (60) بلداً. وكان الهدف من هذا اللقاء محاولة إيجاد جوّ جديد (من الثقة المتبادلة) بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، وذلك بالعمل على إزالة الرواسب والعقد المتخلفة عن فترات التباعد والخصام والاستعمار، وتقصي الأسباب الحقيقية لها، وبذل الجهد لاستئصالها⁽¹⁾.

وقد قدّم منظّمو اللقاء الموضوعات التالية للنقاش:

- 1- هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية الحياة ؟
 - 2- الأسس المشتركة في المعتقدات، ومواطن اللقاء في جميع ميادين الحياة.
 - 3- العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.
 - 4- كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة، وضعف الثقة اللتين مازالتا تفرّقان بين الجماعتين الدينيتين؟⁽²⁾
- وقد ساهم في عرض كل موضوع باحثان، أحدهما مسلم والثاني مسيحي، كلٌّ من وجهة النظر التي يمثلها.

¹ - مجلة المسلم المعاصر. العدد الخامس، الفصل الأول من سنة 1976 (صفحة المؤتمرات) ص 142.

² - المرجع نفسه ص 144.

- وقد أفضت المناقشات والحوارات إلى عدّة مقرّرات وتوصيات نلخصها فيما يلي:
- أكّد الجانبان إيمانهما بالله الواحد، وأوصيا بالعمل الدائم صفّاً واحداً، وجهة واحدة، من أجل تعميق القيم الدّينية والأخلاقية في النفوس.
 - تكريم الجانبين لجميع الأنبياء والرسل في الدّيانات السماوية كلّها، واستنكارهما التّعريض بالإساءة لهم، أو التجرؤ على مقامهم، لأنّ في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم⁽¹⁾.
 - أكّد الجانبان أنّ الدّين هو في جوهره مصدر الالتزام الأخلاقي، وأتته الضابط الأساسي لسلوك الأفراد والجماعات والدّول.
 - أكّد الجانبان أنّ الدّين هو أساس التشريع الصّحيح، وأنّ تنظيم الحياة لا يمكن أن يتم في معزل عن الدّين، الذي يرسم للبشرية سبل الهداية والرشاد.
 - وبّين الجانبان أنّ من مقتضيات الإيمان الوقوف مع الحقّ حيث ما كان، والانتصار للإنسان وكرامته وورعائه، وهما يهييان بكلّ القوى الخيرة في العالم إلى تحسيد هذا المبدأ في سلوك الأفراد والجماعات والشعوب والدّول، حتى تقف في وجه الظلم مهما كان شكله وتتنصر لكرامة الإنسان وورعائه وحرّيته⁽²⁾.
 - أكّد الجانبان على أنّ وجود ملايين الجوع والعراة، في أرجاء المعمورة، هو وصمة عار على جبين الإنسانية كلّها، وفيه إساءة إلى كلّ القيم الدّينية، وعليه فإنّ الجانبين ناشدا الدّول والهيئات والمؤسسات الدولية أن تضع في اعتبارها العمل على تحقيق الرّخاء الإنساني.
 - أكّد الجانبان على ضرورة حرية الاعتقاد، واستنكرا الاضطهاد الدّيني في كلّ صوره وأشكاله، واعتبرا أنّ الأنظمة والنظريات التي تضطهد المؤمنين أنظمة لا إنسانية⁽³⁾.
 - أكّد الجانبان تطلّعهما إلى تحقيق السّلام، على أساس من الحقّ والعدل، لأنّ ذلك من رسالة الدّين، وناشدا الدّول التي تمتلك الأسلحة الفتاكة أن تكفّ عن انتاجها، وأن توظف طاقتها في خدمة الأغراض السلمية لتحقيق خير الإنسانية ورفاهيتها.

¹ - مجلة المسلم المعاصر. العدد الخامس، الفصل الأول من سنة 1976 (صفحة المؤتمرات) ص 145.

² - المرجع نفسه، ص 146.

³ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 2، 1976 ص 168 .

- أوصى الجانبان بضرورة الاهتمام بمناهج التربية ووسائلها، في المعاهد والمدارس، إذ يكون من أهدافها الأساسية غرس القيم الدينية والفضائل الخلقية في النفوس، والحرص على خلّوها من كلّ ما يسيئ إلى العقيدة والتّفاهم بين الشعوب.
- شجّع الجانبان على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللّغات، كما أدانا كل محاولة تهدف إلى مصادرة تلك الكتب، أو منع تداولها في أي جزء من أجزاء العالم⁽¹⁾.
- تمنى الجانب المسيحي، من الجانب الإسلامي، مواصلة الأبحاث التاريخية والتفسيرية الرّضية المتعلّقة "بتقييم" الكتاب المقدس "تقييماً" علمياً صحيحاً.
- تمنى الجانب الإسلامي، من الجانب المسيحي، أن يبذل كل المساعي والجهود المؤدّية إلى فصل الكنيسة عن مسجد قرطبة، والعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ممكنة⁽²⁾.
- أوصى الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع كل ماورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب المدرسية، وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف، وذلك بغية تصحيحها وفق معتقدات أصحابها.
- بما أنّ التراث الحضاري والثقافي هما ملك الإنسانية كلّها ومن حقّها أن تتلقّى هذين التراثين تلقياً صحيحاً، ونظراً لظروف التوجّس السابقة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، فقدّ توجّه الجانبان إلى الجامعات والمعاهد الدّينية والآهوتية لاستضافة أساتذة زائرين من كلا الجانبين.
- أوصى الجانبان بالكفّ عن المحاولات الرّامية إلى صرف المسلمين عن معتقداتهم من قبل المسيحيين، أو صرف المسيحيين عن معتقداتهم من قبل المسلمين⁽³⁾.
- الكفّ عن تصوير الصّراع الواقع في لبنان على أنّه صراع طائفي، بين المسلمين والمسيحيين، لأنّ في ذلك إساءة إلى كلا الجانبين ونسف لمحاولات التقارب الجادة والهادفة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي.
- توجّه الجانبان إلى المنظّمة الدّولية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو UNESCO من أجل إصدار ميثاق عالمي تعتمده هيئة الأمم المتحدة ONU، ويضمن لكل الشعوب الحقّ في الحصول على التطوّر العلمي والتقنية وطرائقها، وألا يحجب هذا الحق عن العالم الثالث بشكل خاص،

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 2، 1976 ص 169.

² - المرجع نفسه ص 170.

³ - مجلة المسلم المعاصر عدد 1976، 5 ص 147.

وأن تستحضر جميع المؤتمرات التي تدرس قضايا المواد الأولية، ضرورة العمل على تقديم التقنية وطرائقها إلى الدول النامية، التي تقدم تلك المواد، إن تحقيق ذلك يجنب العالم انقساماً ممكن الحدوث، بين العالم الثالث والعالم المتطور⁽¹⁾.

- وكان من بين المقترحات والتوصيات التي اختلف فيها الجانبان تلك التي تعلقت بإدانة العدوان الصهيوني، وإقرار الحقوق الفلسطينية، حيث أصّر الجانب الإسلامي على إدراجها ضمن التوصيات الختامية للمؤتمر، في حين رفضت السلطات الفاتيكانية التوصيتين اللتين نوردهما كما وردتا في النص المقترح دون تصرف:

- إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام، وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية، باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين، وعن منطقة الشرق⁽²⁾.

- إن التزام الحق والعدل، والحرص على السلام والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وحقه في العودة إلى دياره، وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل، واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة. وطالب الجانبان بإطلاق سراح جميع المعتقلين في فلسطين المحتلة وفي طليعتهم علماء المسلمين ورجال الدين المسيحي. كما طالبا بتحرير جميع الأراضي المحتلة، ودعيا إلى تشكيل لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي.

- قرّر الجانبان في الأخير تشكيل لجنة متابعة دولية مشتركة، تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات السابقة، ومتابعة كل ما يجدر من قضايا تتعلق بها، كما كلفت بالإعداد للتدوات المماثلة في المستقبل⁽³⁾.

¹ - مجلة السلم المعاصر عدد 5، 1976، ص 148.

² - المرجع نفسه، ص 148.

³ - المرجع نفسه، ص 149.

2- لقاء كارتيني (سويسرا) من 19 أكتوبر 1976، عمل على تنظيمه مجمع الكنائس العالمي، وشارك فيه اثنا عشر مسلماً واثنا عشر مسيحياً، وكان موضوعه التخطيط للخطوات القادمة من الحوار الإسلامي المسيحي. وقد أصدر المشاركون في ختام اللقاء مذكرة جاء فيها:

أ- هيئة الحوار داخل الجماعتين الدينتين :

فبالرغم من تزايد المبادرات من قبل الجانبين الإسلامي والمسيحي، على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي، لا تزال المشكلة قائمة عند كثير من المسلمين والمسيحيين، الذين يتخوفون من فكرة الحوار، ولهذا أكد الجانبان وجوب العمل لتحقيق الأهداف التالية⁽¹⁾:

- فهم العناصر المشتركة والعناصر المميزة في إيمان الجانب الآخر، وتاريخه وحضارته.

- احترام ديانة الجانب الآخر وثقافته.

- المساهمة في الانسجام والمصالحة بين الديانتين.

- الالتزام المشترك في إحقاق العدالة الاجتماعية، والتنمية المسؤولة لمواد الأرض.

- إغناء روحي متبادل في تحدٍّ مستمر للجانبين.

كما أكد الجانبان ضرورة تجنب كل طرف مايلي:

- المقارنة السلبية والتشويه.

- محاولة فرض الحلول التوفيقية.

- المحاولات المبينة لكسب عناصر من الجانب الآخر⁽²⁾.

ب- العيش في حوار، وذلك على المستويات التالية:

- المستوى التربوي: المدارس، المعلمون، الكتب.

- المستوى العائلي: التنشئة على قبول ثقافات الأقليات.

- في العبادة والصلاة: إمكان الحضور الصامت في عبادات الجانب الآخر، للتعرف على

طرق الطاعة وتبادل التهاني في المناسبات والاحتفالات.

ج- الحوار في الموضوعات الاجتماعية والسياسية:

- الإيمان والسياسة.

¹ - مجلة المسلم المعاصر عدد 5، 1976، ص 112.

² - المرجع نفسه، ص 112.

-- الإيمان والعدالة الاجتماعية والتنمية⁽¹⁾.

د- اللاهوت والحوار:

- الوحي: يمكن أن يشكل الوحي موضوع عدّة مشاريع دراسات منها:

- ماهي الاتجاهات التي يعتبر المسيحيون والمسلمون، أنّ الوحي قادر أن يقدم فيها شيئاً

لعالم اليوم.

- العلاقة بين الوحي والتّجديد.

- مايقدمه الوحي في إعادة البناء الاجتماعي، بالنسبة إلى مشكلات الفقر والمرض والألم

والظلم⁽²⁾.

- الإيمان والعلم والتكنولوجيا ومستقبل البشرية:

بيان المسؤولية التي يتحملها الإنسان أمام الله، إزاء العالم المتأثر بأزمات البيئة، المعضلات

الأخلاقية، والمشكلات الاجتماعية.

- الرّسالة المسيحية والدّعوة الإسلامية:

وقد قام الباحثون من المسلمين والمسيحيين بتحليل وتقييم توصيات لقاءات سابقة ، وكذا رصد التّشاطات الحالية للرّسالة والدّعوة.

3- لقاء القاهرة (مصر): من 11 إلى 14 أبريل 1978م، و جرى اللقاء برئاسة شيخ الأزهر

عبد الحليم محمود، والكاردينال بيندولي، وحضره وفد عن "الأمانة العامة للعلاقات مع غير

المسيحيين" التابعة للفاثيكان⁽³⁾. وكذا السّلطات الدّينية والأكاديمية في جامعة الأزهر، وكانت

هذه المرّة الأولى التي شاركت فيها الكنيسة الكاثوليكية، مع أقدم مؤسّسة دينية إسلامية في العالم

الإسلامي، في حوار انتهى ببيان صادق عليه الجانبان، وقد بيّن فيه الطرف الإسلامي:

1- الإيمان بجميع أنبياء الله والتّيقن بأنّ الله اختارهم من أجل توجيه الناس، وتطوير الإنسانية.

2- السّلام في الإسلام، وذلك أنّ الله خلق النّاس لكي يتعارفوا ويتعاونوا في الخير والعدل والتّوصل

إلى السّلام⁽⁴⁾.

¹ - مجلة المسلم المعاصر عدد 5، 1976، ص 114.

² - المرجع نفسه ص 117.

³ - LE CONSEIL PONTIFICAL POUR LE DIALOGUE : BULTIN DU CONSEIL N°38 1978 P157.

⁴ - IBID P158.

3- التعاون والتساعـد وخلق الإسلام من التعصّب.

كما بين الجانب المسيحي بدوره:

- 1- رغبة العالم المسيحي في تحسين معرفته بالإسلام، وتحسين معرفة المسلمين بالمسيحية.
- 2- رغبة المسيحيين في العمل مع إخوانهم المسلمين من أجل العدل وسعادة الجميع.
- 3- ما يجمع المسلمين والمسيحيين من قيم مشتركة قادرة على حماية المجتمعات من الانحراف والإلحاد.

- وقد أكد المشاركون أنّ لقاء البشر على طريق الطاعة لله وحده، هو عامل يساهم في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أكدوا على أنّ ما تعاني منه المجتمعات المعاصرة، كالحيرة والقلق والاضطراب والتمزّق، ناتج عن ابتعادها عن القيم الدّينية الحقيقية⁽¹⁾. واتفق الجانبان على ضرورة متابعة التعمق في الموضوعات المشتركة، وضرورة الحفاظ على الصّلات الدائمة والمنظمة، التي تتيح تبادلاً أوسع في سبيل دعم القيم الروحية ونشر المحبة.

4- لقاء نيودلهي: (الهند): وكان من 9 إلى 11 أكتوبر 1978م، حول موضوع: "الكنيسة والجامع ومساهمتها في انسجام الأديان والمصالحة بينها"، وكان تنظيم اللقاء من طرف لجنة الحوار في مجلس أساقفة الهند، مع معهد هنري مارتن في حيدر آباد، والمعهد الهندي للدراسات الإسلامية⁽²⁾. وقد تبين للمسلمين والمسيحيين، المشاركين في اللقاء، أنّه يجب القيام بالكثير في حقل التعليم، ولا سيّما في المؤسسات حيث يتدرّب قادة الجماعات الدّينية كما شعروا بالحاجة إلى التعاون في وضع كتب قراءة ومختارات عن الإسلام والمسيحية، لتنفيذ منها مؤسسة التربية الدّينية الإسلامية والمسيحية. كما اقترح المشاركون في اللقاء، ضمن الاجتماع الأخير، تأليف لجنة دائمة صغيرة من مسلمين ومسيحيين:

- تعمل للحفاظ على العلاقات الجيدة بين المجموعتين الدّينيتين، وتصبح محكمة يلجأ إليها عند حدوث خلافات بينها.

- تقرّر وتخطّط للقاءات لاحقة مماثلة لهذا اللقاء، وتنشر المعلومات الهامة عن الجماعتين بواسطة وسائل الإعلام⁽³⁾.

¹ - LE CONSEIL PONTIFICAL POUR LE DIALOGUE :BULTIN DU CONSEIL N°38 1978 P159-160.

² - دراسات إسلامية مسيحية عدد 5، 1979 ص 140.

³ - المرجع نفسه، ص 141.

- تشجيع تعليم الإسلام في مؤسسات التعليم الديني المسيحي، والعكس بالعكس. وتقيم بطريقة علمية المواد التعليمية لجهة ملاءمتها التعاطي مع الموضوعات المتعلقة بالمسيحية أو الإسلام.

- تنشئ وتشجع التفكير اللاهوتي حول المسائل الأساسية، التي تمس الإيمان والتعليم الأخلاقي في كلتا الديانتين⁽¹⁾.

5- لقاء شامبزي (سويسرا): من 12 إلى 14 مارس 1979، وكان موضوعه "التعايش الإسلامي المسيحي"، وذلك بدعوة من "مجلس الكنائس العالمي"، وقد أعاد المشاركون في اللقاء تأكيد بعض المبادئ وردت في لقاءات إسلامية-مسيحية سابقة، كما اقترحوا برامج مستقبلية من أجل تحسين التفاهم والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين⁽²⁾.

وفي البيان الختامي نبّه المشاركون إلى الدور المزدوج الذي تلعبه التعددية (الدينية)، فكما يمكنها أن تحدث تطوراً دينامياً غنياً، يمكنها أن تسبب تشويشاً للاستقرار، لذلك فالواجب الروحي هو الاحترام المشترك، فعلى الجميع الاستناد إلى الثروة التي تتضمنها الكتب والعقائد والتقاليد عند المسيحيين والمسلمين، من أجل تطوير حسن العلاقات بين الجانبين⁽³⁾.

أما بخصوص البرامج المستقبلية فقد اقترح المشاركون برنامجاً لمدة سنتين أو ثلاث، يدخل في إطار التعايش الإسلامي المسيحي:

أ- ففي المرحلة الأولى: 1979م: التهيئة داخل كل جماعة، وذلك عن طريق:

- مكاتبات وتقارير وزيارات بين الهيئات الممثلة أو المدعوة.

- إمكانية لقاء بين المسيحيين للباحث في العلاقات مع المسلمين، بإشراف مجلس الكنائس العالمي المتعاون مع الفاتيكان.

- إمكانية لقاء بين المسلمين للباحث مع المسيحيين، بإشراف إحدى الجمعيات الإسلامية.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 5، 1979 ص 141.

² - حوليت حنلا: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ص 130.

³ - المرجع نفسه ص 131.

- إمكانية لقاءات أو برامج أبحاث حول العلاقات المسيحية الإسلامية، بإشراف مؤسسات ثقافية أو أكاديمية⁽¹⁾.

ب- المرحلة الثانية: 1979-1981م برامج ومشاريع مشتركة:

--- تبادل معلومات أساسية حول:

1- "الدولة الإسلامية والأخوة البشرية" مؤتمر يمكن عقده بإشراف منظمة، أو مؤسسة إسلامية.

2- "المسلمون والمسيحيون العرب العائشون معاً" حوار يمكن عقده بإشراف "مجلس كنائس الشرق الأوسط"، ولقاءات أخرى يمكن أن تعقد في مناطق أخرى بإشراف منظمات مسيحية أو إسلامية.

3- "هاجس التربية الدينية" لقاء يمكن عقده بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي، واستشارة هيئات إسلامية ومسيحية.

- "القدس وتطلعات المسلمين والمسيحيين" مؤتمر يمكن عقده بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي⁽²⁾.

- التعاون والتشارك:

--- لقاء مسلمين و مسيحيين ناشطين في تعليم موضوعات متعلقة بالإسلام والمسيحية، يمكن عقده بإشراف "مركز الدراسات الإسلامية والعلاقات الإسلامية المسيحية" في جامعة "سللي أوك"
- اهتمامات مشتركة حول حقوق الإنسان، مراسلات وتبادل وثائق وإمكانية عقد مؤتمر بإشراف "برنامج الإسلام والغرب".

- مؤتمر للشباب حول: "الإيمان والروحيات في العالم المعاصر"، يعقد بإشراف منظمة شبابية إسلامية أو مسيحية، أو بالتعاون بين منطمتين من الجانبين.

- مناقشة حول "الأخلاقيات وممارسات برامج المساعدة الاقتصادية والإسعاف الإنساني"، وقد تجري بإشراف منظمة علمانية معنية ببرامج دراسات تنمية⁽³⁾.

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 133.

² - المرجع نفسه، ص 133.

³ - المرجع نفسه، ص 134.

وما يسجل حول المؤتمرات التي عقدت في هذه الفترة، العشرية الثانية بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، هو الآتي:

- تم في هذه الفترة الممتدة من 1975-1985 أكثر من مائة (100) مؤتمر حوار ديني دولي بين المسلمين والمسيحيين، مما يؤكد أن عملية الحوار نشطت من خلال دخول المسلمين فيها، وهذا كنتيجة للعمل المكثف في العشرية السابقة، التي كرّست لموضوع الحوار وأهميته وضرورته.
- إن مواضيع اللقاءات في هذه الفترة كانت مركزة حول موضوع دور الدين في البناء الاجتماعي، وإيجاد عالم متوازن، وذلك من خلال بيان قيم الإسلام والمسيحية في القضايا التي طرحت للبحث، وكذا دوره في مقاومة التيارات المادية الهادمة للمجتمعات، وهو ما يفسّر محاولة الجانب المسيحي تكوين جبهة دينية مشتركة مع المسلمين، لمواجهة المدّ الشيوعي في منطقة الشرق الأوسط آنذاك.

المطلب الثالث: المؤتمرات التي عقدت من 1985-1995

- 1- لقاء عمان (الأردن): من 28 إلى 30 سبتمبر 1985م وكان بمبادرة من ولي عهد الأردن الأمير حسن، والمطران ميخائيل مان رئيس مركز WINDSOR الأنجليكاني، وكان موضوعه: "قيم الحياة العائلية في المجتمع المعاصر"، وقد بلغ عدد المشاركين أربعين (40) باحثاً، تدارسوا المشكلات المشتركة التي تواجهها العائلات الإسلامية والمسيحية، والقيم التي تحرص كل جهة على تنميتها أو المحافظة عليها⁽¹⁾.

وقد أصدر المشاركون في آخر اللقاء بياناً جاء فيه:

- في البداية أكد الجانبان أن حوار المسلمين مع المسيحيين، في موضوعات حول العائلة والشبيبة، له أسس من القيم المشتركة بين الجانبين، لأن الديانتين، وبالرغم من تمايزهما في أمور هامة على الصعيد العقائدي والممارسة العملية، فإنهما تقدّمان أساساً واقعياً وبنّاء يمكن الانطلاق منه للبحث عن حلول للمشكلات الملحة، التي تهدّد استقرار العائلات، وتضع الغاماً أمام مستقبل الأجيال، وتضعف بني المجتمعات⁽²⁾.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 12، 1988 ص 212.

² - المرجع نفسه، ص 212.

كما أن الآفات التي يمكن محاربتها من الجانبين عديدة، أهمها: تفشي الإجرام، انحراف الشباب، الفقر والمجاعة، الطلاق وتفكيك العائلات، الإباحية الجنسية، تعاطي المخدرات، استغلال الأطفال، المعاملة القظة تجاه النساء.

ويبين المشاركون أن أغلب المسيحيين لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام، وأن أغلب المسلمين لا يعرفون شيئاً عن المسيحية، بل إن كل جانب لا يعرف عن تراثه شيئاً، وأكّدوا أن الجانبين يؤمنان بالمعتقدات التالية:

- العيش في كون يسوده الله.
- هذا الإله واحد أحد، شامل الوجود، كلي الحكمة والقنطرة، وهو الخالق الرحيم للجميع.
- أن هذا الإله أوحى للبشرية بشرائعه الأساسية، التي تصلح لتوجيه سلوك الفرد وقيادة المجتمع.
- كل واحد مدعو لتسليم ذاته لمشيئة الله.
- كل واحد مسؤول تجاه الله وخاضع لحكمة الإلهي.
- كل واحد مُساوٍ للآخر أمام الله، إذ هو إله العدالة.
- الجميع ينعمون برحمة الله الرحمن الرحيم⁽¹⁾.
- كما أكّد المشاركون على توجه المؤمنين إلى الزواج الشرعي، وحرصهم على الإبقاء على دور العائلة المركزي، في بث القيم الأخلاقية والروحية الأساسية في بناء الجماعات الهادفة والمجتمع السليم⁽²⁾.
- أكّد المشاركون على أن الله أراد أن تكون العائلة ميثاقاً للحب المتبادل والتعاون، وأن تكون المحيط الصالح ليرى فيه الأطفال التور، ويرعرعوا بمخافة الله.
- وبناء على قناعتهم بقيمة مناسبات اللقاء والحوار، ضمن حدود الدين والعرف، أوصى المشاركون بتنسيق الأبحاث والجهود بين مختلف المراكز المسيحية والإسلامية المعنية بشؤون العائلة.
- وانطلاقاً من الوعي بأنّ مسائل الحياة العائلية، وكل ما يمت إليها بصلة، كالتضامن العائلي، وتفكك الزواج، والطلاق، والإجهاض، وتنظيم الأسرة، لا يمكن للرجال أن يتباحثوا فيها وحدهم، فقد طالب المشاركون في لقاء عمّان بأن تلتقي النساء، المسلمات والمسيحيات، للباحث في هذه الموضوعات

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 12، 1988 ص 213.

² - المرجع نفسه ص 213.

- وإدراكاً من المشاركين لتأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الحياة العائلية، وما تضعه من حواجز تمنع العائلات من التوصل إلى مقاصد الله منها، أوصوا بأن تقام أبحاث مشتركة بين المسيحيين والمسلمين، بهدف حماية الأسرة من هذه التأثيرات.

- يبين المشاركون على أساس هذه المعتقدات المشتركة، مسؤولية الجميع من أجل محاربة تلك القوى والتأثيرات، التي ينتج عنها عدم الاستقرار والتفكك في العائلات⁽¹⁾.

2- لقاء قرطبة (إسبانيا) من 11 إلى 18 أكتوبر 1986م، وكان بمناسبة الاحتفال بالمائة الثانية عشر لتأسيس جامع قرطبة، وقد أشرف على تنظيمه: "اللجنة الإسبانية للعلاقات مع الأديان الأخرى" بالتعاون مع "المركز الإسلامي في إسبانيا".

وقد شارك في اللقاء مسلمون ومسيحيون من مختلف بلدان العالم⁽²⁾.
وقد أصدر المشاركون في آخر اللقاء بياناً أَلحوا فيه على تحسين التفاهم المتبادل، ولا سيما احترام إيمان الجانب الآخر ولهذا :

- أعلن المشاركون، من كاثوليك ومسلمين، تقديرهم للقيم الدينية والأخلاقية في المسيحية والإسلام، وشدّدوا على أن الديانة يجب ألا تستخدم لأهداف غير أهدافها الحقيقية والأصلية.
- يبين المشاركون أن عدم الإيمان والإلحاد هما تحدّ لكل مؤمن، أيّاً كانت ديانته، وهو ما يحث على الإدلاء بالشهادة للإيمان في هذا العالم⁽³⁾.

- عبّر المشاركون عن إرادتهم في التوصل إلى تعارف ديني أفضل، وألحوا أن يكون التعريف بالمعتقدات محترماً، وأن يكون مطابقاً للحقائق.

- كما عبّروا عن شعورهم بالمسؤولية المشتركة إزاء ما يعانيه العالم من جوع واستغلال الإنسان أخاه، وظلم النظام الاقتصادي العالمي الحالي، وفقدان السلام والعدالة بين الناس، وضياع الحقوق الدينية للأقليات والمهاجرين، ومن ثمّ عبّروا عن ضرورة البحث في كيفية العمل معاً لابتعاد الوسائل الشرعية لأجل إزالة كل ما سبق.

- كما طالب المشاركون من "مجلس الأساقفة في إسبانيا" أن ينشئ، في إطار "لجنة العلاقات مع الأديان الأخرى"، فرعاً لمتابعة العلاقة مع الإسلام، كما طلبوا من "المركز

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 12، 1986، ص 213.

² - المرجع نفسه، ص 189.

³ - المرجع نفسه ص 190.

الإسلامي في إسبانيا" أن ينشئ فرعاً مماثلاً، لضمان استمرار العمل المشترك⁽¹⁾.

3- لقاء استراسبورغ (فرنسا): من 20 إلى 21 ديسمبر 1990، ومبادرة هذا اللقاء كانت لـ "جمعية الحوار الإسلامي-المسيحي" A.D.I.C، وذلك بالجلس الأوربي بستراسبورغ، وقد شارك فيه 160 منهم 80 مسلماً و80 مسيحياً، قدموا من المغرب وأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا، ومن بين المشاركين ممثلون رسميون للكنائس المسيحية والمنظمات الإسلامية، لا سيما أسقفية ستراسبورغ وأمانة سر كنيسة فرنسا، والمركز الأرثوذكسي المسكوني، وأسقفية الجزائر، والجامعة الإسلامية بستراسبورغ، والرابطة العالمية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي⁽²⁾.

- تباحث المشاركون موضوعات مثل: الدين والسلام، المجتمع والدين والثقافة، مسؤولية المؤمنين في هذا العصر.

- أظهر المؤتمر اهتمامهم تجاه المشكلات التي يواجهها عالم اليوم:

* المشكلات الاقتصادية [اللامساواة المتزايدة بين الشمال والجنوب]

* المشكلات الاجتماعية: العنصرية بمختلف أشكالها.

* المشكلات الثقافية: خاصة تلك الناجمة عن الهجرة.

* المشكلات السياسية: والتي تعاني منها عدة مناطق في العالم⁽³⁾.

- اتفق المشاركون على ضرورة البحث معاً عن الحلول لتلك المشكلات بما يتلاءم مع الإيمان.

- وأكدوا على ضرورة تعميق المعرفة المتبادلة بكل استقامة وجددية، هذه المعرفة التي

كثيراً ما كانت ناقصة، أو خاطئة عند المسيحيين والمسلمين، فيما يخص ديانة الآخرين لا

سيما فيما تعلق بتاريخ الجماعة وما أبدعته على صعيد الفن والحضارة، والمبادئ

الأخلاقية المطلوب منها إيصالها إلى الأسر والشعوب والعالم بأسره.

- العمل معاً للتأثير في السلطات الحكومية، والرأي العام فيما يخص تلك المواقف⁽⁴⁾.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 12، 1986، ص 191 .

² - دراسات إسلامية مسيحية عدد 17، 1971، ص 209 .

³ - المرجع نفسه، ص 210.

⁴ - المرجع نفسه، ص 211 .

4- لقاء لافاليت (مالطا): من 22 إلى 24 أبريل 1991، عقد هذا اللقاء بمبادرة من فريق

مؤلف من ممثلي منظمات مسيحية وإسلامية هي:

- اللجنة الدولية الكاثوليكية للاجئين.

- جمعية الدعوة العالمية الإسلامية.

- مؤسسة الدعوة العالمية الإسلامية.

- الإتحاد اللوثري العالمي.

- مجلس الكنائس العالمي.

- المؤتمر الإسلامي العالمي⁽¹⁾.

وهي منظمات معنية بمشكلة المهجرين والنازحين واللاجئين، والتي كانت موضوعاً لهذا اللقاء وبعد التباحث بين الجانبين حصل الاتفاق على نص بيان ختامي، جاء فيه:

- كون المشاركين في اللقاء مؤمنين بالله أوصلهم إلى تحديد العناصر المشتركة التي تحتويها الكتب المقدسة وهي كالآتي:

أ- الأرض ملك لله، وقد عهد بمواردها للبشرية جمعاء، لكي تصبح في متناول الجميع بكل عدالة ورحمة.

ب- لقد دعا الله الناس ليحب بعضهم بعضاً، ومن ثم لخدم بعضهم بعضاً، دون أنانية أو تمييز عنصري أو طبقي أو اقتصادي أو ديني.

ج- لقد نشأت المسيحية والإسلام في حوّا من الاضطهادات، وقد عاش عدد كبير من المؤمنين من الديانتين مأساة التهجير⁽²⁾.

- وعليه فقد توصل المشاركون إلى الاتفاق على أنّ ظروف حياة اللاجئين والنازحين والمهجرين تختلف، وتتطلب أحياناً حلولاً مختلفة.

- اتفق المشاركون على أنّ حالة الناس المضطرين إلى ترك مساكنهم وأرضهم هي أسوأ الحالات وأشدّها حاجة.

¹ - حولت حداد: البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة ص 173 .

² - المرجع نفسه ص 170.

- تحدي القوى السياسية في العالم، ودعم القيم الأخلاقية الأساسية، وتأمين انتصار السلام والعدالة، والسعي إلى نشر الوعي القائل إن لدينا عالماً واحداً سريع العطب، يجب أن يعيش فيه الجميع في تناغم وانسجام وتعاون⁽¹⁾.
- من أجل وضع حد نهائي لتهجير الشعوب، لا بد من توحي الوصول إلى تنمية ثابتة للكون المعطي للجميع من لدن الله، وإلى توزيع عادل لخيراته لصالح البشرية جمعاء.
- التعهد بتكريم الإنسان واحترامه، من أي عرق أو حضارة أو دين، والتأكيد على واجب اقتسام خيرات الأكثر ثراء مع الأقل ثراء.
- مطالبة الدول الأعضاء لمنظمة الأمم المتحدة، أن تثبت المعاهدات والاتفاقات والتوصيات الدولية بشأن حقوق الإنسان، وتنشرها لاسيما حقوق اللاجئين والمهجرين⁽²⁾.
- مطالبة الجماعات الدينية، والمنظمات، وجميع الحكومات، لكي تقدم كل المساعدة اللازمة فتساهم في الحل العادل لمأساة الشعب الفلسطيني.
- المطالبة بلفت الانتباه إلى الكارثة المخيفة التي كانت تحتاج شعوب القرن الإفريقي، والمقلقة على صعيد المجاعة والحرب.
- التوصية بخطوة أولى في مسيرة التعاون، بهدف إنشاء فريق عمل دولي يتخصص في مشكلة اللاجئين والنازحين والمهجرين، يتألف من ممثلي المنظمات الإسلامية والمسيحية، يعمل على:
 - أ- الوقاية من الأزمات والتهجير السكاني الذي يرافقها.
 - ب- تأمين المساعدات الطارئة عند حدوث أزمات تسبب الهجرة.
 - ج- تطوير أوضاع المهجرين القانونية والاجتماعية، واحترام هوياتهم الثقافية والدينية⁽³⁾.
 - د- تشجيع عودة المهجرين الاختيارية وإعادة تأهيلهم.
- 5- لقاء إبادان (نيجيريا) من 4 إلى 8 أبريل 1991، نظّمته اللجنة البابوية للحوار بين الأديان، حول موضوع التعاون والتنمية الإنسانية وقد جمع 24 مشاركاً إفريقياً، من غانا وغامبيا ونيجيريا

¹ - حولت حدود: البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة، ص 171.

² - المرجع نفسه، ص 172.

³ - المرجع نفسه ص 173.

وسيراليون، وقد ناقش المؤتمر موضوعات ذات صلة بموضوع التنمية الإنسانية والتعاون⁽¹⁾. وأصدروا في ختام لقائهم بياناً جاء فيه:

1- تحديد حقول التعاون كالاتي:

- التربية.

- الصحة.

- والعمل الاجتماعي.

وأكد المشاركون على وجوب توجيه المسيحيين والمسلمين إلى مجابهة المشكلات مثل: مكافحة المخدرات، الدفاع عن القيم العائلية، الحد من النفقات الباهضة.

2- شدد المشاركون على حق الحرية الدينية لكل مواطن، وحق الهيئات الدينية في ممارسة نشاطاتها، وطالبوا الحكومات باحترام هذه الحقوق، وعدم إظهار الانحياز تجاه إحدى الجماعات دون غيرها.

3- تحليل الخلافات الناشئة بين المسلمين والمسيحيين بدقة، حتى يمكن تجنبها في المستقبل⁽²⁾.

4- مساعدة كل جماعة دينية المنتمين إليها من الذين تزوجوا زواجا مختلطاً (بين مسيحية ومسلم أو العكس) على نجاحه، في جو من الاحترام الكامل لإيمان القرين.

5- استعمال الإعلام من طرف المسلمين والمسيحيين لتنمية التفاهم والتعايش.

6- أوصى المؤتمر بإنشاء فريق عمل إسلامي - مسيحي، متفاهم ومتعاون، يقوم بمواجهة المشكلات المشتركة والإسهام في حلها⁽³⁾.

6- لقاء روما (إيطاليا): من 24 إلى 26 جوان 1992، وقد شارك في تنظيمه المجمع الملكي للدراسات في الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، وكان موضوعه:

" المرأة في المجتمع في نظر الإسلام والمسيحية"، وقد ناقش فيه المشاركون المرجع الديني الذي تقوم عليه كرامة المرأة، ويتنوا أن تراث كلتا الديانتين ابتعد عن الرؤية الإيمانية الأصلية، ودعوا إلى قراءة محدّدة وجدّية للكتب المقدسة⁽⁴⁾. وفي ختام اللقاء أصدر المشاركون بياناً جاء فيه:

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 17، 1991 ص 251.

² - المرجع نفسه، ص 252.

³ - المرجع نفسه، ص 252.

⁴ - جوليت حداد: البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة ص 184.

- تركيز الديانتين، الإسلام والمسيحية، على كرامة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، وأن اختلاف الوظائف يهدف إلى التكامل وليس إلى التناقض.
- أهمية الأسرة في كلتا الديانتين، باعتبارها نواة المجتمع الإنساني، وبيان ضغوط الحياة المعاصرة على الأسرة.
- اهتمام الديانتين بدور المرأة الأساسي في رعاية الأسرة، لا يحول دون حقها في ممارسة الأعمال والنشاطات الاجتماعية، في نطاق إمكاناتها وظروفها، وفي إطار القواعد الدينية.
- أبدى المشاركون قلقهم إزاء إفرازات الحضارة المادية، التي تتجلى في استغلال المرأة بصورة تحط من كرامتها الإنسانية، وخاصة في ميادين الترفيه والإعلان، وضرورة العمل على وقف هذا الاستغلال وتوعية المجتمع بأخطاره وأضراره⁽¹⁾.
- قصور التشريعات السائدة المتعلقة بالمرأة، من حيث: شروط العمل، الأجور، التدريب ومراعاة واجبات الأمومة، وضرورة معالجتها بمجهود مشترك من المسلمين والمسيحيين.
- نظراً لأهمية دور الدين في صياغة النفس الإنسانية السوية، وتوجيهها نحو الخير والفضيلة والقيم الرشيدة، رأى المشاركون ضرورة بذل جهود خاصة لإشاعة الوعي الديني وتعميق مفاهيم الإيمان لدى الرجال والنساء، بما يصون كرامة المرأة ويعينها على أداء دورها في مناخ فاضل سليم⁽²⁾.
- 7- لقاء مدريد (إسبانيا) من 26 إلى 28 مارس 1993، وكان بدعوة من اللجنة الكنسية للعلاقات بين الأديان المنبثقة، عن المجلس الكنسي الإسباني، ومن رابطة العالم الإسلامي، و عقد في مقر المركز الثقافي الإسباني بمدريد، وكان موضوعه "المسلمون والمسيحيون أمام مشكلات العالم المعاصر"، وقد كانت المواضيع التي تفرعت عنه كالآتي:
 - أ- ظاهرة اللإيمان (الإلحاد) في العالم المعاصر، والتحدّي الذي يواجهه الإنسان المؤمن.
 - ب- أوضاع الأقليات الدينية في البلاد التي تعيش فيها.
 - ج- موقف المسلمين والمسيحيين من مسألة حقوق الإنسان، وضرورة الدفاع المشترك عنها.
 - د- التعاون المشترك في تشجيع السلام، ودور الأديان في بناء نظام عالمي جديد⁽³⁾، وكان البيان الختامي، الذي أصدره المشاركون، كالآتي:

¹ -حوليت حناد: البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة، ص 185.

² - المرجع نفسه، ص 186.

³ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 19، 1993 ص 222.

- قبول التحدّي الموجه إلى المؤمنين من قبل اللاإيمانية والإلحاد كدعوة لدراسة الأديان والسلوك.
- الحاجة إلى الحوار لمعرفة مشتركة أكثر صحة، تعمل على الاحترام المتبادل، بحيث يصل هذا الاحترام بأصحابه إلى تعاون طموح في كافة الميادين الممكنة.
- التعبير عن الألم لقيام الصراعات المسلحة في بعض مناطق العالم، والدعوة إلى التأخي والصداقة بين الشعوب.
- المطالبة بحق كل مؤمن في الحرية الدينية وحرية التعبير، وحرية التعليم، وبحرية الأقليات في البلدان التي تدين فيها الأغلبية بديانة أخرى⁽¹⁾.
- الشعور بالواجب والمسؤولية للقيام بأعمال مشتركة لتفادي النزاعات الدينية والسياسية على المستوى المحلي والدولي.
- فناعة الجميع بالحاجة إلى الحوار بين الأديان، ورغبتهم في زيادة فرص اللقاء، سواء على مستوى المؤسسات أو مستوى الأفراد⁽²⁾.
- 8- لقاء فيينا (النمسا): من 30 مارس إلى 02 أبريل 1993م، وكان بدعوة من وزير الشؤون الخارجية النمساوي، وبالتعاون والتنسيق مع المعهد اللاهوتي للأديان بكلية القديس جبريل (مودلينغ) بالقرب من فيينا، وذلك في موضوع: "سلام للبشر، مبادئ مشكلات وآفاق المستقبل كما يراها المسلمون والمسيحيون"، وقد عولج الموضوع على ثلاثة محاور:
- الجذور الدينية للسلام.
- الكرامة الإنسانية، حقوق الإنسان والعدالة.
- التعددية السياسية والتضامن الدولي⁽³⁾.
- وقد سجّل البيان الختامي، الذي وافق عليه المشاركون، منعرجاً هاماً في الوعي بالدور الكبير الذي يمكن ويجب أن تلعبه الأديان في تنمية السلام بين البشر، وقد جاء فيه مايلي:

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 19 ، 1993 ، ص 223.

² - المرجع نفسه، ص 224.

³ - أندراوس بيشتة، عادل تيودور خوري: سلام للبشر المكبة البولسية لبنان 1997 (الكتاب جمع أعمال المؤتمر كلها: محاضرات ومداخلات).

- بهدف تعميق وتمتين السّلام بين البشر، دعا المشاركون أتباع الدّينين إلى تناسي وتجاوز سلبيات تاريخ علاقاتهم، من أجل إيجاد أصوات مشتركة للتّفاهم، ولتصحيح كل الأحكام المسبقة وتبادل الاحترام⁽¹⁾.

- دعا المشاركون أتباع الدّينين للعمل المشترك، من أجل عالم أكثر إنسانية، عالم يمكن أن يعيش فيه النّاس جميعاً في ظل الكرامة، العدالة، التسامح والسّلام، عالم توزّع فيه الثّروات بعدالة، عالم تحلّ فيه التّوترات والمشكلات في جوّ الحوار وإرادة السّلام.

- دعوة المسلمين والمسيحيين إلى نبذ العنف والحرب، وأن يكونوا هم أنفسهم نماذج للسّلام.
- دعوة المسلمين والمسيحيين للاعتراض على كل استغلال للدّين، بهدف تبرير أهداف سياسية⁽²⁾.
- دعوة السّياسيين وأصحاب المسؤوليات، في مختلف بلدان العالم، إلى احترام وحماية الكرامة الإنسانية للرجال والنساء.

- الدّعوة إلى احترام حقوق الإنسان المنتهكة في كثير من مناطق العالم.
- إنّ الحروب الحالية تكشف عن عجز المؤسسات السياسية في حفظ السّلام، ولهذا دعا المشاركون المسؤولين السّياسيين، إلى إيجاد وتقوية المؤسسات الدّولية القادرة على قمع العنف وتأمين السّلام.

- إنّ الاستغلال الوحشي للموارد الطّبيعية والبشرية يهدّد مستقبل البشرية، ومن هنا دعا المشاركون كل المسؤولين في المجال السّياسي، أن يوجّهوا مجهوداتهم لإيجاد وتقوية تضامن عالمي لحفظ المجال الحيوي المشترك للكائنات الحيّة جميعاً⁽³⁾.

- ومن أجل كل ما سبق، على المسؤولين السّياسيين أن يقبلوا الصّبغة الأخلاقية للدّين، وتنمية التّربية من أجل السّلام، وإيجاد المؤسسات القادرة على توجيه وترشيد أصحاب القرارات السّياسية التي تخصّ السّلام.

9- لقاء موسكو (روسيا): يوم 22 أبريل 1993، من تنظيم رابطة العالم الإسلامي والمركز العالمي المسيحي الديمقراطي C.C.D.I، للتباحث في موضوع: "مجهودات من أجل السّلام"، وقد التقى أعضاء

¹ - أندراوس بيشت، عادل تيودور خوري: سلام للبشر، ص 336

² - المرجع نفسه، ص 337

³ - المرجع نفسه، ص 338

من الرابطة برئاسة الأمين العام د/عبد الله بن عمر ناصف بأعضاء من المركز العالمي للمسيحية الديمقراطي ونائب رئيسه، السيد/أندري لويس⁽¹⁾ وقد جاء في البيان الختامي لهذا اللقاء مايلي:

- تأكيد الاقتناع بأن العلاقات بين الناس، في الحروب السياسية للأمم، يجب أن تحكمها الأخلاق والأخلاقية المحفوظة في التراث المشترك بين المتسيين إلى الطريقة الإبراهيمية.

- إعلان أن الاحترام المتبادل بين المؤمنين، والمنطلق من الوحي نفسه، هو الأساس الذي تبنى عليه مبادئ التسامح الضروري للتعاون والتعايش فيما بينهم في المدن، والبلدان والكوكب⁽²⁾.

- التعبير عن الاهتمام بمجمل المشكلات التي تواجه البشرية حالياً، بدون تمييز: التهديد النووي والبيئي، أخطار الحروب، وهو ما يدفع بالرجال أصحاب التوايا والإرادات الحسنة من كل أمة وكل دين، وفي الصف الأول المسلمين والمسيحيين، لتوحيد جهودهم لحل هذه المشكلات.

- التأكيد على المصير المشترك لكل الإنسانية، كما هو واضح اليوم، لأنهم مشتركون في أصل واحد، ولأنهم تلقوا الأمر بسياسة الكون من أجل خير الجميع، مما يعني نشر السلام فيما بينهم.

- مراجعة كل طرف للآخر باستمرار وانتظام فيما يخص المشكلات التي تمس السلام، وحقوق الإنسان في كل بلدان العالم، وتنظيم لقاء فيما بينهم كل سنة على الأقل.

- إنشاء أمانة سرّ مستقلة، يعين فيها أعضاء دائمين من الرابطة والمركز المسيحي العالمي الديمقراطي⁽³⁾.

10- لقاء عمان (الأردن): من 26 إلى 28 جويلية 1993، بمبادرة من الأمير الحسن بن طلال، بالتعاون مع المطران ديسكيوس من معهد شامبزي (سويسرا)، والأكاديمية الملكية للأبحاث في الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، وذلك لبحث موضوع:

" الشّباب وقيم الاعتدال"، وقد بلغ عدد المشاركين 62 عضواً من 22 بلداً، ودارت الأبحاث والمناقشات حول ثلاثة محاور⁽⁴⁾ هي:

أ- قيم الاعتدال في الإسلام والمسيحية.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 19، 1993، ص 271.

² - المرجع نفسه، ص 271.

³ - المرجع نفسه، ص 272.

⁴ - المرجع نفسه، ص 256.

ب- التوترات والتحديات الكبرى في العالم المعاصر.

ج- دور الشباب في الحفاظ على الاعتدال في عالم، متغير وقد ختم اللقاء ببيان جاء فيه:
- إن الاعتدال هو الروح الكامن في الرسالة السماوية، التي جاءت بها الديانتان، والتي تقوم على وحدة الخالق، ووحدة البشرية وكرامة بني البشر ومسؤوليتهم أمام الخالق.
- إن الاعتدال، إذا ما غدا نمط حياة الأفراد والمجتمعات، يؤدي إلى انتشار الحرية والعدالة والسلام، وغياب الاعتدال يقود إلى الحيرة والاضطراب، وإلى العنف والطغيان، ومن ثم إلى تداعي النظام الاجتماعي⁽¹⁾.

- إن على الشباب، وهم ذخيرة الحاضر وأمل المستقبل، مسؤولية خاصة في بناء المجتمع المتألف القائم على قيم الاعتدال التي يدعوا إليها الإسلام والمسيحية، ويجب أن تتاح للشباب، من خلال المؤسسات التعليمية، فرص التعرف على تراثهم الروحي والثقافي الغني، وتفهم دين الآخر بصورة إيجابية، حتى لا تتكرر أخطاء الماضي وعصبياته لدى الطرفين⁽²⁾.

وإن الحكومات والشخصيات القيادية في المجتمع، والمؤسسات التعليمية تتحمل مسؤولية خاصة في هذا المجال، من خلال العمل على تضمين هذه المبادئ في سياستها وبرامجها.

- إن المشاركين أثناء مناقشتهم للتحديات التي تواجه البشرية في بلدانهم، اتفقوا على أن المدنية الحقّة لا يمكن لها أن تزدهر وتنمو دون الالتزام بالقيم الروحية والأخلاقية، التي نصّت عليها التعاليم الإسلامية والمسيحية.

- استذكر المشاركون في اللقاء مايجري من صراعات ونزاعات، في عدد من البلدان في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وأوروبا الشرقية، وخاصة مايجري في البوسنة والهرسك، ونددوا بالاجماع، باستغلال المشاعر الدينية لغايات سياسية، وبالحجاز التي ارتكبت مثل هدم الممتلكات وأماكن العبادة، وقتل المواطنين الأبرياء، وإخراجهم من ديارهم وبالاغتصاب.

11- لقاء عمّان- الأردن:- من 18 إلى 20 جانفي 1994، من تنظيم الأكاديمية الملكية للبحث في الحضارة الإسلامية(مؤسسة آل البيت)، بالتعاون مع الكاردينال فرانسيس أرنزي، رئيس المجلس

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 19، 1993، ص 252.

² - المرجع نفسه، ص 252

البابوي للحوار مع الأديان، وقد دار اللقاء حول موضوع "الدين والوطنية" وشارك في أعماله 56 شخصية مسلمة ومسيحية، جاءت من 14 بلداً، وقد عرج الموضوع على ثلاث مراحل:

1- مدخل تاريخي للوطنية.

2- المشكلات والتحديات التي تعرفها اليوم.

3- الدور الذي يلعبه المؤمنون فيما يخص متطلبات بعض الأوضاع⁽¹⁾.

وكان البيان الختامي للقاء موجزاً، جاء فيه:

- وجوب التفرة بين حب عادي وطاهر، من شخص لبلده من جهة، وبين وطنية مدمرة ومتطرفة من جهة أخرى.

- لا وجود للتضارب أو التناقض بين الدين والوطنية، فالعقيدة الدينية الأصلية لا تُقص الروح الوطنية.

- حسب تعاليم الإسلام والمسيحية لا توجد أمة، أو سلالة، أو شعب يعلو في نظر الله على آخر، والإنسان يحاسب أمام الله بحسب إيمانه وإخلاصه.

- إن المؤمنين، من مسيحيين ومسلمين، يعترفون بأن القيم الإيجابية للوطنية تساعد على بناء وتعزيز هويتهم وكرامتهم، ولذا فعليهم العمل على تنمية هذه القيم البناءة، وفي نفس الوقت رفض التيارات التي تحول الوطنية إلى معول هدم وسيطرة⁽²⁾.

12- لقاء فلورانس - إيطاليا - من 1 إلى 3 جويلية 1994، وقد قامت على تنظيمه الفدرالية الإيطالية للرحمة، وحضره مندوبون عن منظمات إنسانية من العالم، وكان موضوعه:

"حضارة المحبة"، وكان من نتائج هذا اللقاء إنشاء لجنة دائمة من أجل التضامن والمساعدة الإنسانية بين الشعوب، وهو ما يشهد بصدق على المكانة التي يحظى بها موضوع التعاون الإسلامي - المسيحي عند المهتمين بالتقارب والحوار، لإخراج المشروع من صيغته النظرية إلى الصيغة العملية في مجال الخدمات⁽³⁾.

- وقد تركزت الأبحاث والمناقشات حول ثلاث بؤر توتر في العالم آنذاك، وهي:

- القوقاز.

- السودان.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 239.

² - المرجع نفسه، ص 239.

³ - المرجع نفسه، ص 321.

- العراق - الكويت.

نظراً لما شهدته هذه المناطق من صراع عنيف ومشكلات أمنية⁽¹⁾.

أ- فبالنسبة لمنطقة القوقاز:

- اعتبر المشاركون أنّ المشكلة، الممتدة بين مختلف شعوب المنطقة، لم تحظ باهتمام إعلامي، الأمر الذي سبّب غيابها عن الرأي السياسي العالمي.

- وبالنظر إلى عدد ضحايا هذه الحرب، والمعتبر جداً، أطلق المشاركون نداءً إلى كل الحكومات والمؤسسات، والجمعيات الإنسانية، وكذا إلى وسائل الإعلام، طالبت بأنّ يعمل كل في إطار مسؤوليته على وضع نهاية لحوض الدماء المؤلم.

- وبغية تنمية حضارة المحبة، طالب المشاركون بأخذ المبادرات مع السلطات السياسية والدينية، ومطالبتها بالعمل على رفع الحواجز التي تقف في سبيل تحقيق السلام في المنطقة⁽²⁾.

- وعبر المشاركون عن أملهم في إنشاء منظمة دائمة، تضمّ كلاً من روسيا وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا، والكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية الرومانية، والهيئات الإسلامية من أجل تحويل هذه التوايا إلى أعمال.

- كما طالب المشاركون بتأمين الإعلام في أوروبا والعالم بطريقة جدية وواضحة، عن الحرب في القوقاز، حتى يعي العالم حجم المعاناة التي تعرّضت لها شعوب المنطقة، وإيجاد حلّ سريع معتبرين هذا الأمر ضرورة بالغة الأهمية⁽³⁾.

ب- وفيما يخص منطقة السودان:

- طالب المشاركون بإنشاء فريق عمل، يتألف من بعض المنظمات والشخصيات، تكون مهمته الإشراف ومراقبة الأعمال الآتية:

- الاهتمام بالاحتياجات عند السودانيين كأولوية، بغض النظر عن الديانة، أو الانتماء الثقافي.

- تنفيذ المشاريع ذات المدى الطويل في المجالات التالية:

* إعادة الخلفات الصحية والاجتماعية إلى الوضع السليم.

* برامج التربية.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 322.

² - المرجع نفسه، ص 323.

³ - المرجع نفسه، ص 328.

* تشجيع الحوار والتفاهم بين الشعب السوداني.

* المساعدة على مشروع السلام، المؤسس على قاعدة العدالة والتسامح المتبادل، والمساعدة على إعادة بناء البلاد⁽¹⁾.

ج- أما فيما يخص الكويت والعراق:

- اقترح المشاركون، وخاصة الجهة المنظمة "الفدرالية الإيطالية للرحمة" بالاتفاق مع باقي المنظمات الإنسانية، تنظيم حملة إعلامية لنقل الظروف المأساوية للشعب العراقي (حرّاء الحصار العالمي)، هذه الحملة لها هدف آخر، هو جمع التبرعات والمساعدات الإنسانية وإرسالها إلى الشعب العراقي، وفي هذا الموضوع طالب المشاركون بوضع برنامج مساعدة يخصّص للأطفال والمسنين، وأوضح المشاركون أنّ إلغاء هذه المساعدات ستكون له نتائج كارثية على الشعب العراقي.

- تعيين لجنة دولية إسلامية- مسيحية، يكون هدفها العمل على تحرير الأسرى الكويتيين، وتنظيم الأشكال المؤقتة للتضامن مع عائلاتهم⁽²⁾.

13- لقاء بتايا- تايلاندا-: من 1 إلى 5 أوت 1994م، وقد دعا إلى تنظيمه المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وكان موضوعه "التآلف بين المؤمنين أصحاب العقائد الحية"، وقد شارك في اللقاء 31 مسلماً ومسيحياً، من أندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاندا⁽³⁾. وقد ناقش المشاركون المواضيع التالية:

أ- ضرورة الحوار:

اعترف المشاركون في اللقاء بضرورة الحوار الموجود بين المسلمين والمسيحيين، الذي يهدف إلى زيادة التفاهم والاحترام، والتنسيق بين المخلصين من الجانبين، وكمجال للحوار دعا المشاركون إلى الابتعاد عن الجدالات اللاهوتية، والتركيز على الحوار في مجال العمل، حيث يفترض أن يرفع المسلمون والمسيحيون التحدي أمام مشكلات الحياة المعاصرة. ، كما أجمع المشاركون على أنّ الواجب يقتضي تصحيح التصورات المقدمة من كل طرف عن دين الآخر⁽⁴⁾.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 330 .

² - المرجع نفسه، ص 333 .

³ - المرجع نفسه، ص 271.

⁴ - المرجع نفسه، ص 272 .

ب- وحدة القيم:

وقد أكد المشاركون على أن جنوب شرق آسيا منطقة تتميز بالتعددية بطبيعتها، ولكن رغم الاختلافات الدينية، واللغوية، والثقافية، يمكن أن نسجل وحدة في القيم وفي الأحاسيس، والتي تعبر عن نفسها كثيراً عبر طرق مختلفة، إن الوصول إلى فهم التناسق والتناغم الموجود في الكون، وفي داخل النفس البشرية، هدف كبير تسعى شعوب المنطقة منذ قرون إلى تحقيقه⁽¹⁾.

ج- تحديات العصرنة:

إن منطقة جنوب شرق آسيا، تخوض تجربة عميقة للعصرنة تشمل المجالات التكنولوجية والنمو الاقتصادي، الأمر الذي فرض تحولاً سريعاً في المجتمع، وفي طريقة فهم الهدف من الحياة والعلاقات الإنسانية، وبالرغم من الاعتراف بالمزايا التي تقدمها الحياة المعاصرة للبشرية، فإن على المسلمين والمسيحيين أن يواجهوا آثار العصرنة، والتي يرونها غير منسجمة مع مبادئهم، ويجب أن لا تكون مواجهتهم لآثار العصرنة مجرد ردود أفعال سلبية، يجب أن تكون في مواقف خلاقة وأصلية، والتي تبرز أن الإنسان والعالم صنع الله⁽²⁾.

وانطلاقاً من إيمانهم، لا يمكنهم أن يقبلوا بدون شروط آثار الحياة المعاصرة، إن الرؤية العلمانية تهدف إلى اقتلاع الإنسان من جذوره، وجعل الدين على هامش الحياة، وفرض فردانية قاتلة، وهي نظرة مستوردة من الغرب (أوروبا وأمريكا)، إن الأشكال المحلية للحياة الجماعية وروح التضامن، تبدو مهددة بترك مكانها أمام منافسة القيم الغربية لها⁽³⁾.

د- المشكلات المسجلة:

رفع المشاركون قائمة ببعض المشكلات الأساسية، والتي طالبوا من خلالها بإيجاد إجابات لها وهي كالآتي:

* فقدان العدالة الاجتماعية والاقتصادية، لأن ثمار التقدم بين أيدي أقلية، في حين أن الأغلبية مستغلة ومهمشة.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 272 .

² - المرجع نفسه، ص 272 .

³ - المرجع نفسه، ص 273 .

* إن وسائل الإعلام تملك مصادر مذهلة من أجل تطوير، وتنمية التفاهم والاحترام بين المؤمنين، ولكنها في بعض الأحيان، تعتمد إعطاء صورة قائمة عن الآخر، وإشاعة الخوف والأحكام المسبقة.

* إن الأزمة الأيكولوجية-البيئية-تضرب بقوة جنوب شرق آسيا، ويجب أن تسترعي انتباه المسلمين والمسيحيين.

* إن الفقر دفع عدداً كبيراً من سكان جنوب شرق آسيا إلى الهجرة، الأمر الذي تسبب كثيراً في تفكك الأسر، وعرض المهاجرين لكل أشكال الاستغلال.

* إن كل أشكال الاستغلال التي تتعرض لها النساء والأطفال، في ميادين العمل والجنس، تمثل شراً يجب منعه بالقانون.

* إن التلاعب بالقانون والرشوة تهدد المجتمعات، وتعطل العمل والخدمات العامة⁽¹⁾.

هـ - معوقات الحوار:

يلقى المسلمون والمسيحيون معوقات للحوار فيما بينهم، والتي يجب عليهم أن يتجاوزوها إن كانوا يحرصون معاً على بناء مجتمع متآلف ومتجانس، وإن المعوقات ترجع عموماً إلى صور خاطئة وأحكام مسبقة، كرها كل طرف عن دين الآخر. إن غياب الإعلام النظيف والمعرفة الناشئة عن التعايش قد زادا من المخاوف وضاعفا من الصعوبات⁽²⁾.

إن أسباب الخوف من الحوار ترجع إلى جذور تاريخية واجتماعية، ترجع إلى عهود بعيدة، وإلى الاستعمار، وهي التي تحدّد نظرة كل فريق إلى الآخر، فالأقليات تخشى من سيطرة الأغلبية سياسياً واقتصادياً، وإن التنشئة والتربية في الأسرة يمكن أن تلعب دوراً أساسياً لتحسين الصورة التي يجب أن يحملها الجيل الجديد عن ديانة الآخر⁽³⁾.

ولهذا الغرض فالجدير بالاهتمام هنا، هو تشجيع المسلمين والمسيحيين الذين انطلقوا في عملية التحوّل، ويحرصون على الاستمرار فيها، ولكي تكون المواقف أصيلة يجب أن يتبنى الحوار الأشخاص الأكثر تجذراً في عقيدتهم وممارستهم لديانتهم.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 273 .

² - المرجع نفسه ، ص 273 .

³ - المرجع نفسه ، ص 273 .

كما أنّ التيارات الإقصائية والمتشدّدة تشكّل عائقاً آخر للحوار، حيث يبيّن المشاركون أنّ المسلمين والمسيحيين بحاجة إلى دراسة المجتمعات، كما أنّ التشدّد واللاتسامح، قد أكّد كل من القرآن والإنجيل على رفضها، لأنهما يقودان إلى العنف وانتهاك حقوق الآخرين⁽¹⁾. وأكّد المشاركون على حقّ كل شخص في فهم وممارسة عقيدته على حسب قناعاته، وعلى أنّ الدّين يدعو إلى أن يكون عامل قوّة وبناء داخل مجتمع متآلف، لا عامل فرقة وهدم.

و- الأسرة:

في هذه السنة (سنة الأسرة) عبّر المشاركون عن تخوّفهم من التّهديدات التي تمسّ القيم الأسرية، وآكّدوا على أنّ الأسرة المتجدّدة في الحبّ والوفاء، هي الخلية والقاعدة لأيّ مجتمع، وعلى اعتراضهم على كل الجهود والمحاولات الرّامية إلى ترسيخ الفردانية القاتلة، وآكّدوا على أنّ التعريف التقليدي للأسرة هو: اتحاد شخصين من جنسين مختلفين، رجل وامرأة، وعبّسوا عن اعتراضهم ورفضهم لكل الجهود المبذولة من أجل ترسيخ زواج المثل، وانطلاقاً من قناعاتهم الدّينية عبّر المشاركون عن رفضهم للأجهزة كطريقة لمراقبة نمو عدد السّكان، وآكّدوا على مسؤولية وحقّ الآباء في تربية وتوجيه أولادهم جنسياً، بما يتلاءم مع معتقداتهم⁽²⁾.

ي- فوائد الحكومات من الحوار:

إنّ الحوار بين الأديان يمثل مرتكزاً للحكومات، يتماشي مع رغبتها في بناء مجتمعات تعدّدية، أو شعوب من أعراق، ومن لغات، وثقافات، وديانات مختلفة. إنّنا جميعاً، مسلمون ومسيحيون، نأمل في وحدة متألّفة⁽³⁾ ووحدة تميّز بـ:

- السّلام وليس بالحرب.
- بالتآلف بين جماعاتها وليس بالتوترات.
- بالاحترام المتبادل وليس بالخوف وانعدام الثقة.
- بالعدالة، وليس بالاستغلال.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، ص 274 .

² - المرجع نفسه، ص 274 .

³ - المرجع نفسه، ص 274 .

وقد شهدت الفترة الممتدة من سبتمبر 1994 إلى سبتمبر سنة 1996، عدّة لقاءات إسلامية مسيحية، وأخرى متعدّدة الأطراف يمكن تصنيفها كالآتي:

1- ستة عشرة لقاء (14) بإفريقيا: وهي لقاء الخرطوم بالسودان في 8، 9، و 10 أكتوبر 1994 ولقاء كوناكري- غينيا- في 7 و 8 أكتوبر 1994، ولقاء الدّار البيضاء بالمغرب من 15 إلى 19 جويلية 1995، ولقاء قرطاج بتونس من 21 إلى 22 أبريل 1995⁽¹⁾.

- ستة لقاءات (06) بأوروبا وهي:

- لقاء فيينا (بالنمسا) يوم 7 و 8 أكتوبر 1994.

- لقاء باريس (فرنسا) من 12 إلى 13 أكتوبر 1994.

- لقاء (برلين) من 6 إلى 10 نوفمبر 1994.

- لقاء باريس (فرنسا) يوم 21 جانفي 1995.

- لقاء موفو (فرنسا) من 25 إلى 26 مارس 1995.

- لقاء غرناطة (إسبانيا) من 3 إلى 7 جوان 1995.

- خمسة لقاءات (05) بقارة آسيا وهي:

- لقاء مانيلا (الفلبين) يوم 15 أكتوبر 1994.

- لقاء طهران (إيران) من 30 إلى 2 نوفمبر 1995.

- لقاء البلمند (لبنان) من 24 إلى 28 ماي 1995.

- لقاء بومباي (الهند) نوفمبر 1995.

- لقاء البلمند (لبنان) من 1 إلى 7 سبتمبر 1996⁽²⁾.

- لقاء واحد بأمريكا وهو:

- لقاء جورج طاون (و.م.أ) من 5 إلى 6 أبريل 1995.

2- سبعة لقاءات (07) ثلاثية الأطراف وهي التي جمعت كلاً من المسلمين والمسيحيين واليهود، وكانت وموزعة كالآتي:

- لقاء واحد بإفريقيا: وهو لقاء قرطاج- تونس- من 21 إلى 22 أبريل 1995.

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 20، 1994، وعدد 21، 1995.

² - دراسات إسلامية مسيحية عدد 22، 1996 ص 263.

- ستة لقاءات بأوروبا (06) وهي:
 - لقاء تولوز (فرنسا) يوم 28 و 29 جانفي 1995.
 - لقاء باريس (فرنسا) يوم 19 فيفري 1995.
 - لقاء تولاد (إسبانيا) يوم 6 و 7 نوفمبر 1995.
 - لقاء كلارمون فيرون (فرنسا) من 21 إلى 26 نوفمبر 1995.
 - لقاء روما (إيطاليا) يوم 26 جانفي 1996⁽¹⁾.
 - لقاء أنجار (فرنسا) يوم 7 فيفري 1996.
 - 3- ستة لقاءات (06) متعددة الأطراف، موزعة كآتي:
 - خمسة لقاءات بأوروبا وهي كآتي:
 - لقاء أسيزي: (إيطاليا) من 11 إلى 13 سبتمبر 1994، حضره أكثر من 300 مشارك من مختلف الديانات.
 - لقاء روما من 6 إلى 9 نوفمبر 1994، حضره أكثر من 900 مشارك من 70 بلداً و 14 ديانة.
 - لقاء برشلونة من 12 إلى 18 ديسمبر 1994.
 - لقاء كوبنهاجن (الدانمارك) يوم 8 مارس 1995.
 - لقاء واحد (01) بآسيا وهو:
 - لقاء طشقند (أوزبكستان) من 9 إلى 12 أكتوبر 1995⁽²⁾.
- وكل هذه اللقاءات المذكورة لم تصدر عنها بيانات مشتركة يمكن الرجوع إليها. وفي ختام الحديث عن المؤتمرات التي عقدت في هذه الفترة، وهي العشرية الثالثة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني نسجل الآتي:
- جرى في هذه الفترة عقد أكثر من مائة وخمسين (150) مؤتمر إسلامي دولي في مختلف بقاع العالم، في أوروبا، آسيا، أمريكا وإفريقيا، وهو ما يشهد على تسارع وتيرة عملية الحوار

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 22، 1996، ص 265.

² - دراسات إسلامية مسيحية عدد 21، 1995، ص 234.

الإسلامي المسيحي، وما يقتضيه هذا التسارع من إمكانات مادية كبيرة، من حقّ الباحث أن يسأل عن مصدرها.

- إنّ المواضيع التي طرحت للبحث والمناقشة كانت متماشية مع التطوّرات التي عرفتتها المجتمعات لتلك الفترة، تتعلق بحقوق الإنسان عموماً وحقوق المرأة، والحرية الدينية، وحقوق الأقليات، ثمّ مشكلة الأقليات وما نتج عنها، ثمّ موضوع السّلام نظراً لما شهده العالم في تلك الفترة من صراعات إقليمية ودولية.

المبحث الرابع: الحوار بين الفاتيكان والأزهر:

المطلب الأوّل: العلاقات بين الفاتيكان والأزهر:

إنّ محاولات إقامة علاقات حوار ثنائية، من جانب الفاتيكان مع الأزهر الشريف قديمة، كانت بدايتها في عهد الرّاحل الإمام عبد الحليم محمود، فقد طلب منه الكاردينال بينادولي إجراء حوار حول نظم التعليم والعمل الاجتماعي و الخدمات العامة، واللقاءات الخاصة من أجل هدف مشترك مثل السّلام، والسّلام من أجل الضعفاء والمنكوبين، أو من أجل السّلام والتضامن وتبادل الخبرات والتعاون الثقافي وغيرها...⁽¹⁾

وفي سنة 1978 تلقى رحمه الله رسالة من الدكتور (ميجيل ايبالثا)، سكرتير عام "جمعية الصّداقة الإسلامية- المسيحية في إسبانيا" جاء فيها:

"يسرّ جمعية الصّداقة الإسلامية-المسيحية في مدريد أن تتوجّه إلى فضيلتكم لتشرف بإخباركم بما استقر عليه الرأى من انعقاد "مؤتمر قرطبة العالمي الإسلامي- المسيحي الثالث عام 1979م" وقد رأت إدارة الجمعية اختيار موضوع: "محمد وعيسى ملهمان للقيّم الاجتماعية المعاصرة" ليكون محور اللقاء الإسلامي المسيحي المقبل، والمقصود أن يشرح المسلمون اليوم كيف يعبر النبيّ محمد- صلى الله عليه وسلم- عن هذه القيم المعاصرة بالنسبة لمسلمي اليوم، سواء برسائله أو عقيدته ودعوته أو شخصيته وسلوكه ونفسيته المثالية، بينما يشرح المسيحيون كيف يعبر عيسى - عليه السّلام- عن القيم الاجتماعية نفسها عند مسيحيي اليوم.

¹ - د/ عبد الودود شلبي: الحوار أسرار وخفاياه. دار المعالم الثقافية القاهرة مصر (د.ت) ص 16.

2- زيارة وفد من الفاتيكان للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة والأزهر الشريف، من 9 إلى 16 سبتمبر 1974م، كان يقود الوفد الكاردينال بينادولي، رئيس الأمانة العامة للعلاقة مع غير المسيحيين، وأثناء الزيارة عقدت عدة لقاءات، انتهت ببيان مشترك، أظهر فيه الجانبان اهتمامهما بعدة قضايا: الأسرة، القيم الدينية ومواجهة الشك والتمرد، السلام ومصلحة الديانتين في توطيده، السلام في الأراضي المحتلة وعلى رأسها القدس⁽¹⁾.

3- زيارة الكاردينال بينادولي مع وفد من أمانة السر، للأزهر الشريف بتاريخ 11 إلى 14 أبريل 1978، وكانت هذه المرة الأولى التي تلتقي فيها قيادات أكبر مؤسستين دينيتين في العالم الإسلامي والمسيحي وعقد لقاء أثناء هذه الزيارة بين الوفد المسيحي، والقيادات العلمية والدينية للأزهر يرأسها د/عبد الحليم محمود-رحمه الله- شيخ الأزهر آنذاك وتباحث الجانبان الموضوعات التالية:

- الإيمان بجميع الأنبياء.
- السلام في الإسلام والمسيحية.
- التعاون والتضامن.
- تحسين معرفة المسيحيين بالإسلام، ومعرفة المسلمين المسيحية.
- العمل من أجل تحقيق العدل.
- حماية المجتمعات من الانحراف والإلحاد⁽²⁾.

تواصلت الجهود من علماء المسلمين والمسيحيين، فأنشئت جمعيات واتحادات متعددة، لترسيخ الحوار بين أصحاب الديانتين، ولقد بدأ الفاتيكان بالمبادرة، فأنشأ المجلس للحوار بين الأديان، وصدرت وثائق عدة، تمت لقاءات مكثفة مع مؤسسات من مختلف الشعوب والأقطار الإسلامية، ولعل أهمها اللقاء بين المجلس البابوي للحوار بين الأديان السماوية بالفاتيكان، وبين اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية، وتوقيع اتفاق الحوار الذي على أساسه أنشئت اللجنة الدائمة للأزهر في 1998/05/28. ولقد كانت خطوات مهدت لتأسيس هذه اللجنة.

¹ - حوليت حداد: البيانات الإسلامية المسيحية المشتركة، ص 64 و 65.

² - المرجع نفسه، ص 120-121-122.

المطلب الثاني: التمهيد لإنشاء الإطار المؤسّس للحوار بين الأزهر والفاطيكانيان: لم يأت إنشاء اللّجنة الدّائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية من فراغ، وإتّما سبقت تأسيس هذه اللّجنة، جهود متنوّعة جاءت في شكل لقاءات ومراسلات من جهات وشخصيات دينية مهّدت السّبيل إلى تأسيسها، ووضع المبادئ التي تحكم عملها وأهدافها، وآلياتها، وصولاً إلى توقيع مؤسسة الأزهر لاتفاقيتين للحوار: إحداهما مع الفاتيكانيان، والثانية مع الكنيسة الأسقفية "الأبجلكانية".

وقد بدأت الخطوة الأولى في هذه الجهود أثناء زيارة شيخ الأزهر السّابق (الإمام جاد الحق علي جاد الحق)، لمدينة برن بسويسرا للعلاج، حيث قام الكاردينال (KOUNG) كينج، كاردينال فيينا وعضو الكلية المقدّسة بالفاطيكانيان، ومؤسسة ADIC (جمعية الحوار الإسلامي المسيحي)، ممثلة في رئيسها الدكتور علي السّمان، بزيارة الشيخ وتنظيم عدّة لقاءات غير رسمية معه في شهر أفريل من سنة 1994م، ولّدت جواً من الثّقة، بين جميع الأطراف، ساعد على البدء في بناء علاقات التفاهم والتعاون في مجال الحوار الإسلامي-الفاطيكاني، بين المؤسّستين الأزهر والفاطيكانيان⁽¹⁾.

أما الخطوة التّالية على طريق تأسيس اللّجنة الدّائمة للحوار بالأزهر، فتمثّلت في المؤتمر التي نظّمته جمعية الحوار الإسلامي ADIC في السوربون بباريس في جوان 1994، والذي جمع ممثلاً عن الأزهر هو الدكتور محمود جمدي زقزوق، عميد كلية أصول الدين بالأزهر حينها، والكاردينال فرانسيس كينج، وكبير حاخامات باريس صموئيل صراط، وقد أصدر هذا المؤتمر توصية هامة وذات مغزى تقول:

بالتّسبة للأخطار التي تهدّد الحوار الدّيني، فإنّ المؤتمر يطالب بوضع نهاية لخلط الإرهاب والتعصّب مع الإيمان والدّين، وما يتعلق بالصّورة القائمة والمشوّشة للإسلام في الغرب، مع ضرورة إبراز الوجه الحقيقي والصّادق للإسلام للعالم غير المسلم، ذلك الوجه الذي يتّسم بالتسامح والأخوة⁽²⁾.

¹ - نشرة صادرة عن اللّجنة الدّائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية. بالّلغة الفرنسية بعنوان:

UN PAS VERS UN SOMMET INTERRELIGIEUX . P . 12 ET 13 .

² - د/ فوزي خليل: بحيرات الحوار الإسلامي المسيحي: مجلة الإقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة مصر 2002 ص3

وكانت هذه التوصية موضع نقاش ضمن موضوعات أخرى، تتعلق بضرورة التعاون الإسلامي - المسيحي، في اللقاء المنعقد بين الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر السابق، والكاردينال أرنزي، رئيس المجلس البابوي للحوار الديني بالفاتيكان، وذلك في الثاني من ماي 1995/05/2م، بالأزهر الشريف، وفي هذا اللقاء اقترح الكاردينال أرنزي على شيخ الأزهر بأنه يمكن للأزهر والمجلس البابوي للحوار الديني بالفاتيكان أن يلتقيا لبحث إمكانية إيجاد لجنة اتصال دائم فيما بينهما، وقد كان هذا الاقتراح موضع تأكيد في رسالة بعث بها الكاردينال أرنزي إلى شيخ الأزهر في جانفي سنة 1996⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الإطار المؤسسي والإجرائي بين الأزهر والفاتيكان:

سعيًا إلى تحقيق الرغبة المشتركة بين الأزهر والفاتيكان، في إقامة علاقات التعاون والحوار بين المؤسستين، وباعتبارهما للأزهر الشريف من مكانة وأهمية في العالم الإسلامي، ولتاريخه ودوره المميز علمياً وأخلاقياً في المجتمعات الإسلامية، ونظراً لما يمثله الفاتيكان من سلطة دينية عليا ذات تأثير ونفوذ عالين في الدول الغربية، والمجتمعات التي تدين بالمذهب الكاثوليكي، كان العمل على تأسيس قناة أو آلية تتولى الاتصال وتنسيق العلاقات بين الأزهر والفاتيكان، ونظراً لأن المؤسسة الأخيرة كان لديها بالفعل هذه الآلية، ممثلة في المجلس البابوي للحوار بين الأديان، فكان الأزهر معنياً بوضع كيان مؤسسي يقابل المجلس البابوي، كي ينهض كل منهما بعلاقات الحوار والتعاون، نيابة عن الأزهر والفاتيكان.

ولذلك أقدم الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر الحالي، على اتخاذ عدة قرارات لوضع وتشكيل الإطار المؤسسي والإجرائي، والتصور القانوني، والأسس التي يقوم عليها هذا الإطار، ومجال نشاطه وأهدافه، ومن ثم تشكلت لجنة تحضيرية لوضع تصور مشروع اتفاق خاص بإعلان المبادئ لما سمي: "اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفاتيكان لحوار الأديان"⁽²⁾.

¹ - النصّ المترجم لرسالة رئيس المجلس البابوي الكاردينال فرنسيس أرنزي إلى الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق، في 21/01/1996 (ملحق رقم 1)

² - قرار شيخ الأزهر رقم 418 لسنة 1997، والذي اعتمد في 21/06/1997. (ملحق 2).

ورداً من الأزهر الشريف على الاقتراح السابق من قبل الكاردينال أرنزي، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان، الخاص بإنشاء لجنة اتصال دائم بين الأزهر والفاتيكان، فقد أصدر الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً يضع الأساس القانوني للكيان المؤسسي الذي يمثل الأزهر الشريف، في القيام على علاقات الحوار بين أصحاب الأديان السماوية، وانتهى هذا القرار إلى الآتي:

- أولاً:

تشكيل لجنة دائمة لحوار الأديان السماوية تكون مهمتها توفير الإطار المتخصص، والمقابل للمؤسسات الدينية العالمية التي تعمل في مجال حوار الأديان السماوية، تدعياً لدور الأزهر في نشر صورة الإسلام الصحيحة على الساحة العالمية، وتتكون اللجنة من الشخصيات التالية:

- 1- وكيل الأزهر [في حينه] ممثلاً لشيخ الأزهر رئيساً.
- 2- السيد رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية نائباً للرئيس.
- 3- الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضواً.
- 4- عضو من مجمع البحوث الإسلامية، يكون مجيداً للغة الإنجليزية، ويعمل في المجالات الثقافية بالخارج وفي الجامعات المصرية، يتم اختياره من طرف الأزهر عضواً.
- 5- رئيس الإدارة المركزية للشؤون القانونية والمشرف على مكتب شيخ الأزهر⁽¹⁾ أميناً للجنة الحوار.

- ثانياً:

تشكيل لجنة فرعية للاتصال، بين الأزهر والمجلس البابوي لحوار الأديان، ومتابعة تنفيذ المشروعات والقرارات التي تتخذها اللجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية، وإعداد جدول أعمال للاجتماعات وعرض تقاريرها (أولاً بأول) على اللجنة الدائمة.

- ثالثاً:

يُضمُّ إلى اللجنة الدائمة، أو اللجنة الفرعية للاتصال، خبراء بصفاتهم الشخصية لمساعدة هذه اللجان والتعاون معها في تحقيق أهدافها⁽²⁾.

¹ - قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم 722 لسنة 1997 والمعتمد في 1997/9/8 (انظر ملحق رقم 3) ص 1

² - المرجع نفسه ص 2.

وبهذا تكونت اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية، بتشكيلتها السابقة، لتكون أداة مؤسسية تقوم على إدارة وتنسيق علاقات الحوار مع أصحاب الأديان السماوية عموماً، ومع الفاتيكان خصوصاً، وهذه اللجنة تتسم بالخصائص التالية:

1- لجنة دائمة للحوار بين أصحاب الأديان السماوية، دون تخصيص، فهي وإن كان إنشاؤها بسبب اللقاءات المتكررة مع الفاتيكان، فإنها لا تقتصر في عملها على الحوار بين الأزهر والفاتيكان، بل هي لجنة مفتوحة على الأديان السماوية عموماً، ذلك أن الإيمان بضرورة الحوار بين الأديان السماوية، والتعاون فيما بين المؤسسات التي تمثلها من أجل مصلحة الإنسانية صار أحد الاتجاهات البارزة في الأزهر الشريف⁽¹⁾.

2- تعتبر اللجنة الدائمة، للأزهر لحوار الأديان السماوية، مؤسسة من مؤسسات الأزهر الشريف متخصصة في هذا المجال، ولذلك فهي تمثل الإطار المقابل للمجلس البابوي لحوار الأديان بالفاتيكان، وللإطار المماثل داخل الكنيسة الأنجليكانية، الأمر الذي يدعم الصورة والوزن العالمي للأزهر الشريف⁽²⁾.

3- استقلال قيادة وإدارة الحوار بين الأزهر الشريف والفاتيكان، من خلال اللجنة المشتركة، المكونة من اللجنة الدائمة للحوار بالأزهر والمجلس البابوي لحوار الأديان، وينطبق هذا على أعمال لجنة الاتصالات الفرعية⁽³⁾.

المطلب الرابع: تأسيس اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفاتيكان:

بعد تشكيل الأزهر الشريف للإطار المؤسسي السابق (اللجنة الدائمة بالأزهر لحوار الأديان السماوية)، اتفق الطرفان، الأزهر والفاتيكان، على تكوين لجنة حوار مشتركة بين كل من لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين بالمجلس البابوي للحوار مع الأديان بالفاتيكان، وبين اللجنة الدائمة بالأزهر للحوار مع الأديان السماوية، ويرأس اللجنة المشتركة كل من الكاردينال رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، ووكيل الأزهر. وتضم اللجنة، فضلاً عن الرئيسين، أمين

¹ - مذكرة وكيل الأزهر في شأن المبادئ العامة للجنة الدائمة لحوار الأديان السماوية المعتمدة في 1997/9/8،

والمنظورة من طرف الإمام الأكبر شيخ الأزهر في التاريخ نفسه (انظر ملحق 4) ص 1.

² - ملحق 4، ص 1.

³ - المرجع نفسه، ص 2.

سراً مشترك وثلاثة أعضاء (من كل جانب كحدّ أقصى)، ويمكن للرئيسين تعيين أعضاء ينوبون عنهما في رئاسة الاجتماعات، ويقوم كل طرف بتشكيل وفد لكل دورة، مع إمكانية الاستعانة بخبراء، حسب طبيعة الموضوعات التي تطرح للمناقشة، على أن يقوم كل طرف بإفادة الطرف الآخر بتشكيل وفده⁽¹⁾.

وتجتمع اللجنة المشتركة مرّة على الأقل كل عام، في القاهرة وفي روما، على التناوب، وبحق لكل من الرئيسين أن يقترح عدّة اجتماعات إضافية على مستوى الرؤساء، أو إعداد اللقاءات إذا اقتضت الضرورة ذلك، ويتم اختيار موضوع لكل اجتماع، وتتاح الفرصة للمشاركين لتناول مسائل ذات اهتمام مشترك⁽²⁾ وبعد الفراغ من كل اجتماع يتم نشر بيان صحفي، ويجب أن ينال هذا البيان موافقة اللجنة المشتركة قبل نشره، ولا يفصح عن أي معلومات حول أوراق العمل المقدّمة للجنة، إلّا بموافقة الطرفين⁽³⁾.

وقد عقدت اللجنة المشتركة للحوار اجتماعها الأوّل في روما، بمقر المجلس البابوي للحوار بين الأديان، وترأس الكاردينال فرانسيس أرنزي، رئيس المجلس البابوي للحوار، الجانب المسيحي الكاثوليكي، كما ترأس الشيخ فوزي فاضل الزفزاف، وكيل الأزهر حينها، ورئيس لجنة الأزهر الدائمة لحوار الأديان السماوية، الجانب الأزهر، وشارك في جلسة العمل الدكتور علي السّمان، نائب رئيس اللجنة من جانب الأزهر، والمطران مايكل لويس فينر جيرالد، أمين سرّ المجلس البابوي للحوار بين الأديان من جانب الفاتيكان، وكذا أعضاء من الجانبين⁽⁴⁾.

وفي هذا الاجتماع الأوّل تقرّر تشكيل لجنة فرعية تكون مهمتها الإعداد للاجتماعات من حيث تحديد الموضوعات، واختيار المكان، وتمّ اختيار نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر،

¹ - النصّ العربي للاتفاق بين المجلس البابوي للحوار بين الأديان والفاتيكان وبين اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية لانشاء لجنة حوار مشتركة في 1998/05/28. (انظر ملحق رقم 5) ص 3.

² - المرجع نفسه .

³ - ملحق رقم 5 ص 4.

⁴ - محضر الاجتماع الأوّل للجنة المشتركة للحوار (بروما) في 1998/05/28 و (انظر ملحق رقم 6).

وأمين سرّ المجلس البابوي أعضاء في هذه اللجنة، ويضاف عضوان آخران عند اقتضاء الضرورة ذلك⁽¹⁾. وبهذا اكتمل الإطار المؤسسي والآليات الإجرائية لعلاقات التعاون والحوار، بين الأزهر الشريف والفاتيكان، فما الأهداف والمهام الخاصة بهذا الإطار ؟

مهام اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفاتيكان وأهدافها:

بعد تشكيل اللجنة المشتركة للحوار على النحو السابق، بدأت أولى خطواتها على طريق إنجازاتها، وتمثلت في عقد اجتماعها الأول المشار إليه، وقد تبع هذا الاجتماع توقيع اتفاق الحوار بين المجلس البابوي للحوار بين الأديان و اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان، الذي أنشئت بمقتضاه اللجنة المشتركة للحوار في 1998/05/28 في روما، والجدير بالذكر هنا، أن هذا الاتفاق حصيلة جهود مكثفة من قبل جهات شاركت في صياغته ومناقشته وتعديل بنود مشروعه، مثل لجنة الاتصال ومجمع البحوث الإسلامية (بالأزهر)، والمجلس البابوي والسفارة المصرية بالفاتيكان⁽²⁾.

ولقد حوى نصّ الاتفاق بين اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، الإطار العام لأهداف اللجنة المشتركة للحوار، والمتأمل في هذه الأهداف كما تبينها وثيقة الاتفاق بين الأزهر والفاتيكان، يجد أنها انطلقت من الالتزام السابق للكاردينال فرانسيس أرنزي في رسالة بعث بها إلى شيخ الأزهر السابق (جاد الحق علي جاد الحق)، والتي التزم من خلالها بالمساهمة في إظهار الوجه الحقيقي والصّادق للإسلام في العالم المسيحي، ذلك الوجه الذي يتسم بالتسامح والأخوة، ذلك أن الإرهاب والعنف لا يمثلان الوجه الحقيقي للإسلام، فالمسلمون الحقيقيون يعملون من أجل السّلام، ويتقبلون المؤمنين الآخرين⁽³⁾.

¹ - محضر الاجتماع الأول للجنة المشتركة للحوار (بروما) في 1998/05/28 و (انظر ملحق رقم 6).

² - المشروع المبدئي (لإنشاء اللجنة المشتركة) الذي وضعته وأقرته لجنة الاتصال واعتمده شيخ الأزهر في 1997/06/29 (انظر ملحق رقم 7).

³ - ملحق رقم 1.

ويمكن إجمال أهداف اللجنة ومهامها كالآتي:

1- تدعيم المعرفة السليمة للديانتين المسيحية والإسلامية، لكي يتحقق الفهم الصحيح لعقائد كل ديانة وعبادتها من قبل الطرف الآخر⁽¹⁾. وهذا معناه السعي لمحو الآثار السلبية والفهم المغلوط الذي يحمله الغرب، لأسباب سبق التعريف بها، وإدانة الممارسات الإجرامية والعنف الذي يرتكب باسم الإسلام، وعلى هذا فإنّ تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم يعد مسؤولية المسلمين وحدهم، بل مسؤولية من يعمل في مجال حوار الأديان، مسلمين أو مسيحيين، ولا شك أنّ هذا الهدف يكتسب أهمية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، وما تركته من آثار سلبية على الإسلام والمسلمين في الغرب، ولهذا جاء في وثيقة الاتفاق القول بضرورة إعطاء المسيحيين الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، مع استبعاد الافتراءات و الادعاءات الباطلة التي تتعرض لها الأديان، وتنمية النتائج الإيجابية التي يسفر عنها الحوار.

2- العمل على تحقيق القيم والأهداف المشتركة للأديان السماوية، مثل العدل ورفض الظلم، الأخوة والمساواة، التعاون ورفض الأنانية والقهر والعنف والإرهاب، تدعيم السلام، وقد عبّرت وثيقة اتفاق الحوار بين الأزهر والفاطيكاني عن هذا الهدف بـ: "السّهر على أن تؤدي الأديان السماوية الدور الخلقى بها في المجتمعات البشرية لتشجيع الإخاء والتّضامن والتّعاون والعدالة والسلام، في سبيل حلّ المشكلات الإنسانية، ومن أجل التصدي للتطرف الدّيني بوصفه تعبيراً عن التّبذ، ومصدراً للكره والعنف والإرهاب"⁽²⁾.

3- ترسيخ احترام الأديان، خاصة ونحن في عصر تزداد فيه تيارات الإلحاد يوماً بعد يوم، فالصّراع لم يعد بين أصحاب الديانات، وإنّما بينهم وبين الملحدّين، وأنّ المسلمين والمسيحيين أقرب الناس إلى بعضهم البعض، وأنّهم أصحاب رسالة في العالم، ولا تقدّم للطرفين بدون بعضهما البعض، وأنّ هناك كثيراً من الموضوعات المشتركة في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية يمكن مناقشتها، والتّحاور حولها، وكما أكّد المجمع الفاتيكاني سنة 1965، أنّ على المسيحيين احترام المسلمين، وأنّ يولّوهم كل الاحترام، وأنّ المسلمين والمسيحيين يعبدون الإله الواحد، خالق السّماوات والأرض القدير الرّحيم، والذي تكلم مع البشر، وأنّ المسلمين

¹ - أنظر ملحق رقم 5، البند الأول ص 2.

² - ملحق رقم 5 البندين 2 و 6 ص 2 و 3.

والمسيحيين على السواء يجتهدون لكي يخضعوا لأوامر الله تعالى، وهم يستندون في إيمانهم إلى إيمان إبراهيم أبي الأنبياء، كما أنّ المسلمين يجلبون المسيح إنساناً ونبياً، ويكرّمون أمه مريم العذراء، وأنّ المسلمين والمسيحيين ينتظرون يوم الدين وقيامه الأموات، وهذا ما سبق إليه القرآن في قوله تعالى "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانٌ وَلَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (1).

4- تشجيع الحوار بين الشعوب قاطبة، من أجل تحقيق السعادة للبشرية كلّها، حيث ترى وثيقة الحوار أنّ اللّجنة تقوم بتشجيع تبادل الرأي حول موضوعات ذات اهتمام مشترك، كالذّفاع عن كرامة الإنسان وحقوقه (2).

ومن هنا فإنّ الحوار هو السّبيل إلى المستقبل، ينبغي أن يعبرُ فوق تاريخ حافل بالعداء والبغضاء والحروب، و فوق حاضر يمزّقه انعدام الثقة، لذلك فالعالم في أشدّ الحاجة إلى حوار المسلمين والمسيحيين، من أجل حضارة قادمة يجب أن تبنى على أسس روحية، وهكذا فإنّ الأزهر والفايكان اتجها إلى تشجيع الحوار الذي أصبح اتجاهاً يفرض نفسه.

المطلب الخامس: نشاط اللّجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفايكان:

بمجرد أن تشكّلت اللّجنة المشتركة للحوار، بين الأزهر والفايكان، بدأت نشاطها بعقد اجتماعها الأوّل في روما في 1998/05/28، حيث تمّ التوقيع على اتفاق الحوار بين الأزهر والفايكان وتمّ بموجبه إنشاء اللّجنة، بمعنى أنّ هذا الاتفاق شكّل الأساس القانوني للّجنة المشتركة، والذي حدّد لها أهدافها على نحو ماسبق، ومن هذه الأهداف يتمدّد مجال نشاطها ومهامها. وقد اتفق القائمون على الحوار بين الأزهر والفايكان أن لحوار في العقائد، بمعنى قضايا الإلهيات والتّنبؤات.. وغيرها وهي مساحة في الأديان تثير كثيراً من الجدل والحساسية، الأمر الذي لا يتفق مع روح الحوار وأهدافه، بل إنّ النقاش حول هذه القضايا قد يأتي على الحوار من أساسه (3).

¹ - سورة المائدة الآية 82.

² - الملحق رقم 5 البند 6 ص 3.

³ - د/ فوزي خليل: مرجع سابق ص 10.

والحقيقة أنّ الحوار فضيلة دينية وقيمة إنسانية، ينبغي الحرص عليها وتعميقها لمصلحة المجتمع الإنساني، لهذا تحدّد مجال الحوار بين الأزهر والفاطيكانيّات في المساحات التي لا تتورّ فيها خلافات أو حساسيات معينة، وهي لا يستهان بها مثل القيم الإنسانية أو مكارم الأخلاق، وموضوعات المعاملات أو قلّ علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقته بالجماعة التي يعيش فيها، وهذه مساحة تتقارب فيها الأديان السماوية ولا تتباعد، لأنّها تحتوي على قدر مشترك من الفضائل والأخلاق الكريمة، فهي تدعو إلى العدل وترفض الظلم، تدعو إلى الخير وتحارب الشرّ، تدعو إلى الإخاء والمساواة ولا تقبل البغضاء والاضطهاد، تدعو إلى التعاون والإيثار وتذمّ القطيعة والأنانية، تمنع الاعتداء وتنادي بالسّلام⁽¹⁾.

وقد شكّلت لجنة فرعية خاصة، مهمّتها اختيار الموضوعات التي يدور حولها حوار اللّجنة المشتركة في كل اجتماع.

وقد اقترحت في الاجتماع الأوّل للجنة المشتركة، عدّة موضوعات تكون مجالاً للحوار في الاجتماعات التّالية، وهي كالآتي:

- 1- الأديان والعنف.
- 2- الأسس الإسلامية والأسس المسيحية لحقوق الإنسان.
- 3- التعاون بين الهيئات الإسلامية والهيئات المسيحية للإغاثة.
- 4- جواب المسلمين وجواب المسيحيين على الأسئلة المطروحة، نتيجة تقدّم الطّبيب بعد إحالة المواضيع على المتخصّصين، من أهل الدّيانتين الموثوق بعلمهم وأخلاقهم، وتحديد الرأي العلمي من قبلهم.
- 5- تدعيم الاحترام المتبادل بين الدّيانتين، وخاصة من خلال كتابات كل من المؤسّستين (الأزهر والفاطيكانيّات)⁽²⁾.

وفي الثالث عشر من شهر أفريل سنة 1999، عقدت اللّجنة المشتركة للحوار اجتماعها الثاني في مقر مشيخة الأزهر بالقاهرة، لتحديد موقفها من الأحداث المثارة في كوسوفا

¹ - من كلمة الشيخ د/ فوزي فاضل الزنراف رئيس اللّجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية بمناسبة التوقيع على اتفاقية إنشاء اللّجنة المشتركة ملحق رقم 8 ص3.

² - أنظر ملحق رقم 6 ص2.

"حينها"، بناء على طلب من رئيس اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية، جاء فيه: "... ومن موقع مسؤولية كل منا في رئاسة اللجنة المشتركة لا نستطيع أن نقف مكتوفي الأيدي دون أي رد فعل من هذه اللجنة، مدينًا للعدوان الظالم ودفاعاً عن مئات الألوف من الضحايا من الأطفال والنساء والرجال الأبرياء"⁽¹⁾.

وفي هذا الاجتماع أصدرت اللجنة المشتركة، للحوار بين الأزهر والفاتيكان، بياناً أدان الأعمال الوحشية التي ارتكبتها القوات الصربية ضد المسلمين في كوسوفا، وطالب بعودة التازحين إلى ديارهم فوراً، ومما جاء في البيان:

" إن لجنة الحوار الإسلامي الكاثوليكي المشترك، التي تمثل الأزهر الشريف والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان... استعرضت الوضع المأساوي في مناطق متعددة من العالم، وبخاصة في منطقة البلقان، ولاسيما كوسوفا التي تمارس فيها سياسة التهجير الجماعي، والتطهير العرقي وقتل الرجال واغتصاب النساء وتشريد الأطفال والدمار وقتل الأبرياء"⁽²⁾.

كما وافقت اللجنة المشتركة على مشروع مؤتمر يعقد في القاهرة، من 26 إلى 28 أبريل 2000م، حول دور التعليم الديني في تعميق القيم الروحية في الثقافة، عهدت اللجنة إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، والجامعة البابوية للقدس توما الإكويني في روما، بتنظيم هذا المؤتمر⁽³⁾.

ثم عقدت اللجنة المشتركة اجتماعاً في أكتوبر 1999 في عاصمة الفاتيكان، حيث أقر المجتمعون بالأهمية الكبرى والتقدير العالي للقاء شخصيات عديدة من ديانات مختلفة، وأكدوا على مساحات التشابه الواضحة والعلاقات المشتركة بين الأديان السماوية الثلاث، حيث تبدو الروابط الروحية القائمة بينها بشكل أوضح، كما أظهر هذا الاجتماع الاحترام المتبادل للقوانين والقيم الأخلاقية في الأديان، وأن مثل هذه الاجتماعات تساهم في حل المشكلات الطارئة في العالم، وتمكين المؤمنين من الديانات الثلاث من تحقيق التعاون الضروري لصالح

¹ - من رسالة من رئيس اللجنة الدائمة للحوار مع الأديان السماوية بالأزهر د/ فوزي فاضل الزفراف إلى الكاردينال فرنسيس أريتر رئيس المجلس البابوي لحوار الأديان، بتاريخ 1999/4/8 (أنظر ملحق رقم 9).

² - صحيفة الأهرام 1999/4/15 ص 12 (أنظر ملحق رقم 10).

³ - المرجع نفسه، ص 12.

المؤمنين رجالاً ونساءً، إنَّ حضور ممثلين من بلدان ومؤسسات إسلامية إلى الفاتيكان برهان على الروابط بين المسلمين والمسيحيين⁽¹⁾.

زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للأزهر وأهميته بالنسبة لحوار الأديان:

قام البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان ورئيس الكاثوليك، بزيارة تاريخية غير مسبقة لمصر في فبراير سنة 2000، زار خلالها الأزهر الشريف واستقبل من طرف الإمام الأكبر شيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوي وعلماء الأزهر، وقد شهدت زيارة البابا للأزهر أموراً ليست لها سابقة في استقبال رئيس ديني غير مسلم، حيث صفق العلماء على غير عادتهم وتقليدهم في مثل هذه المناسبات⁽²⁾.

وتأتي أهمية زيارة البابا يوحنا بولس الثاني للأزهر، من كونه له صفتان:

الأولى: سياسية حيث يعتبر من هذه الناحية رئيس دولة هي الفاتيكان.

والثانية: دينية كونه رأس الكنيسة الكاثوليكية، لهذا فإنَّ زيارته الأولى لمصر ثمَّ لقاءه شيخ الأزهر وعلمائه، تكتسب أهمية خاصة بالنسبة لاتفاق إنشاء اللجنة المشتركة، لحوار الأديان بين الأزهر والفاتيكان، ذلك أنَّ علاقات الحوار والتعاون بين الجانبين التي تأسست بناءً على هذا الاتفاق، شهدت دفعة قوية إلى الأمام نتيجة لقاء قمة المؤسساتيتين الدينتين، الأزهر والفاتيكان، لما لكل منهما من تأثير ونفوذ في عالمهما⁽³⁾.

وبالمناسبة فقد أعاد كلٌّ من الإمام الأكبر شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان، التأكيد على اتفاق الحوار بين الأديان، الذي سبق أن وقَّعه أعضاء اللجنة الدائمة للأزهر للحوار مع الأديان السماوية والمجلس الباباوي للحوار بين الأديان سنة 1998، الأمر الذي يدعم الأهداف والعلاقات القائمة، لخلق الأخوة وإشاعة العدل والسلام، كما أنَّ شيخ الأزهر عيَّن رئيس اللجنة الدائمة ووكيل الأزهر في حينها/ فوزي فاضل الزفراق ممثلاً شخصياً له، لدى المؤسسات الدولية للحوار بين الأديان، كما عيَّن نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر/ علي السَّمان مستشاراً له أيضاً، ومن شأن هذه الإجراءات أن تدعم وتعمِّق علاقات الحوار

¹ - رسالة شيخ الأزهر/ محمد سيد طنطاوي إلى مؤتمر الحوار بالفاتيكان 28/24 أكتوبر 1999. (ملحق 11) ص 2 و

² - علي السَّمان: بابا الفاتيكان في مصر... ولقاء الرموز جريدة الأهرام بتاريخ 2000/3/4 . (ملحق رقم 12).

³ - د/ فوزي خليل: مرجع سابق ص 13.

والتعاون بين المؤسسات المعنية بحوار الأديان، ونظراً لما رأته اللجنة المشتركة في زيارة بابا الفاتيكان لمصر ولالأزهر، وهي بصدد تقييمها لهذه الزيارة في اجتماعها المنعقد بروما في 28 مارس 2000م، فقد قرّرت اعتبار يوم 24 فيفري 2000، (تاريخ زيارة البابا لمقر مشيخة الأزهر) يوماً للحوار، واتخاذ هذا التاريخ موعداً للاجتماع السنوي للجنة المشتركة، بالإضافة إلى ما وجدته من إمكانية القيام بأنشطة مختلفة تتفق مع حدث اللقاء السنوي⁽¹⁾.

ومن بين القضايا التي حازت اهتمام العاملين في مجال الحوار بالأزهر الشريف، اعتذار الفاتيكان عن الجرائم التي حدثت للمسلمين أثناء الحروب الصليبية، وهذه قضية لها جوانب متعددة، ولقد قامت اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية، بمناسبة اجتماعها مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان في 12 مارس 2000، عقب زيارة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان لمصر، بتقديم مذكرة رسمية من الإمام الأكبر شيخ الأزهر يطالب فيها بإصدار وثيقة تتضمن طلب الغفران لما واجهه المسلمون من مآسي ومعاناة أثناء الحروب الصليبية⁽²⁾.

وقد عبّر المجلس البابوي عن اهتمامه بهذه المذكرة باعتبارها اختباراً للعلاقات التاريخية المسيحية - الإسلامية، كما أنه يتناولها بروح الأخوة والانفتاح من أجل تنقية ذاكرة الماضي السيئ، وتأمين مستقبل يسوده الصلح والتعاون بين الديانتين⁽³⁾.

ومن إنجازات اللجنة المشتركة بين الأزهر والفاتيكان للحوار، إدانتها الاعتداءات الاسرائيلية على الشعب الفلسطيني والمقدسات الدينية، إذ استعرضت اللجنة في اجتماعها السنوي المنعقد بمقر مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة في 24/02/2001، الوضع الإنساني (للفلسطينيين)، الناتج عن الصراع الجاري في الأراضي المقدسة دون وجه حق، كما عبّرت عن استنكارها للخسائر المتزايدة في الأرواح والممتلكات، وتخریب وسائل العيش، وعبّرت عن أسفها لوقوع الضحايا من السكان الآمنين، كما عبّرت عن الأمل بأن يتحقق السلام المبني على العدل، وعلى الشرعية الدولية، ودعت القادة الدينيين للاستمرار في الإسهام بشكل فعال، في إيجاد جوّ يساعد على السلام، عن طريق تذكير كافة الأطراف المعنية بأن الأساس

¹ - التقرير المعدّ باللغة الانجليزية عن أعمال اللجنة المشتركة، القسم الخاص بتقييم زيارة البابا للأزهر. (ملحق رقم 13) ص 1 و 2.

² - حربة الأهرام بتاريخ 11 ماي 2000 ص 12 (انظر ملحق رقم 14).

³ - المرجع نفسه، (ملحق رقم 14).

الحقيقي للسلام هو العدل والاحترام المتبادل، وأكدت اللجنة في ختام بيانها على الطابع الخاص لمدينة القدس ومكانتها بالنسبة للديانات الثلاث، وإدانة أي تجاوز على مبدأ الحرية الدينية، وبخاصة منع الوصول إلى الأماكن المقدسة، كما أدانت العنف والتدنيس أو أي عمل من شأنه تعريض الأماكن المقدسة للخطر⁽¹⁾.

وفي اجتماعها السنوي بتاريخ 23 فيفري 2002، والذي عقد بمقر المجلس البابوي للحوار بين الأديان في عاصمة الفاتيكان بروما ناقشت اللجنة المشتركة ظاهرة التطرف، من جهة النظر الدينية، حيث ألقى بحث عن التطرف من وجهة نظر المسيحية، جاء فيه أن ظاهرة التطرف ليست جديدة وأن المسيحية ترفض التطرف ولا تقره، كما أنها تدعو إلى التسامح والمحبة، حتى مع الأعداء، وأن ظاهرة التطرف تتطلب تعاون الجميع لعلاجها، لأنها تلحق الضرر بالبشرية جمعاء، ذلك أن المتطرفين يقسمون العالم إلى قسمين، القسم الذي يؤمن بأفكارهم المتطرفة، والقسم الثاني الذي لا يؤمن بأفكارهم ويرون أن القسم الثاني عدو لهم⁽²⁾. ثم ألقى بحث آخر عن التطرف وموقف الإسلام منه، بين خطر التطرف على الإنسانية وأن الإسلام عانى من خطر وقسوة المتطرفين، منذ بدء تكوين المجتمع الإسلامي، حيث كان الحوارج والزنج من أخطر العناصر المتطرفة في الإسلام، كما أن التطرف عانت منه البشرية في المجتمعات غير الإسلامية قديماً وحديثاً، وذكر بأن الإسلام دين الوسطية في جميع مجالات الحياة وأنه يرفض التطرف، كما بين البحث أن التطرف يحتاج إلى تكاثف جهود الجميع لعلاجها، وأن الحوار هو العلاج الأمثل، غير أن الحوار وحده لا يكفي لعلاج الظاهرة، بل يجب أن تعضده وسائل أخرى.

وقد ناقشت اللجنة المشتركة ماورد في البحثين، من أفكار وخلصت إلى أن وجهتي النظر بين الديانتين، المسيحية والإسلام، متطابقتان في كثير من المواقف المتصلة بظاهرة التطرف وعلاجها والوقاية منها، وأن الديانتين ترفضان التطرف ولا تقرانه، وأن الأمر يحتاج إلى

¹ - البيان الصحفي الذي أصدرته اللجنة المشتركة بين الأزهر والفاتيكان بمناسبة الاجتماع السنوي في 2001/02/24 (ملحق رقم 15 ص 1 و 2).

² - محضر اجتماع اللجنة المشتركة المجتمعة بروما في 2002/02/23 (ملحق رقم 16)، ص 1.

تعاون القيادات الدينية في الديانتين للتغلب على هذه الظاهرة المرضية التي تعاني البشرية منها، والتي ألحقت بها أضراراً بالغة⁽¹⁾.

وفي اجتماعها الدوري لسنة 2003، والذي عقد بالقاهرة في مقر مشيخة الأزهر، يومي 24 و25 فيفري، عكفت اللجنة المشتركة، للحوار بين الأزهر والفاتيكان، على دراسة موضوع "ظاهرة الإرهاب ومسؤولية الأديان في مواجهاتها"⁽²⁾ وقد أدرجت تحت الموضوع الرئيس النقاط التالية:

- رفض الديانتين، المسيحية والإسلام، لكل اعتداء يقع على أي من البشر، وكل انتهاك للحق الطبيعي والشرعي في الحياة، في ظل الأمن والسلام.

- ضرورة فهم النصوص المقدسة-للدانتين- في سياقها الذي وردت فيه، ورفض كل عزل للنصوص عن سياقها، قصد توظيفها في تبرير الإرهاب، الأمر الذي يخالف روح الديانتين.

- وجوب التفريق بين النصوص المقدسة وتعليمها من جهة، وبين مواقف وممارسات بعض أتباع الديانتين من جهة ثانية. إن مهمة السلطات الدينية هي تقديم شروحات أصيلة للنصوص الدينية حفظاً للصورة الحقيقية للديانتين.

- إعطاء الأهمية للفهم الصحيح المتبادل بين الطرفين، كل نحو ديانة الآخر والحرص على بيان النقاط المشتركة الجامعة بين الديانتين⁽³⁾.

كما تناولت اللجنة موضوعاً آخر يتعلق بالحرب في العراق، حيث قد جاء تعليق البيان المشترك حول هذه النقطة كمايلي:

- إن الوضع الراهن يحتم على اللجنة المشتركة، للحوار بين الأزهر والفاتيكان، التفكير في الآثار التاريخية للحرب على العراق، إن اللجنة تدين اللجوء إلى الحرب كوسيلة لحل المشكلات بين الشعوب. إن الحرب تجربة قاسية عانت البشرية منها كثيراً عبر تاريخها، لقد جلبت خسائر فادحة في الأرواح، كما في البنى التحتية للحياة الإنسانية، وتلويث البيئة، وتهمجير الشعوب، بالإضافة إلى اللاإستقرار السياسي.

¹ - محضر اجتماع اللجنة المشتركة المنعقدة بروما في 2002/02/23 (ملحق رقم 16)، ص 2.

² - دراسات إسلامية مسيحية عا 29، 2004 ص 215.

³ - المرجع نفسه ص 216.

وفي ظل هذه الأوضاع، فإنه يضاف عامل توتر جديد، في مجال العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ناتج عن أخطاء بعض الزعماء الغربيين، في وصف الحرب بأنها دينية صليبية جديدة ضد الإسلام والمسلمين⁽¹⁾.

وفي اجتماعها الدوري سنة 2005 بالفاتيكان، درست اللجنة المشتركة، للحوار بين الأزهر والفاتيكان، موضوع: " المؤسسات الدينية المتخصصة ودورها في تكوين الدعاة، وكذا إعداد المرسلين في الكنيسة الكاثوليكية"⁽²⁾. فبعد مناقشة أعضاء اللجنة لما جاء في البحثين المقدمين من الجانبين، أكدوا على أهمية دور المؤسسات الدينية المتخصصة في تشكيل وتكوين وتوجيه الخريجين، الذين يقومون بمهمة الدعوة والتبشير، كما أكدوا حرصهم على احترام حرية العقيدة لكل إنسان، وعدم استغلال الحاجة أو الامتيازات المالية أو الاجتماعية في دعوة الناس إلى اعتناق (دين معين)، فلكل إنسان الحق في البحث عن الحقيقة واتباعها حسب ضميره، دون خوف من عقاب ودون ضغوط تمارس عليه، من قبل أية جهة لحمله على مخالفة ما يعتقد في صحته.

كما دعا أعضاء اللجنة، من خلال، البيان، إلى الفصل بين الدين والإرهاب وعدم الربط بينهما، فالإرهاب لا دين له، والتأكيد على أن الديانتين، المسيحية والإسلام، تدعوان إلى نشر السلام والأخوة والمحبة بين البشر.

تم الاتفاق، خلال الاجتماع، بين الجانبين على أهمية دراسة موضوع الصراعات التي حدثت في الماضي بين المسيحيين والمسلمين، خاصة الحروب الصليبية، من قبل خبراء متخصصين في التاريخ عن كلا الجانبين، وصولاً إلى تفاهم أعمق بين أتباع الديانتين⁽³⁾.

وما يمكن استنتاجه من خلال عرض تاريخ العلاقات بين الفاتيكان والأزهر:

- أن المؤسسة الكاثوليكية، الأكبر في العالم، حرصت في الفترة التي تلت المجمع الفاتيكاني الثاني على تكوين علاقات مع مؤسسة دينية إسلامية في مستوى الأزهر، لما لها من سلطة

¹ - دراسات إسلامية مسيحية عدد 29، 2004 ص 216.

² - البيان الصادر عن اللجنة المشتركة للحوار بين الأزهر والفاتيكان لسنة 2005 (بالفاتيكان، روما)

(أنظر الملحق رقم 17) ص 1.

³ - المرجع نفسه ص 2.

روحية وأدبية على المسلمين السّنة منهم بوجه خاص، هو مايسهل لها عملية التّواصل مع الشعوب الإسلامية.

- إنّ المؤسسة الكاثوليكية حرصت من خلال مسؤوليها، الكاردينال فرانسيس أرنزي، أن تكون علاقاتها مع الأزهر من خلال هيئة رسمية، تماثل المجلس البابوي للحوار بالفاتيكان، وهي الهيئة التي أصبحت تسمى فيما بعد اللّجنة الدائمة للأزهر للحوار مع الأديان السّماوية.

- إنّ الموضوعات التي عولجت من الطّرفين توزّعت بالشّكل الآتي:

أ- العنف والإرهاب وما يتّصل بهما من مواضيع كالحركات الإسلامية، وقد زاد الحديث عن هذا الموضوع بعد أحداث 2001/09/11.

ب- التّعليم الدّيني وتغيير الخطاب الدّيني الإسلامي، بتغيير المناهج الدّراسية في البلدان الإسلامية، بما يتماشى ومصلحة الغرب في تغيير صورته في تصوّرات المسلمين وتحسينها.

المبحث الخامس: الحوار بين الأزهر (الشريف) والكنيسة الأنجليكانية في المملكة المتحدة.

المطلب الأول : اتفاق الحوار بين الأزهر والكنيسة الانجيلية:

بدأت علاقات التّعاون والحوار بين الأزهر والكنيسة الانجيلية في بريطانيا، في منتصف التسعينات من القرن الماضي، حيث تبودلت الزّيارات بين كل من الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، وكبير أساقفة كانتربري ورئيس الكنيسة الانجيلية الدكتور جورج كاري، حيث قام الأخير بزيارة الأزهر في أكتوبر سنة 1995، ثمّ زار شيخ الأزهر لندن واستقبل من طرف جورج كاري في قصر لاميث في ماي سنة 1997، وكانت الزيارة الثانية لكبير أساقفة كانتربري للأزهر في نوفمبر سنة 1999⁽¹⁾. وكان من ثمرة هذه الزّيارات المتبادلة دعم العلاقات بين الكنيسة الانجيلية في العالم وبين الأزهر، حتّى وصلت إلى مستوى العلاقات

¹ - د/ فوزي خليل : مرجع سابق ص 17.

الأخوية بين الإمام الأكبر شيخ الأزهر وكبير أساقفة كاتدربري، كما وصفتها اتفاقية الحوار بين الطرفين⁽¹⁾.

ثم وضع الأساس القانوني لهذه العلاقة، من حيث الأهداف والغايات والإجراءات التنظيمية، بتوقيع اتفاقية الحوار بين الكنيسة الأسقفية (الأنجليكانية) والأزهر الشريف في 2002/01/30 بلندن، حيث قام بتوقيعها كل من الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس أساقفة كاتدربري الرئيس العام للكنيسة الأسقفية بالعالم⁽²⁾.

والمأمل في نص الاتفاقية يجد أنها وضعت على خطى اتفاق الحوار بين الأزهر الشريف والفاثيكان، سواء من ناحية الأفكار والأهداف أو الإجراءات التنظيمية لعمل اللجنة المشتركة. وتبين الاتفاقية الحكمة من إبرامها والفلسفة التي تقوم عليها، حيث جاء فيها أن الطرفين يؤمنان بأن الصداقة، على الرغم من الظروف الدينية العرقية والقومية، هي هبة الخالق الذي يؤمن به الجميع، وأنهما يدركان الحاجة إلى أن يتقبل كل واحد الآخر قبولاً مشتركاً واضحاً، رغبة في تحقيق رسالة السلام في العالم، وأنهما يعتقدان بأن الحوار المباشر يؤدي إلى تصحيح صورة كل طرف أمام الطرف الثاني... ومن منطلق الإيمان بالله الواحد والمسؤولية في مواجهة الالحاد من ناحية والتعصب من ناحية أخرى، والأمل في المساهمة في الجهود العالمية من أجل تحقيق العدالة والسلام والحياة الكريمة لكل الإنسانية، بالاستفادة من التاريخ الطويل للحياة المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في أماكن متعددة من العالم⁽³⁾.

المطلب الثاني: أهداف اتفاقية الحوار بين الأزهر والكنيسة الأنجليكية:

لقد وضعت الاتفاقية عدة أهداف يدور حولها العمل المشترك بين الطرفين، تتمثل هذه الأهداف فيما يلي:

- 1- تشجيع المسيحيين الأسقفيين (الأنجليكيين) على فهم الإسلام الحق، كما تشجع المسلمين على فهم الإيمان المسيحي كما يراه الأسقفيون⁽⁴⁾.

¹ - محضر اتفاقية الحوار بين الكنيسة الأسقفية (الأنجليكانية) والأزهر الشريف الموقعة في 2002/01/30 (ملحق رقم 18).

² - جدول أعمال الاجتماع الأول للجنة الدائمة للأزهر، وممثلي الكنيسة الأنجليكانية في 2002/07/30 ملحق رقم 19.

³ - أنظر الملحق رقم 18.

⁴ - المرجع نفسه.

2- المساهمة في حل المشكلات وإنهاء الصّراعات، التي تحدث أحياناً بين المسيحيين والمسلمين في بعض أماكن العالم، وتشجيع القادة الدينيين على استعمال تأثيرهم الديني في المصالحة وصنع السّلام.

3- العمل سويّاً على تحقيق كرامة الإنسان في العالم، بمنع الظلم والاعتداء على الحقوق المشروعة للشعوب، عدم الفصل بين السّلام والعدل، نشر الفضائل المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية.

4- تشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيام بدورها الإيجابي، في تحقيق التنمية لصالح شعوب العالم لنشر الرخاء والتقدم.

إنّ اتفاقية الحوار بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية لم تأت بجديد عما ورد في اتفاق الحوار بين الأزهر والفاثيكان، من حيث دورية الاجتماعات سنوياً وأماكن الاجتماعات بالتناوب بين الطرفين. وكان الاجتماع الأوّل للجنة الحوار بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية في القاهرة يوم 10 و11 سبتمبر 2002، وكان موضوعه: "السّلام والعدل والاعتراف بالآخر والتعايش معه"⁽¹⁾.

ولا يخفي ما في موضوع الاجتماع وتاريخ انعقاده من علاقة مع الأحداث التي وقعت بنفس التاريخ من السنة التي سبقت هذا الاجتماع أي، أحداث 11 سبتمبر 2001 والتفجيرات التي حدثت بالولايات المتحدة الأمريكية.

وقد عقدت اللّجنة المشتركة، بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية، اجتماعها الثالث في مقر مشيخة الأزهر في القاهرة يومي 8 و 9 سبتمبر 2004، وكان موضوع حوار اللّجنة المشتركة عن "المفاهيم الخاطئة"⁽²⁾. وقد خلّصت الأبحاث المقدّمة من الجانبين إلى أنّ كثيراً من المسيحيين والمسلمين لديهم الكثير من المفاهيم الخاطئة عن عقائد وممارسات الدين الآخر، كما كان الاعتراف من الجميع بخطورة هذه المفاهيم وضرورة العمل بجديّة للتصدي للصور المشوّهة، التي يتم بها تصوير كل من الإسلام والمسيحية.

كما لقيت الأزمات السّياسية التي يمر بها العالم اهتماماً من اللّجنة، لاسيما بعض مناطق التوتر.

¹ - أنظر (ملحق رقم 19) ص 2.

² - البيان الصادر عن اللّجنة المشتركة بين الأزهر والكنيسة الأنجليكانية سنة 2005 (الطو ملحق رقم 20).

ففيما يخص الأوضاع في الأراضي المقدسة، ذات الأهمية البالغة بالنسبة للديانتين الإسلامية والمسيحية، فقد عبّرت اللّجنة عن أسفها عن تدهور الأوضاع وازدياد الظلم والعنف والحرمان الذي يعاني منه الكثيرون.

أما عن العراق فقد عبّرت اللّجنة عن أسفها للمعاناة الشديدة التي لا يزال الشعب العراقي يلاقها، وأكّدت على ضرورة إعطاء الشعب العراقي بكل طوائفه حريته، والفرصة ليحدّد مستقبله بنفسه.

كما عبّرت اللّجنة عن إدراكها لفداحة الألم الذي يعانيه شعب السودان، حيث طالبت السّياسيين والدينيين بالاشتراك في تشجيع حكومة السودان وكافة الأطراف المعنية بضمان توفير الأمن والرّخاء للجميع⁽¹⁾.

وبعد هذه المسيرة الطويلة في العلاقات الإسلامية المسيحية من لقاءات ومؤتمرات واتفاقيات بين المؤسسات الإسلامية والمسيحية، نحاول رصد نتائج تلك الجهود المبذولة في سبيل انجاح الحوار بين المسلمين والمسيحيين كما يلي:

- إنّ الحوار المنظمّ كانت حصيلته ضعيفة، ممّا يدعو إلى القلق أحياناً وإلى اليأس من جدواه أحياناً أخرى.

- إنّ المواضيع التي نوقشت خضعت للمرحلية، حيث اقترنت بأهداف ومصالح استراتيجية للمجتمعات الغربية، ممّا يجعل التساؤل حول التوايا الحقيقية لعملية الحوار الإسلامي المسيحي مشروعاً.

- إنّ المؤتمرات واللقاءات، التي عقدت حتى الآن، تنكبّ على الدراسات والأبحاث ذاتها وتخرج بالقرارات نفسها، ممّا يدعونا إلى التساؤل على إمكانية إيجاد لغة أخرى للحوار، وطروحات أكثر جذية وأساليب أكثر فعالية في المعالجة.

- إنّ هذه المؤتمرات واللقاءات غلب عليها طابع المجاملة، ممّا أبعدنا عن التطرّق إلى أهم مايتعلق بعملية الحوار، أي دراسة معوّقاته الحقيقية قصد تحليلها وتجاوزها.

- لقد كان الغرب المسيحي ولا يزال هو الذي يطرح الموضوعات ويختارها، كما يضع جدول أعمال المؤتمرات وعناوين وأولويات الحوار.

¹ - البيان الصادر عن اللّجنة المشتركة بين الأزهر والكنيسة الإنجليكانية سنة 2005 (أنظر ملحق رقم 20).

- أدّت اللقاءات إلى نوعٍ من التغيير في الذهنيات، حيث ابتعد المتحاورون عن الجدل واقتربوا من العمل المشترك وصولاً إلى وضع قاعدة تضامن وتعاون في مجال خدمة الإنسان. كما أفضت المناقشات إلى وعي مشترك بالتحديات المعاصرة، حيث خلقت نوعاً من الشعور بضرورة الاتحاد من أجل بناء عالم أكثر إنسانية.

--أتاحت هذه المؤتمرات الفرصة، للمسلمين والمسيحيين معاً، في اللقاء والاجتماع على طاولة واحدة لبحث وتدارس ما يطرح من مواضيع، وهذا في حدّ ذاته لا يخلو من فائدة.

الفصل الخامس:

معوقات الحوار الإسلامي المسيحي وآفاقه

المبحث الأول: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي.

المبحث الثاني: التحديات المشتركة وآفاق الحوار الإسلامي المسيحي.

الفصل الخامس: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي وآفاقه.

تمهيد:

أصبح في حكم المؤكد أن الحوار الإسلامي المسيحي لم يؤت الثمار التي كانت ترحى منه، وإذا كان هذا الأمر له مبرراته وأسبابه بالنسبة للطرف المسلم، الذي كانت خطواته متعثرة (بحكم الظروف السياسية والاقتصادية التي مرّ بها العالم الإسلامي) ومفتقدة في غالب الأحيان إلى الدراسة وموسومة بالارتجالية؛ فإنه بالنسبة للطرف المسيحي مغايرٌ تماماً، إذا اعتبرنا أن عملية الحوار الإسلامي المسيحي، في صورتها الحالية، انطلقت بدعوة مسيحية غربية، ووقت خلفها إمكانات هائلة تجسدها الطاقات البشرية التي أعدت لها، والمراكز والهيئات التي أنشئت لأجلها، والأموال الضخمة التي رصدت لتنشيطها.

ولهذا عكفت هيئات وشخصيات مسيحية غربية⁽¹⁾ على دراسة وبيان الأسباب التي عاقت نجاح عملية الحوار الإسلامي المسيحي، فإذا كانت الملتقيات والمؤتمرات في السنوات الماضية، قد عملت على الدّعوة إلى الحوار وترسيخ ثقافته بين أتباع الديانات، فإنّها في السنوات الأخيرة اهتمت بدراسة معوقات الحوار، نذكر من هذه الملتقيات لقاء بيتايا-تايلاندا، وبالوقوف على ما أحصاه الباحثون، وما وقفوا عنده كأسباب لعدم تقدّم عملية الحوار، يمكن إجمال معوقات الحوار الإسلامي المسيحي فيما يلي:

المبحث الأول: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي:

المطلب الأول: معوقات الحوار من الجانب الإسلامي:

يمكن تقسيم المعوقات من الجانب الإسلامي إلى مايلي:

- أ- معوقات عقيدية: إنّ القائمين على الحوار الإسلامي المسيحي في صورته المعاصرة، أرادوه أن يكون حوارَ حياة، أي في مجال التعاون بين أتباع الديانتين على ما يكون فيه خير

¹ - JEAN CLAUDE BASSET : LE DIALOGUE INTERRELIGIEUX ED DU CERF PARIS 1986 p428

الإنسان، لكن يجب أن لا ننسى أن كل طرف ينطلق في عملية حوار الحياة من منطلقات عقدية تحدّد نظرتة إلى الآخر وهي وإن لم يكن مصرحاً بها، فإنّها مكبوتة في زوايا النفس، تحدّد السلوك وتوجّهه، لذا يسجّل المحاور المسلم عدّة معوقات في هذا المجال، وهي إن لم تكن قادرة على إيقاف عملية الحوار إلّا أنّها تعوقها، ومن هذه المعوقات العقيدية بالنسبة للمحاور المسلم نذكر الآتي:

1- عدم اعتراف المسيحيين بالإسلام على أنّه دين سماوي:

لرغم أن الدّعوة من الحوار وجّهتها الكنيسة أثناء المجمع الفاتيكاني الثاني الذي عقد بين 1962-1965م، ورغم اللقاءات والمؤتمرات المتعدّدة التي جمعت المسلمين والمسيحيين، على امتداد السّنوات التي تلت تلك الدّعوة وإلى الآن، رغم هذا، ولحدّ الساعة، فإنّ الكنيسة الكاثوليكية والكنائس المسيحية جميعها لا تعترف بالإسلام على أنّه دين سماوي، وأنّ كتابه القرآن الكريم وحى من الله، وأنّ نبيّه محمد-صلى الله عليه وسلم- نبيّ حقيقيّ.

والواقع أن الجهود المبذولة من طرف اللاهوتيين وعلماء الإسلاميات المعاصرين، في حلّ مسألة موقع الإسلام فيما يطلق عليه في الأدبيات اللاهوتية الكاثوليكية (تاريخ البناء الإلهي) مازالت تراوح مكانها، وهي منقسمة على نفسها، فقسم من هؤلاء الدّارسين وخصوصاً علماء الإسلاميات يميلون لإبراز الجوانب والنقاط المتماثلة أو المتشابهة في الديانتين، حيث يرون في الإسلام أحد تفرعات التقاليد التوراتية، فيما يركز الآخرون، الذين يتألفون من اللاهوتيين، على الاختلافات الأساسية بين هاتين العقيدتين ومن ثمّ يرون في الإسلام عقيدة أقرب ما تكون إلى "الدين الطبيعي" الذي تشكّل خارج التراث اليهودي-المسيحي (الوحي)، مع أنّه اقتبس أشياء كثيرة من ذلك التراث⁽¹⁾. والواقع أنّ المحاور المسلم له الحق في الشعور بعدم جدوى الحوار مادام الطرف الثاني لا يعترف له بالنديّة، على الأقل، وبالتالي فإنّنا أمام وضع يُحكّم فيه على الحوار بالفشل، إذ يطرح المحاور المسلم السؤال التالي: ما جدوى الحوار مع طرف لا يعترف لي بأنّي ندّ له؟ إنّ الحوار هنا يفقد لأدى الشروط الواجب توافرها، يقول الدكتور محمد عمارة: "إنّ كل هذه الحوارات التي دارت وتدور بين علماء الإسلام ومفكره، وبين ممثلي الكنائس النصرانية الغربية، قد افتقدت ولا تزال مفقودة، لأول وأبسط

¹ - د/ عبد الودود شلي: الحوار أسرار وخفاياه ص 58.

وأهم شرط من شروط أي حوار من الحوارات، وهو شرط الاعتراف المتبادل والقبول المشترك بين أطراف الحوار، فالحوار إنما يدور بين الذات وبين الآخر ومن ثم بين الآخر وبين الذات، ففيه إرسال وفيه استقبال على أمل التفاعل بين الطرفين، فإذا دار الحوار - كما حاله الآن - بين طرف يعترف بالآخر، وطرف لا يعترف بمن يحاوره، كان حواراً مع الذات وليس مع الآخر، ووقف عند الإرسال دون الاستقبال⁽¹⁾.

2- عدم اعتراف المسيحيين بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -:

إن قضية الوضع الديني لني الإسلام، محمد - صلى الله عليه وسلم - هي واحدة من الإشكاليات المعقدة في الحوار المعاصر بين الإسلام والمسيحية، فاللاهوتيون الكاثوليك يعترفون بـ "الدور الإيجابي لمحمد" - صلى الله عليه وسلم - لكنهم لم يوفقوا بعد إلى عبارات إنشائية مناسبة لوصف المآثر المحمدية بصيغ لاهوتية مسيحية، وكمثال على حجم الإشكالية، فقد عقد في مارس 1977 في مدينة قرطبة بإسبانيا، المؤتمر الإسلامي المسيحي الثاني، كان موضوعه: "تبجيل محمد وعيسى في الإسلام والمسيحية" حيث اشترك فيه أكثر من مائتي شخصية مسلمة ومسيحية، ولكن مجموعة من الأقطار العربية رفضت إرسال مندوبين عنها إلى المؤتمر، محتجة بعدم جدوى أي حوار بين أتباع الديانتين "مادام أن الكنيسة لن تغير رسمياً موقفها من النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -"⁽²⁾.

وقد ظهرت داخل الكنيسة الكاثوليكية، ومن كبار اللاهوتيين، أصوات تدعو إلى اتخاذ موقف شجاع إزاء الاعتراف بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان أبرز صوت للكاثوليك الألماني هانس كونج، كنت أوردت رأيه في المسألة في الفصل الثالث من البحث⁽³⁾. حيث كان هذا الموقف الجريء، ومواقف أخرى سبباً في شطب اسم هذا الباحث من قائمة اللاهوتيين الكاثوليك، وهو ما يفسر حجم الإشكال من الناحية اللاهوتية بالنسبة للمسيحيين من جهة، وأهمية الأمر بالنسبة للمحاور المسلم من جهة ثانية، حيث يشعر بالنقص وهو يخوض عملية الحوار.

¹ - د/ محمد عمارة: حوار الأديان، جريدة صوت الأهرام 24 مارس 2000.

² - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص 148.

³ - الفصل الثالث من البحث: ص .

3- الإسلام هل هو طريق للخلاص ؟

نتج عن الإشكاليتين السابقتين، مصدرية القرآن والإسلام ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -، إشكالية ثالثة وهي التي طرحت نفسها بقوة على بساط البحث اللاهوتي الكاثوليكي بعد المجمع الفاتيكاني الثاني وإلى اليوم، وهي التالية: هل الإسلام دين خلاص ؟ بمعنى آخر هل أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - المؤمنون بالقرآن المنتهجون شريعة الإسلام مُخَلَّصُونَ ؟ أي ناجون من العذاب، وقد طُرِحَ الإشكال لأن الكنيسة تعتقد أن عملية البناء الإلهي للخلاص قد اكتملت بمجيئ المسيح عيسى عليه السلام، فهو الغاية وهو النهاية، وإذا كان اللاهوتي المسيحي⁽¹⁾ قد طرح السؤال التالي: ما الفائدة من الحوار مع من سيكون مصيرهم النار ؟

فإنّ المحاور المسلم من حقّه أن يطرح السؤال بالشكل التالي: ماجدوى الحوار مع من لا يعترف بالإسلام كطريق إلى الله وإلى الخلاص ؟

وهكذا تقوم هذه الإشكالات اللاهوتية المسيحية، كمعوقات عقيدية بالنسبة للمحاور المسلم، بجعله، إذا ما هو استحضرها في ذهنه أو في نفسه، يرغب عن عملية الحوار.

إلى جانب هذه المعوقات العقيدية، هناك معوقات أخرى تتصل بها وهي تلك التي أثارها الاستشراق منذ أن كان في حضن رجال الكنيسة، وهي كالأتي:

- الإسلام دين الجبر، حيث أنّه يحدّ من حرية الإنسان ويجعله تحت رحمة القضاء والقدر.

- الإسلام دين تسلّط الأحكام الشرعية (الجلد، قطع اليد....).

- الإسلام دين الإباحية.

- الإسلام دين التعصّب.

ب- معوقات تاريخية: يمكن حصر المعوقات التاريخية بالنسبة للمحاور المسلم فيمايلي:

1- الحروب الصليبية: لقد سخر الغرب المسيحي كلّ طاقاته وإمكاناته العسكرية والاقتصادية والروحية، لمحاولة القضاء على الإسلام، واستعادة الأراضي (المسيحية) التي فتحها المسلمون منذ القرن السابع الميلادي، واستعادة بيت المقدس وقبر المسيح عليه السلام، حيث كانت الحجة المعلنة أن المسلمين اعتدوا على الحجاج المسيحيين، ودون الخوض في تفاصيل الحروب الصليبية وحملاتها وتصدّي المسلمين لها، يمكننا القول إنّ مادار خلال تلك الحروب

¹ - JOSEPH DORE : LE CHRISTIANISME ET LES RELIGIONS ED DE CERF PARIS 1979 P 10

وتلك الحملات، وما احتفظت به المصادر التاريخية، حتى المسيحية منها⁽¹⁾ عن وحشية الصليبيين وتعطشهم لدماء المسلمين واندفاعهم للقضاء عليهم وإبادتهم، أمر يستحق أن تقف عنده الكنيسة الكاثوليكية، وقفة مراجعة، وهي التي قامت بتحريض ودفع الشعوب الغربية إلى تلك الحرب، إن الكنيسة الكاثوليكية، وهي تقوم بدعوة المسلمين إلى المشاركة في حوار الحياة، من واجبها اليوم أن تعيد النظر في موقفها ذاك، وتعمل على تصحيحه، كما أعادت النظر في العديد من مواقفها الماضية، وعملت على تصحيحها.

لقد قدّم الفاتيكان اعتذارات منها ما كان لأفراد مثل الاعتذار لغاليلو (1992)، ومنها ما كان لشعوب مثل الاعتذارات إلى اليهود سنة 1965 لتبرئة الأجيال اليهودية من جريمة صلب المسيح، وسنة 1993 عن سكوته عن المحارر التي ارتكبتها النازية في حقهم، وقد كانت هذه الاعتذارات بهدف تصحيح مسيرة وإعادة اعتبار لتلك الشعوب، لأجل مدّ جسور جديدة من التعاون معها⁽²⁾.

لكن العالم الإسلامي وحده استثنى من هذه العملية التصحيحية الجديدة، بل إن ما يجري اليوم يقدم مؤشرات إضافية على استمرار عملية الاستعداد، وكأنّ الحروب الصليبية لم تنته، أو كأنّ أصحابها لا يريدون أن يضعوا لها حداً، فقد خاض الصّرب حرب إبادة ضد المسلمين في البوسنة والهرسك تحت شعارات صليبية جديدة، وخاض الروس حرباً ضد المسلمين في الشيشان، بهدف تطويع بقية الشعوب الإسلامية في القوقاز، كما أعلن حلف شمال الأطلسي الحرب على الإسلام، من باب مكافحة الإرهاب والتطرف الديني. تستمر هذه الروح العدائية ضد الإسلام في الوقت التي تعلق فيه الاعتذارات التسامحية مع الآخرين، الأمر الذي يجعل حقّ المسلم في التساؤل مشروعاً: لماذا لم تتوفر بعد جرأة مماثلة لإدانة الجرائم الصليبية التي تواصلت بصيغ مختلفة منذ بيان البابا أوربان الثاني وحتى اليوم؟⁽³⁾.

2- مابعد الحروب الصليبية: سادت روح الاستعلاء والاستكبار لدى الجانب المسيحي، عندما أخذ الغرب المسيحي في الازدهار، وبدأت الحضارة الإسلامية في الأفول، وكان ما يسمى بحروب الاسترداد في الغرب المسيحي (إسبانيا ثم الشمال الإفريقي) نموذجاً للتعصّب

¹ - وليام الصوري: تاريخ الحروب الصليبية.

² - د/ محمد السماك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس ط1، 1998 لبنان ص 110.

³ - المرجع نفسه ص 112.

المسيحي وانعدام التسامح، كما كان للكنيسة أيضاً تحالفٌ مع المدّ الاستعماري الغربي، الذي تقاسم أشلاء الرجل المريض بداية من القرن الثاني عشر، ثمّ كانت يقضه العالم الإسلامي ومقاومته للغرب المسيحي، حيث كان للدين الإسلامي دور فعّال في شحذ العزائم لمقاومة الاستعمار الدخيل⁽¹⁾.

واليوم ينمو في العالم الإسلامي شعور بأنّ العلاقات مع العالم الغربي تشهد صراعاً حضارياً، يستهدف إلغاء الآخر، وأنّ الآخر المستهدف بالإلغاء والاستعداد هو الإسلام، وتتغذى عملية الصّراع والاستعداد هذه من:

أ- الذاكرة التاريخية الغربية الحافلة بصور العداء التشويهية للإسلام، التي تتحول يوماً بعد يوم إلى حالة مرضية لدى الغرب المسيحي.

ب- ردّ الفعل العنفي الذي تستدرج إليه حركات إسلامية، في بعض الدول العربية الإسلامية وحتى في بعض الدول الغربية.

ج- استنفار الإعلام الغربي لتوظيف ردّ الفعل هذا في عملية شحن المجتمعات الغربية بمشاعر العداء، بحيث تتقبل هذه المجتمعات مسؤوليات المواجهة مع العالم الإسلامي، على أنّه شرٌّ لا بدّ منه⁽²⁾.

ومن هنا فالطرف المسيحي مطالب ببذل قصارى جهده للتخلّص من عداوات الماضي، والتي تتغذى منها عداوات الحاضر، وأن ينظر فيها في جوٍّ من الحوار الصّريح، والنقد التاريخي السليم، ثمّ التنديد والاعتذار عمّا جرى فيها من استخدام منحرف، إن لم يكن مأكراً، للقيم الدينية. وبهذا تتحرر هذه القيم الدينية المسيحية من المظالم التاريخية، والحاضرة التي ارتكبتها المؤمنون باسمها، ويصبح من الممكن أن يشرع الجميع في نسيان نتائجها. إنّ الجدير بالملاحظة هنا هو أنّ الانحراف واقع في وجود تصوّرات تشكّلت انطلاقاً من السياقات التاريخية، وليس من النصوص المقدّسة، ذلك أنّ الاطلاع على الكتب المقدّسة يوصل إلى الوقوف على قواعد وأسس تجعل من كل البشرية وحدة واحدة، تتعارض مع التصوّرات التي تقسّم النّوع الإنساني إلى مجموعات وتحت مجموعات.

¹ - محمد الطائي: الإسلامي والحوار، ضمن كتاب وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين ص 22.

² - محمد السّمّاك: مرجع سابق ص 98.

إنّ المسيحيين يجب عليهم اليوم أن يضعوا تاريخ علاقتهم بالمسلمين، الذي أسى فيه فهم أسباب الاختلاف، موضع المسألة ليتحقّقوا من أنّ سبيل الحوار قد يصل بهم إلى علاقات أفضل وتعاون، في سبيل الحقّ وخدمة مصلحة الناس وخير الكون.

ج- معوقات أخرى: بالإضافة إلى المعوقات العقيدية، والمعوقات التاريخية، والتي تقف كلّها في سبيل الحوار المسلم كي تكون مشاركته وحضوره في عملية الحوار مثمرة ونافعة، يمكن الوقوف على معوقات أخرى هي كالآتي:

١- التبشير: تعود محاولة تنصير المسلمين إلى عهود الإسلام الأولى، فلقد كان هدف وفد نصارى نجران ردّ المسلمين وعلى رأسهم النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- عن الاعتقاد في بشرية عيسى عليه السّلام، إلى الاعتقاد في ألوهيته، ولئن رجع هذا الوفد مقتنعاً بصدق نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- وإن أضمرها لاعتبارات غير دينية (سياسية واقتصادية)، فإنّ محاولات أخرى قد تمت من طرف رجال الدين المسيحي لنفس الغاية، وقد سبق أن أوردت في البحث، في الفصل الثالث منه، رسالة بطرس المجلّ التي يدعو فيها المسلمين إلى المسيحية، والتي جاء فيها: "من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة من أولئك الناس الذين يطلق عليهم اسم الرهبان إلى العرب أبناء اسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً، قد يبدو غريباً، ومن الممكن أنّه كذلك، إنّني إنسان بعيد عنكم موطناً، وأتكلّم لغة أخرى، وأفكر بصورة مختلفة، وأعرف أنّ عاداتكم وغط حياتكم مغايرة لحياتنا وغط معيشتنا، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب، إلى شعوب الشرق والجنوب الذين أرجّح أنّي لن أتمكّن من رؤيتكم أبداً، لكنني أردت أن أجيئ إليكم ليس بالسلاح، كما يفعل المسيحيون في أغلب الأحيان، وإنّما بالكلمة ليس بالبغض والكراهية، وإنّما بالحبّة، بتلك الحبّة التي يجب أن تكون بين أولئك الذين يحملون المسيح وأولئك الذين استداروا عنه بتلك الحبّة التي وجدت بين رسل المسيح (حواريوه وتلاميذه) والوثنيين وهكذا، فأنا أيضاً، واحد من عدد لا يحصى من خدام المسيح بل الأصغر من بينهم... إنّني أحبكم، وبمحبة أكتب إليكم داعياً إياكم للخلاص، ليس الخلاص الذي يزول ويتبدّل، وإنّما إلى الخلاص الذي يقوم ويبقى ويدوم... ليس الخلاص الذي ينتهي مع انتهاء الحياة القصيرة، وإنّما إلى ذلك الخلاص الذي يستمر في الحياة الأبدية".

وفي مطلع القرن الماضي (العشرين) عقدت في العالم الإسلامي عدّة مؤتمرات مسيحية تبشيرية، ضمت مختلف الكنائس، أهمها:

- مؤتمر حلوان (القاهرة) 1921 م.

وكانت كلّها بين شهري فيفري ومارس من سنة 1924م

- مؤتمر القدس (فلسطين).
- مؤتمر استنبول (تركيا).
- مؤتمر برمانه (لبنان).
- مؤتمر بغداد (العراق).

وقد تشكّل على إثرها مجلس التبشير العالمي بزعامة جون موط⁽¹⁾. ليعقد بعدها أول مؤتمر تبشيري عام في القدس، بين 3 و 7 أبريل 1924⁽²⁾، أي بعد شهر واحد بالضبط من إعلان كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية، وقد لخصّ جون موط في كتابه "العالم الإسلامي اليوم" الاعتبارات التي تحكّمت في توقيت وأمكنة انعقاد مؤتمرات مجلس التبشير بالقول: "إنّ تغيّرات عميقة شملت العالم الإسلامي مما يستدعي البحث عن منطلقات جديدة للنشاط التبشيري"⁽³⁾. والمنطلقات الجديدة معناها اجتياح العالم الإسلامي بحرب هستيرية تبشيرية، فبعد أن كان هذا النشاط موجّهاً إلى الأقليات المسيحية في الدولة العثمانية، وبعد أن كان مستقلاً عن توجيهات الدول الغربية، التي حاذرت إثارة مشاعر المسلمين في الشرق، خوفاً من تقوية نزعة الجامعة الإسلامية وتيار الارتباط بتركيا بلد الخلافة، رأى جون موط ومجلس التبشير العالمي أنّ الوقت قد حان لاقتحام الحياة الإسلامية، بدعم من الدول الغربية هذه المرّة (رغم ادعائها العلمانية واللا دينية)، وقد لخصّ جون موط أعمال مؤتمرات سنة 1924م فقال: "إنّها استكشفت مايؤول إليه العالم الإسلامي من ضعف وتفكّك، آياته حلول الوطنية في مجال السياسة محل الجامعة الإسلامية، ووهن القبضة الإسلامية على مجال الحياة الاجتماعية

¹ - مبشر أنجليزي (1861-1955) يعتبر أحد أقطاب العمل المسكوني (الحركة العالمية المسيحية)، ومؤسس حركة التبشير العالمي.

² - د/ سعيد المولى: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة ص 132.

³ - المرجع نفسه، ص 133.

بتغير وضع المرأة وخاصة في المدن، وفي مجال الثقافة ماسببه الاتصال بالحضارة الغربية وعلومها من تكوين نفسي جديد لدى المسلمين⁽¹⁾.

لقد ساهم نشاط الحركات التبشيرية في تعميق انقسام المجتمعات الإسلامية العربية، وتأزيم وتوتر تمزقاتها من خلال:

- التركيز على الطائفية (الدينية والعرقية).

- تدعيم انفصال النخب المتغربة عن جماهيرها.

- تسيط الدولة الحديثة وأجهزتها ومؤسساتها، كأدوات انتاج وإعادة

انتاج كل مظاهر وسلوكيات وقيم التغريب، والتعصب الطائفي، والتمزق المجتمعي.

وقد ربطت ذاكرة الناس في البلاد الإسلامية، بين الحركات التبشيرية وبين سياسة الاقتناص، وهي السياسة التي مارسها الإرساليات التبشيرية ضد المسلمين، هذا الاقتناص الذي يتم بواسطة التبشير، لهذا أعتبرت دعوات الحوار في ظروف الغلبة والقهر، ستاراً لتمويه وإخفاء مقاصد الهيمنة والردّة. لقد وقفت جماعة من العلماء المسلمين⁽²⁾ على بعض الحقائق والمواقف المثيرة، للمسيحيين أو لطائفة منهم، جعلها تجزم بأن هؤلاء المسيحيين لا يؤمنون بالحوار ولا بالتعايش ولا بالتعاون، وهم إذا نادوا بالتعايش أو دعوا إلى الحوار، فإنما يقصدون بذلك استغلاله لفرض الهيمنة الدينية، التي لا تكاد تختلف في شيء عن الهيمنة السياسية والاقتصادية. تقول الدكتورة زينب عبد العزيز: "تحت عنوان الحوار مع الإخوة من ديانات أخرى من الفصل الخامس من رسالة الفادي، تلك الرسالة التي قال عنها البابا يوحنا بولس الثاني: إنها تتضمن رأيه وموقفه من الإسلام والمسلمين نقراً: إنّ الحوار بين الديانات يشكّل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية، فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناء متبادلين، لا يتعارض مع الرسالة إلى الأمم (التبشير) وأنه بالعكس مرتبط بها بنوع خاص، وهو تعبير عنها. ثمّ يستطرد قائلاً: إنّ الخلاص يأتي من المسيح، وأنّ الحوار لا يُعفي من التبشير بالإنجيل بل إنّ الكنيسة لا تعتبر أن هناك أي تعارض بين البشارة بالمسيح والحوار بين الديانات"⁽³⁾.

¹ - د/ سعيد المولى: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المفاخرة، ص 134.

² - منهم الدكتورة زينب عبد العزيز، الدكتور عبد الودود شلي، الدكتور عمر فروخ والدكتور مصطفى الخالدي.

³ - د/ زينب عبد العزيز: تنصير العالم ص 38.

وإذا كان هذا النصّ ليس بحاجة إلى تفسير، لأنّه شديد الوضوح في تحديد معنى الحوار في نظر البابا يوحنا بولس الثاني، حيث لا يخرج عن كونه مجالاً لمواصلة عملية التنصير، فإنّ هناك نصّاً آخر ورد في الخطبة الرسولية المعنونة بـ: "تبليغ التعليم الديني" للبابا يوحنا بولس الثاني أيضاً، والتي أديعت عام 1979م، جاء فيها: "إنّ رسالة البشارة (التنصير) متضمنة في الثقافة الإنجيلية التي يجب ألاّ تنفصل عنها، إنّها تنتقل عبر حوارٍ رسولي متضمن بالضرورة في حوار ثقافي بعينه، إنّ قوّة الإنجيل قادرة على التغير والتجديد، لذلك يجب ألاّ يتغير الإنجيل أو يتأثر عند اتصاله بالثقافات، وعندئذ إنّ التعليم الديني سيتأصل في مختلف الثقافات، ويضفي كمال المسيح على قيمها الشرعية"⁽¹⁾.

فإذا كان الحوار بين الثقافات، وبالتالي بين الأديان، هو بهذا المفهوم عند الفاتيكان، فهذا يعني أنّ الحوار عندهم يهدف إلى تنصير العالم، هذا بخلاف المفهوم الإنساني السّامح للحوار عند المسلمين. إنّ الحوار بين الأديان يفقد جدواه وقيّمته، حين ينقلب دعاته إلى الإصرار على استغلاله وتوجيهه الوجهة التي لا تخدم الأهداف الإنسانية، التي هي موضع اتفاق الأطراف الراغبة في الحوار، ذلك أنّ الواقع يسجل أنّه في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات الدّاعية إلى الحوار بين الأديان يُخطّطُ على أعلى المستويات لمحاربة الإسلام بصفة خاصة، وهذا مايزيد من قوّة موقف الرّافضين للحوار، انطلاقاً من عدم جدواه أو عدم براءة أهدافه، إنّ لم يعمل على توقيفه كلية. يقول الدكتور محمد السّماك: "ثمّة أمرٌ آخر يشكّل عقبة مبدئية في سبيل حوار جديّ وموثوق به، وهو شعور المسلم بالإحراج والضيق من جراء جلوسه إلى طاولة الحوار مع الكنيسة الغربية، في الوقت الذي تقوم فيه هذه الأخيرة بعمليات تبشير واسعة النطاق في دول إسلامية فقيرة أو متخلّفة في آسيا وإفريقيا، وينتاب المحاور المسلم شعور بأنّه، في ذلك، يرتكب إثماً خيانة مسلمي هذه الدول وخذلانهم بدلاً من التضامن معهم وشدّ أزرهم"⁽²⁾.

هذا ويرتبط بمشكلة التبشير وعلاقتها بالحوار، ارتباط الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية بالغرب، وما يحمله الغرب من تقدّم، لقد أصبحت الكنيسة تفرض التقدم الغربي على أنّه شكل من أشكال الخلاص الجديدة، طبقاً للشعار: ليس هناك أي خلاص خارج طريقتنا في

¹ - د/ زينب عبد العزيز: تنصير العالم، ص 107.

² - د/ محمد السّماك: مرجع سابق ص 82.

الحياة، وعليه فإن من لا يكون مثلنا على هذا النحو، يُعدُّ في عرف الحضارة متخلفاً، وهو أمر لا يقبله المسلمون.

2- **عدم الإعداد الجيد للحوار:** إنَّ الحوار يجب أن يكون بين جهتين متكافئتين في الوسائل والإمكانات، وقد يتوقف الحوار، أو على الأقل، يقع بطريقة غير مُرضية، لانعدام التكافؤ بين المتحاورين، وهذا الأمر هو أكثر الصعوبات التي تقف في سبيل إنجاح عملية الحوار الإسلامي المسيحي.

إنَّ الطرف المسيحي أدرك مدى أهمية إعداد المحاورين المتخصّصين، الذين يضمنون له طول النفس في عملية الحوار، لقد ارتبط هذا الاهتمام ببداية التوجّه الجديد للكنيسة نحو الحوار مع أصحاب العقائد الأخرى، في المجمع الفاتيكاني الثاني، لقد جاء في المجموعة الثانية من الوثيقة الصادرة عن المجمع مايلي: "يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار، رجال دين يعرفون كيف يُصغون إلى الآخرين، وكيف يفتحون قلوبهم لجميع حاجات النفس الإنسانية... وفوق ذلك يجب أن يُعدّوا بطريقة موافقة لتفهمهم الوسائل الفنيّة والتي لا بدّ منها، حتى يستطيعوا أن يُسهموا بنشاط في الجماعات التي تتألّف منها الجماعات الإنسانية، وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين"⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أنَّ تلك الجهود لم تقع دون مآسٍ وتمزّق وأزمات، إلّا أنَّ من نتائجها أن أصبحت الكنيسة تشعر أنَّها أكثر تقدّماً وأحسن تسلّحاً واستعداداً للحوار، كما استطاعت أن تجمع في كلّ الميادين ومختلف فروع المعرفة مُحاورين مؤهلين للحوار⁽²⁾.

كما استطاع علم اللاهوت المسيحي، من جهته، أن يُعْثِم من مواجهته للنظم الفكرية الغربية وغير الغربية، حيث كانت أخطرها عليه أكثرها نفعاً له، وذلك لأنّها جعلته تحت تأثير اعتراضها عليه وانتقادها إيّاه في توتر مخصب، سمح له بتجديد قضاياه وأدواته في معالجتها.

أما الطرف المسلم المحاور، فإنَّ مثليه وإن كانوا، من الناحية العلمية، محيطين بعموم التعاليم الإسلامية، فإنَّ غالبيتهم غير مدربة وغير معدّة للحوار، وتبقى اجتهادات بعضهم للإعداد متواضعة

¹ - وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني المجموعة الثانية ص 20 و 178 نقلاً عن عبد الودود شلي: حوار الأديان أسرارهِ وخفاياه ص 30.

² - د/ محمد الطالبي: الإسلام والحوار : ضمن وثائق عصرية في سبيل الحوار ص 47.

ولا تكفي، أمام مؤسسات وجحافل من رجال الدين المسيحي المدربين والمؤهلين⁽¹⁾. إن نقص المؤهلات العلمية، خاصة بالنسبة للمحاور المسلم، لا يمكنه من خوض تجربة الحوار بنفس مستوى المحاور المسيحي، ومردّ هذا النقص الكبير، إلى نقص في المؤسسات التي تشرف على تكوين المختصين في الدراسات المسيحية، والأديان المقارنة عموماً، فما هو موجود يمكن وصفه بأنّه إعادة إنتاج وتسويق لتراث الأجداد الذين أدّوا ما عليهم في أزمانهم، يقول الدكتور محمد السّمّاك: "أما المحاور المسلم فإن معرفته عن المسيحية تكاد تنحصر بالنصّ القرآني، أما دراسة اللاهوت المسيحي وفلسفته، فكانت في معظم الأحيان غائبة عن ثقافة المحاور المسلم"⁽²⁾. ويرجع هذا الضعف إلى توقّف علم الكلام الإسلامي عند التطوّر منذ القرن الثاني عشر الميلادي، لقدّ فقدَ هذا الأخير، صلته بالعالم تدريجياً، ولم تطرأ عليه طوال قرون مشكلة جديدة تجعله يتأثر، وتضطّره أن يتوغل أكثر في فهم قضايا كثيرة، لهذا تراه يتصف بالتحرّج ولا نفيذ منه إلا فائدة تاريخية.

ورغم محاولات بعض المسلمين في التوجّه إلى تجديد علم الكلام من حيث القضايا ومناهج الاستدلال والبحث، إلّا أنّ هذه المحاولات تقابلها محاولات، ربّما تكون أقوى من حيث الوسائل والإمكانات، تهدف إلى إعادة إنتاج التراث الكلامي القديم لشغل عقول الناس بمسائل كلامية تاريخية، وهذه المحاولات الأخيرة تقف وراءها جهات لها مصلحة في استهلاك العقل العربي للمنتوج الفكري القديم المعاد انتاجه. ومن مظاهر تخلف الطرف الإسلامي في الحوار عن مثيله المسيحي نقص المتابعة، إذ لا توجد مراكز إسلامية تختص في تتبّع عملية الحوار الإسلامي المسيحي، برصدها ودراسة نتائجها، ومتابعة تطبيق ما يمكن أن يكون خدمة لمصالح المسلمين، كما يرتبط بانعدام المراكز المتخصصة، عدم توفر نشرات ودوريات خاصة بهذا المجال، تكون في خدمة الباحثين الرّاعيين في متابعة عملية الحوار الإسلامي - المسيحي⁽³⁾. وللعلم فإنّ الضعف الذي يعانيه المحاور المسلم، لا يرجع إلى ضعف في عقيدته، وإنّما مرجعه إلى ما يحيط بهذا المحاور من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية.

¹ - د/ عبد الودود شلي: حوار الأديان أسرارهِ وخفائهُ: ص 31.

² - محمد السّمّاك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص 80.

³ - نشرت اللّجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية نشرية باللّغة العربية ومترجمة إلى الفرنسية والإنجليزية بعنوان خطوات نحو قِمة بين أتباع الديانات.

وقد كان لهذا التفاوت، في درجة الاستعداد والإعداد لعملية الحوار، انعكاسات على المحاور المسلم بالدرجة الأولى، وعلى عملية الحوار الإسلامي - المسيحي بالدرجة الثانية، فقد كان استعداد الطرف المسيحي عاملاً موجّهاً لعملية تحديد مواضيع الحوار واختيارها، فترى مثلاً كيف كانت تنطلق حملات اتهام الإسلام بعد احترام حقوق الإنسان عامة، وحقوق المرأة خاصة، ثم كيف كانت تنظم المؤتمرات والتدورات لبحث مواضيع حقوق الإنسان من وجهتي نظر الإسلام والمسيحية، فتعقد هذه اللقاءات الحوارية انطلاقاً من اتهام مسبق للإسلام، الأمر الذي يضع المحاور المسيحي في موضع الهجوم أو النقد، ويضع المحاور المسلم في موضع الدفاع عن النفس، الأول في موقع قوة المُتَّهَم، والثاني في موقع ضعف المُتَّهَم⁽¹⁾.

كما أنّ للتفاوت في الإمكانيات والوسائل انعكاسات أخرى، تجعل المحاور المسيحي يحتل موقع الغرب إلى طاولة الحوار، وهو موقع فوق، يعكس تقدّم الغرب التقني وتفوقه السياسي والاقتصادي والعسكري، وغلبته المعنوية على الشرق، ويجد المحاور المسلم نفسه في موقع يعكس حالة الضعف التي تنتابه، كما يعكس حالة عدم الرضا على هذه الحالة التي يتحمل الغرب مسؤوليتها.

ومع هذا اللاتكافؤ والتوازن تجري الحوارات وفي ذهنية كل من الجانبين أهداف غير معلنة، أبعد ما تكون عن الروحانية الدينية، أو عن الرغبة في اكتشاف آفاق معرفية وإيمانية مجهولة، فالغرب يوظف الحوار بهدف التعرف بشكل أفضل على ذهنية المسلمين، ودراسة التحوّلات المستجدة في الفكر الإسلامي عن قرب، لتسهيل عملية الاحتواء والاستيعاب ثمّ التدجين، أما المحاور المسلم فإنه يُقدم على الحوار لإثبات حسن النية تجاه المسيحية، وبالتالي تجاه الحضارة الغربية.

3- قضية فلسطين:

تأتي قضية الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي لفلسطين، والاعتداءات الناتجة عنه، على الشعب الفلسطيني، والأماكن الإسلامية المقدسة (القدس الشريف)، ضمن سلسلة المعوقات التي تعرقل السير الحسن، ونجاح عملية الحوار الإسلامي المسيحي، ذلك أنّ الموقف المسيحي وخاصة

¹ - محمد السّمّاك: مرجع سابق ص 81.

الكاثوليكي في العقود الأخيرة كان غامضاً ومذبذباً، ثم متسامحاً مع الحركة الصهيونية ثم متعاطفاً ومتحالفاً معها مؤخراً، وتجلى ذلك في:

1- ما أسفر عنه المجمع الفاتيكاني الثاني، حيث تم تبرئة الأجيال اليهودية من جريمة قتل السيد المسيح عليه السلام.

2- ما حدث سنة 1974، حيث أصدر الفاتيكان بياناً لم يرفض فيه لأول مرة إنشاء دولة يهودية من حيث المبدأ، وإن كان دعا إلى وجوب التعامل مع القضية الفلسطينية على قاعدة شعب له حقوق، وليس على قاعدة معالجة مأساة اللاجئين فقط⁽¹⁾.

3- ما حدث في مؤتمر طرابلس-ليبيا- حيث رفض ممثلو الفاتيكان التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر، لأن الفقرتين الأخيرتين منه، جاء فيهما إدانة للكيان الصهيوني، واعتراف بالحقوق الفلسطينية⁽²⁾.

4- توظيف الحوار في الشرق الأوسط، باختيار موضوعات تتلاءم مع مساعي التسوية السياسية بين إسرائيل والعرب، مثل موضوع " دور الدين في السلام " أو " مفهوم السلام في الأديان " وعلى سبيل المثال جاء الاجتماع الحواري بين شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، مع أمين سرّ شؤون غير المسيحيين في الفاتيكان في عام 1977، الكاردينال بينادولي، متلازماً مع زيارة الرئيس المصري، آنذاك، أنور السادات إلى القدس المحتلة وإلى تل أبيب، وكان الإخراج الإعلامي السياسي لهذا الاجتماع أكثر لمعناً وبريقاً من المضمون العلمي الجاد⁽³⁾.

5- اعتذار الفاتيكان لليهود سنة 1993، عن سكوته على المحازر التي ارتكبتها النازية في حقهم.

6- وقد خطت العلاقات الفاتيكانية الإسرائيلية خطوات كبيرة إلى الأمام وتسارعت، خاصة بعد مؤتمر مدريد في 3 أكتوبر من سنة 1991 (حيث جرت المفاوضات بين العرب وإسرائيل)، لتصل إلى اتفاق 30 ديسمبر 1993، اعترف بموجبه الفاتيكان بدولة إسرائيل، وكرّس اعترافه بالديانة اليهودية.

والجدير بالملاحظة في هذه القضية، أي العلاقات الفاتيكانية الإسرائيلية، هو أن المسلمين لم يستغلوا الموقف المبدئي للفاتيكان الرافض للاعتراف بالصهيونية ودولة إسرائيل، ولم يحولوه

¹ - محمد السّمّاك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص 121.

² - مجلة المسلم المعاصر العدد 5، 1976 ص 142 وما بعدها.

³ - محمد السّمّاك: مرجع سابق، ص 81.

إلى جبهة تتعاون من أجل سدّ الطريق أمام قيام علاقات بين الفاتيكان وإسرائيل، ولكي نكون منصفين، أمام حقائق التاريخ يجب تسجيل مايلي:

- لقد أصدر البابا غريغوري الثالث عشر سنة 1581، حُكماً بإدانة اليهود نصّ على: "إنّ خطيئة الشعب الذي رفض المسيح وعذبه تزداد جيلاً بعد جيل، وتحكم على كل فرد من أفرادهِ بالعبودية الدائمة"⁽¹⁾.

- التزم البابوات الذين تعاقبوا من بعده هذا الموقف وفي 1 ماي 1897، عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول صدر عن الفاتيكان بيان جاء فيه: "لقد مرّ حوالي ألف وثمانمائة وثلاثون سنة على تحقيق نبوءة المسيح بأنّ القدس سوف تدمّر... أمّا فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها، فيتحمّل علينا أن نضيف أنّ ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه"⁽²⁾.

- بعد سبع سنوات، من إعلان هذا الموقف، وجّه البابا بيوس العاشر رسالة جوابية إلى ثيودور هرتزل⁽³⁾ جاء فيها: "لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع هذه الحركة الصهيونية، نحن لانستطيع أن نمنع اليهود من التوجّه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نُقرّه، إنّني بصفتي قيماً على الكنيسة لا أستطيع أن أحييك بشكل آخر لم يعترف اليهود بسيدنا، ولذلك لا نستطيع نحن أن نعترف بالشعب اليهودي"⁽⁴⁾.

وعندما استقبل البابا بيوس العاشر في عام 1904 ثيودور هرتزل أبلغه رفضه إقامة وطن لليهود في فلسطين، لأنّ إقامة وطن يهودي يتناقض مع المعتقد الديني المسيحي.

يتبيّن من ذلك أنّ الالتزام الديني الكاثوليكي كان يملّي موقف الفاتيكان السياسي، وبالتالي فإنّ العقيدة الدينية المسيحية كانت تشكّل في ذاتها مانعاً في وجه الحركة الصهيونية يتعذر

¹ - محمد السّمّاك: مرجع سابق، ص 118.

² - المرجع نفسه ص 119.

³ - يهودي مجري ولد في بودابست عام 1860 وتوفي عام 1904، ودُفِنَ بغيينا ثم قامت إسرائيل بنقل رفاتهِ في صيف 1949 ودفن في " جبل هرتسل " بالقدس ، وهو مؤسس الحركة الصهيونية التي كان هدفها الأوّل إقامة وطن يهودي على أرض فلسطين، ترأّس أوّل مؤتمر صهيوني في مدينة بازل السويسرية، شكّل بعده أدوات العمل الصهيوني مثل " حزينة اليهود " الصندوق القومي اليهودي " كما أصدر صحيفة دي فلت، ونظر للفكرة الصهيونية من خلال كتابه " دولة اليهود الذي صدر عام 1895.

⁴ - محمد السّمّاك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص 120.

اجتيازه، وعند صدور وعد بلفور (1917) عارضه الفاتيكان، وتمثلت ترجمة هذه المعارضة في استقبال البابا للبعثة العربية الفلسطينية، التي زارت الفاتيكان في عام 1921م، حيث دعم البابا وشجع المسيحيين العرب على المشاركة في الكفاح الوطني العربي ضد الحركة الصهيونية⁽¹⁾. ولكن الجدير بالذكر، والملاحظة، أن هذا العداء الإسلامي المسيحي للحركة الصهيونية، ومشروع إقامة دولة يهودية في فلسطين، لم يترجم إلى استراتيجية للتعاون الإسلامي-المسيحي وبالتالي ضاعت فرصة تاريخية كبيرة من دون أن تتلقفها مبادرة ذات رؤية مستقبلية، تبني على هذا العداء المشترك قاعدة تفاهم إسلامي-مسيحي، كان يمكن أن يقف في وجه المشاريع الصهيونية في فلسطين والمنطقة⁽²⁾.

ولكن في الجانب المقابل، كانت إسرائيل ترصد الفرص، بل تنتجها، من أجل إقامة علاقات مع الفاتيكان، وهكذا استغلت نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية و ضغطها السياسي على الدول الكاثوليكية، وبالتالي على الفاتيكان، الذي لم يصبح في منأى عن هذه الضغوط والتأثيرات، لينتقل من الرفض المبدئي المبني على عقيدة دينية إلى التعامل مع الواقع، المبني على معطيات وحسابات سياسية واقتصادية، ولعبت عوامل أخرى دورها في هذا التطور على مستوى علاقات الفاتيكان مع إسرائيل ومنها:

- عدم قدرة الفاتيكان على البقاء وحده خارج مسرح العمل السياسي الدولي الإقليمي الجديد (بعد أن أصبحت الولايات المتحدة راعية لإسرائيل).

- لم يعد الموقف العربي من إسرائيل مخرجاً، من الناحية السياسية، للفاتيكان، خاصة بعد الشروع في مفاوضات السلام في نهاية 1991، ليصل الأمر بالفاتيكان سنة 1994 إلى اتهام التقاليد اللاهوتية المسيحية بخلق العداء ضد لليهود، المعروف باسم "معاداة السامية". جاء في وثيقة أعدتها أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الألمانية والكنيسة الكاثوليكية البولونية، بمعرفة الفاتيكان طبعاً، صدرت في 27 ماي 1994 مايلي:

"إن مزيجاً مخيفاً من العداء الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعنصري تجاه اليهود، شكّل الأرضية لحصول المحرقة (المحرقة النازية)، ولم تحرك الكنيسة ساكناً لوقف اضطهاد اليهود

¹ - محمد السّمّاك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص 120.

² - المرجع نفسه ص 125.

وإباداتهم على أيدي النازيين... إن التقاليد اللاهوتية للكنيسة المعادية لليهود شكّلت عنصراً مهماً أدى إلى المحرقة، فالكنيسة والدين المسيحي ساهما في إيجاد أجواء من اللامبالاة، لابل، من العداء للشعب والدين اليهوديين، مهّدت الطريق لمعاداة السامية العصرية"⁽¹⁾.
إن هذا التطور في علاقة الفاتيكان بإسرائيل يقف اليوم عائقاً أمام الحوار المسلم، الذي يجلس إلى طاولة الحوار مع طرف لا يستطيع إدانة من يعتدي يومياً على حرّيات المسلمين.

المطلب الثاني: معوقات الطرف المسيحي:

رغم أن الدعوة إلى الحوار في العقود الأخيرة، كانت مسيحية، إلا أنها اصطدمت بجملة من المعوقات، يمكن تلخيصها كالآتي:

أ- المعوقات العقديّة:

يخصي الحوار المسيحي من جانبه جملة من المعوقات العقديّة، التي تكونت في ذهنية الحوار المسلم عن المسيحية، والتي يرى فيها المسيحي أنها انتقاص من معتقداته، ومن هذه المعوقات:

- تصوّر الحوار المسلم للكتب المقدّسة المسيحية على أنها محرّفة.

- تصوّره للأسرار المسيحية (التعميد، العشاء الرباني، تقديس الصليب) على أنها غير مقبولة عقلاً، وأنها غير نافعة.

- تصوّره للمسيحيين على أنهم خانوا رسالة المسيح عليه السلام، ذلك أن المسلم يعرف من خلال القرآن أن المسيح جاء بالتوحيد، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده، إلا أن المسيحيين اليوم يقولون بألوهية المسيح، ويدعون الناس إلى تقديسه وعبادته.

- تصوّره للتوحيد المسيحي على أنه غير كامل، إذ يعتقد المسيحيون أن الألوهية ثلاثة أقانيم متّحدة، أو كما يعتقدون ويقولون: وحدوية في تثليث وتثليث في وحدوية.

- تصوّره للكنيسة على أنها مجرد سلطة دنيوية، ليس لها علاقة بعالم الروح، وأنها ارتكبت، بسبب انشغالها بالدنيا، مظالم ضد الإنسانية كان من نتائجها الاتحاد، العلمانية، الإباحية، والاستهتار بالقيم الدّينية جملة وتفصيلاً.

¹ - محمد السّماك: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص 111.

- المعوقات التاريخية:

لقد قامت عداوات كثيرة بين أتباع المسيحية وأتباع الإسلام، فمنذ نشوء الدولة الإسلامية في المدينة وانتشار الإسلام، ظهر التضاد الديني والايديولوجي بين الإسلام والمسيحية، مما أدى إلى توتر العلاقات على الصعيد الفكري، ثم على الصعيد العسكري، لقد كان سوء فهم الاختلافات، (خاصة بالنسبة للطرف المسيحي) منطلقاً لنزاعات أليمة، كانت بداياتها محاولة إرجاع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه عن الإسلام، عن طريق الصراع الفكري الذي تمثل في مناظرة وفد نجران للنبي - صلى الله عليه وسلم - في مدينته، قصد إسكات صوت الدين الجديد في المهدي. بعد ذلك كان الصراع العسكري، وكانت القبائل العربية المدعومة بقوة الأباطورية الرومانية، صاحبة المبادرة إلى الاعتداء على المسلمين، فكانت غزوة مؤتة وغزوة تبوك، ثم معارك فاصلة بعد ذلك كانت الغلبة فيها للمسلمين، كما أدى انتشار الإسلام في بلاد كانت السيادة الدينية فيها للمسيحية، والعسكرية والسياسية للرومان، إلى تكون أحقاد زادت الأيام والسنون من شدة لهيها، لقد كان القادة الرومان ورجال الدين المسيحي يراقبون انتشار الإسلام، وتقويضه لأطراف الأباطورية الرومانية المسيحية، ويأملون في يوم تكون لهم فيه الغلبة على أتباع هذا الدين، لقد امتد انتشار الإسلام إلى مصر والشام ثم إفريقيا، حتى وصل إلى أوروبا واستقر بإسبانيا (الأندلس) وكاد يفتح بلاد الغال (فرنسا)، لولا تراجعهم في معركة (بواتيه) وسط فرنسا، وكان على رأس هذا كله، فتح المسلمين للقدس سنة (15هـ) وهي المدينة المسيحية المقدسة، مهد المسيحية الأول، ورغم ما أبداه المسلمون من احترام للأماكن المقدسة والعمل على ترميمها، ومن تبجيل لرجال الدين المسيحي، إلا أن ذلك لم يشفع للمسلمين عند المسيحيين واستمر الحقد وتحيين الفرص للثيل من المسلمين، ولم تكف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عند أحلامها في استعادة الأراضي التي احتلها المسلمون إلى حظيرة المسيحية، كما ظلت توجج المشاعر وتلهب الأحاسيس بالحقد وروح الانتقام، حتى كان القرن الحادي عشر الميلادي 1095م، تاريخ الحروب الصليبية ضد المسلمين.

وظل الإسلام بعد ذلك ألد أعداء الكنيسة، شهد على ذلك تنكيل المسيحيين الإسبان بالمسلمين في الأندلس، ومتابعة مطاردتهم حتى بعد هجرهم إلى بلاد المغرب العربي، ثم اجتهاد المؤسسة الكنيسية في التعاون مع الدوائر الاستعمارية الغربية ومساندتها ضد المسلمين.

ويبقى الخوف من الإسلام ومن عودته مجدداً إلى منافسة المسيحية، في مجال العمل الدّيني رغم عجز أتباعه سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ويبقى عمل المسيحيين لتخويف المجتمعات الغربية من عودة ما يسمونه التطرف والإرهاب الإسلامي الذي يهدّد أمنهم وسلامتهم، بدافع من التّصورات التي تكوّنت في حقب تاريخية ماضية.

ج- الحركات الإسلامية (الإسلام السياسي):

إنّ التّصور المؤكّد عند عامة المسلمين عن الإسلام، أنّه ليس مجرد دين يحدّد للإنسان علاقته برّبه فقط، بل ينطلق ليرسم علاقة الإنسان بالإنسان ثمّ بالحياة في جانبيها الرّوحي والمادي، ومن هنا كانت فكرة أنّ الإسلام دين دولة، أي أنّه يتضمّن في كيانه الفكري تشريعات تنظّم للإنسان حياته، ومفاهيم تحدّد له عقيدته وطريقته في الحياة.

وعلى هذا الأساس نشأت الحركة الإسلامية المعاصرة، من أجل أن تجرّب تحويل مبادئ ومفاهيم الإسلام إلى واقع معيش، كما يجرب أصحاب أيّ فكر تحويل فكرهم إلى الواقع⁽¹⁾. إنّ عمل هذه الحركات على تحويل مبادئ الإسلام ومفاهيمه، عن الحياة وعن علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالكون، إلى واقع حيّ اعتبرته الدّوائر المسيحية الغربية تشدداً يصعب التعامل معه، يقول موريس بورمانس "اهتمامهم (المسلمون الحركيون) بالممارسة الدّقيقة للعبادات كبير، وتمسّكهم بالتنظيم الإسلامي المدني شديد، لذا فهم عازمون على التعبير عن غيرهم في سبيل الله بتطبيق الشريعة دوغما تسامح، وهكذا يرجعون الإسلام إلى أصوله الأساسية (القرآن والسنة والشريعة)، ويودّون المضي في تشدّدهم إلى حدّ بعث مؤسسات كان يُظنّ أنّ الزّمن تخطّأها، من مثل حكم الدّمة بالنسبة إلى مواطنهم اليهودي أو المسيحي والعقوبات الجسدية التي يحدّدها القرآن (الجلد، قطع اليد)، هذا مع إلحاحهم على ماتقتضيه العدالة الاجتماعية لمصلحة أشدّ الناس فاقة"⁽²⁾.

إنّ ارتباط المؤسسات الكنسية، (الكاثوليكية والبروتستانتية)، بالدّوائر الاستعمارية القديمة والمعاصرة، جعل عدوى الخوف من الإسلام السياسي تنتقل إليها، ذلك أنّ الإسلام السياسي

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي - المسيحي ط 1 1994 دار الملاك - لبنان ص 48.

² - موريس بورمانس، توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين ترجمة يوحنا منصور منشورات المكتبة

البولسية بيروت لبنان ط 1 1986 ص 39.

المعاصر ظهر فيما يسمى بلدان العالم الثالث وتحرك في مناطقه، والمعروف أن الغرب الذي يمثل الاستكبار والاستعمار العالميين له مصالح متعددة في العالم الإسلامي، وهذه لا تكون مضمونة إلا في غياب القوة التي تدعو إلى الاستقلال والحرية والعدالة، من أجل ذلك يعمل الغرب على دعم الأنظمة التي تضطهد شعوبها في المنطقة، كما يعتمد عليها ويمنحها عطفه وصادقته، وفي الوقت ذاته يقاوم بعنف كل الحركات التي تحاول العمل على استعادة الحرية والعدالة لشعوبها، ومن هنا جاء الموقف الإعلامي العدائي للحركات الإسلامية والتي أطلق عليها الغرب اسم "الحركة الأصولية" ليضفي عليها صورة العنف وتجاوز حقوق الإنسان.

وكما تخاف الدوائر السياسية الاستعمارية من المد الإسلامي، الذي يعمل على تقويض مصالح الغرب الاقتصادية والاستراتيجية في منطقة العالم الإسلامي، نخشى أيضاً المؤسسة الكنسية من هذا المد لأنه يعمل على استعادة المسلمين لثقتهم في الإسلام، وفي قدرته على الإجابة على ماتفرزه الحياة المعاصرة من قضايا ومسائل، وهو الأمر الذي يحد من الحركة التبشيرية المسيحية الموجهة إلى المسلمين بالخصوص.

د- الجبهة الداخلية المعارضة للحوار:

منذ إعلان الكنيسة عن توجهها الجديد المتفتح على الآخر، وعن موقفها من أصحاب الأديان الأخرى المبني على الحوار والإصغاء، أثناء انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني 1962-1965، ظهرت معارضة قوية داخل الكنيسة الكاثوليكية، يقودها عدد من اللاهوتيين الكاثوليك، ترفض الحوار مع الآخر ولا ترى ضرورة للانفتاح، تنطلق حركة المعارضة هذه من النظرة اللاهوتية الكلاسيكية عند المسيحيين في هذا الموضوع، المتمثلة في مركزية الخلاص في الديانة المسيحية وفي المسيح عيسى عليه السلام، فهو عندها الحق والطريق والخلاص⁽¹⁾. لقد تأسست المسيحية على هذا المبدأ وهو "لا خلاص خارج الكنيسة"، وهذا معناه أن الغالبية الساحقة من البشرية مألها جهنم وبئس المصير. هذا ما أدى ببعض المعارضين على عملية الحوار داخل الكنيسة، ومن اللاهوتيين بالخصوص، إلى طرح التساؤل التالي: ما الجدوى من الحوار مع من سيكون مصيرهم النار؟

¹ - إنجيل يوحنا 1/11 ص 6

وبما أن الحوار هو عملية إغناء متبادلة، فكيف لمسيحي أن يشعر بالحاجة إلى " تجربة دينية إسلامية"، رغم أنه يعترف أن كل وحي اكتمل في عيسى عليه السلام؟

وقد دفع هذا الأمر بعض المسيحيين، ممن نشطوا في مجال الحوار الإسلامي المسيحي منهم لاهوتيون، إلى البحث عن تخريجات أخرى لهذه المسألة اللاهوتية في إطار التوجه الجديد للكنيسة المفتوح على أتباع الديانات الأخرى، ومن هؤلاء اللاهوتي الكاثوليكي هانس كونج، والأب جورج قنواي الذي قال: " وهذا يعني إذا أردت محاورة مسلم لا أبدأ بجعله من حطام التار، لالشيء سوى أنه مسلم، بل يمكنني بالعكس أن أؤكد أنه إذا توافرت شروط، ليس من المستحيل توفرها، يكون في استطاعته أن يضمن خلاصه مع بقاءه مسلماً مقتنعاً بإسلامه"⁽¹⁾.

ومع التحفظ على تصريح الأب جورج قنواي، فيما يخص المقصود من الشروط التي يطلب من المسلم أن يوفرها للخلاص !! فإنّ تصريحه يؤكد حجم المشكلة بالنسبة للمحاور المسيحي، إذا ما طُرح عليه السؤال: هل هناك خلاص خارج الكنيسة المسيحية ؟
إنّ السؤال الذي تجيب عنه طائفة كبيرة، من اللاهوتيين المسيحيين الكاثوليك، بالتّقي وتبني عليه موقفها المعارض للحوار، حيث يشكّل عقبة كبيرة من الصّعب تجاوزها، تعترض المحاور المسيحي الجالس إلى طاولة الحوار مع المحاور المسلم.

المطلب الثالث: معوقات مشتركة:

1- طبيعة الديانتين:

إنّ أوّل مايجب أن نلاحظه هو أنّ الاسلام والمسيحية رسالتان لهما طموحات عالمية، أي أنّ كلا منهما، يهدف إلى الانتشار في كافة أرجاء العالم، فإله المسلمين هو ربّ العالمين⁽²⁾. والرّسول محمد- صلى الله عليه وسلم- مبعوث إلى التّاس كافة⁽³⁾. وإن كان للعرب في البداية بعض الامتياز بظهور ونشأة الدّعوة بين ظهرائهم، ولاصطفاء الرّسول من بينهم، ولنزول القرآن بلغتهم، وبدا الإسلام خاصة في الفترة المدنية لحياة الرّسول محمد- صلى الله عليه وسلم- ديناً ودولة، وتلك الدّولة مطالبة نظرياً بنوع من القوامة في نشر الدّين⁽⁴⁾.

¹ - محمد الطالبي: الاسلام والحوار، ص 57.

² - سورة الفاتحة الآية 2.

³ - سورة سبأ الآية 28

⁴ - سعد غراب: الإسلام و النصرانية من الصلّام إلى الحوار، ص 18.

أما المسيحية فقد ظلت دعوة بين اليهود داخل فلسطين، في حياة المسيح وبعد نهايته، إلى أن تحوّل بولس إلى المسيحية وأخذ بزمam الدعوة إليها، داخل وخارج فلسطين بين اليهود أولاً، ثم بين الوثنيين، وتشهد رسائله على أنه ذو ذهن متفتح على متطلبات الجاليات اليهودية التي كانت تعيش خارج فلسطين، وعلى ما تقتضيه عالمية الدعوة المسيحية من تنازلات، لقد ألغى بولس كل السّمات والمعالم اليهودية في دعوة المسيح عليه السّلام، تقريباً للدعوة المسيحية من المجتمعات الوثنية، ولم يكتف بإلقاء المعالم التشريعية كالإلغاء يوم السبت والختان وحرمة الخمر والخنزير... بل تعدّى الأمر إلى أن وصل إلى إلغاء المعالم العقيدية في تلك الدعوة.

لقد كانت بداية انتشار المسيحية خارج حدود اليهودية عسيرة، دامت قروناً إلى أن جاء قسطنطين، في أوائل القرن الرابع الميلادي، فأصبحت لها دولة تشدُّ أزرها وتدافع عنها. وعندما بدأ الإسلام في الانتشار، في بداية القرن السابع الميلادي، وجد أمامه دولة نصرانية، بل إمبراطورية نصرانية هي الإمبراطورية الرومانية.

لقد كانت عالمية الإسلام وراؤه انتشاره في بلدان كثيرة، كانت معاقل للمسيحية: مصر، الشام (بما فيها فلسطين)، إفريقيا وحتى أوربا (إسبانيا). كما كانت عالمية المسيحية دافعاً إلى الحروب الصليبية، وحروب الاسترجاع أو الاسترداد، ومتابعة المسلمين في كل بلد يلجأون إليه. كما كانت فكرة العالمية وراء محاصرة المسلمين لعاصمة المسيحية في الشرق، القسطنطينية وفتحها سنة 1453م (857هـ)، وتهديد الأتراك المسلمين قلب أوربا المسيحية (الغربية) فيينا. وكانت الصّدّامات العنيفة التي شهدتها تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين تنطلق من فكرة عالمية كل من الديانتين.

واليوم استعارت المجتمعات الغربية النظرة المركزية العالمية من المسيحية، ومع التقدّم العلمي والتكنولوجي المرافق للتطوّر الاقتصادي والسياسي والعسكري، أصبحت هذه المجتمعات (التي لا تخفي مسيحيتها، بل لا تخفي التعصّب لها) لا ترضى بنموذج آخر أن ينافسها في الانتشار العالمي والهيمنة الحضارية، وأن يقدم للعالم نموذجاً للحضارة والتقدّم يختلف عن النموذج الغربي⁽¹⁾. فيما يعتقد المسلمون أن الإسلام ليس مجرد دين كالأديان الأخرى التي يعرفها الناس، كالمسيحية واليهودية وغيرهما..... بل هو نموذج كامل لحياة البشر كلّهم.

¹ - زكي الميلاد و علي الربيعو: الاسلام والغرب الحاضر والمستقبل ص 54.

ب- سوء الفهم المتبادل:

لقد تبين من تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية الطويل والمؤلم، في كثير من فتراته، أن العبور كان يجري سريعاً من المجادلة إلى الانتقادات اللاذعة والمهاجمات الدفاعية، إلى أن يصل الأمر إلى الاتهامات والتصوير المشوه، لقد عانى المسلمون كما عانى المسيحيون، بسبب امتهان كل طرف لقيم الآخر، وكان السبب دائماً الجهل بما عنده. يجد المخاور، سواء أكان مسلماً أو مسيحياً، نفسه أمام كم هائل من مخلفات هذا الجهل، سواء كان ذلك في التراث الكلامي أو اللاهوتي أو في كتب برامج التعليم على اختلاف مراحلها، أو فيما يعيد الإعلام انتاجه لتستهلكه شرائح المسلمين والمسيحيين على اختلافها، وهو كم يكفي لشحن العلاقات الإسلامية المسيحية بالتوتر والحساسية، التي من شأنها أن تعيق عملية الحوار الإسلامي المسيحي.

وبرغم هذه المعوقات التي حالت دون تقدم عملية الحوار والوصول إلى نتائج معتبرة، فإن الواقع العملي يؤكد أن عملية الحوار الإسلامي المسيحي حقيقة تؤكدتها:

1- الملتقيات والمؤتمرات التي فاقت الخمسمائة (500) مؤتمر عالمي، دون ذكر الملتقيات الإقليمية والمحلية.

2- الدوريات والنشريات الراصدة والمتابعة لعملية الحوار الإسلامي المسيحي.

3- المعاهد المراكز والهيئات والمؤسسات، التي أنشئت خصيصاً للتقريب بين أتباع الديانات المختلفة وتنشيط عملية الحوار بينهم.

4- الدراسات والمؤلفات العديدة التي كان موضوعها الأساس: الحوار الإسلامي-المسيحي، سواء مشيدة به أو منتقدة ومقومة له، دون الحديث عن تلك التي رصدت عملية تطور الحوار الإسلامي-المسيحي في العقود الأخيرة.

وإذا كان الواقع العملي يؤكد عملية الحوار الإسلامي المسيحي، فإن رهان البشرية في مرحلة ما بعد الحداثة على الدين، كعامل مساعد وفعال في استعادة الحضارة الإنسانية لبعدها الغائب، يفرض على أتباع الديانتين أن يعملوا على التقارب من أجل صياغة جديدة لعالم جديد، تكون فيه إجابات الديانتين على قضايا ومسائل ما بعد الحداثة واضحة ومحددة. كما يفرض عليهم أيضاً، من خلال عملية الحوار، تحديد صورة واضحة عن التحديات المشتركة للتمكّن من رسم

خطوط عريضة لمواجهة مشتركة لتلك التحديات والوسائل المتاحة والإمكانات الموجودة لهذه المواجهة، وهذا ما يمكن أن يكون آفاقاً جديدة للعمل المشترك القادم بين الطرفين.

المبحث الثاني: التحديات المشتركة وآفاق الحوار الإسلامي-المسيحي:
إنّ التحديات التي تواجهها الأديان، الإسلام والمسيحية بصورة خاصة، كثيرة و متنوعة، وتمثّل الإجابات المشتركة عنها آفاقاً للحوار بينهما، ومن التحديات المشتركة التي تنتظر المواجهة، والإجابة عنها:

المطلب الأول: التزعة المادية:

آلت قيادة الفكر البشري، في القرون الأخيرة، إلى الفكر الغربي وهو فكر صادر عن مرجعية يونانية، أُسِّسَ عليها وتشرب من ينابيعها، لهذا فهو فكر مادي في أغلب اجتهاداته ومذاهبه، إذ المعروف عن الفلاسفة اليونان الأوائل، خاصة أنصار مذهب الذرة⁽¹⁾ منهم، أنهم لم يقرّوا أو لم يعترفوا بالخلق من العدم.. كما وضع فلاسفة اليونان المبادئ الهامة التي غدت من بعدهم المؤسّسة لكل مذهب مادي في الفكر الإنساني عامة.. وغني عن البيان أنّ مقتضى هذا التصوّر المادي إنكار مالميس بمادي، ممّا جعله منبعاً ومصدراً للإلحاد بكل دلالاته⁽²⁾.

ولقد حاولت المسيحية في بداية انتشارها في العالم الروماني - اليوناني، اقتلاع هذا التفكير المادي، من خلال دعوتها إلى الروحانية والتّعالى، ولكنّ الكنيسة، فيما بعد، فرضت على الناس أموراً أبعد ما تكون عن الروحانية، حيث أقبلت هي بنفسها على الدنيا وأصبحت، عن طريق مفاهيم خاطئة، موجهة للعقل والحياة الإنسانية، بل ومراقبة لهما في كثير من الأحيان، ممّا دفع الفكر الأوروبي إلى نبذها. هذا الأمر جعل الفلسفة الغربية فيما بعد تبتعد في قضاياها ومناهج استدلالها عن اللاهوت الكنسي، فظهرت المذاهب الجديدة المبتعدة عن الميتافيزيقا واللاهوت، حيث غلب على مدارسها ومذاهبها الإلحاد الصّريح، نتيجة الغرور والثقة المفرطة في تقدّم

¹ - مذهب الذرة: اتجاه فلسفي يرد الكون إلى جزئيات، تتلافى فيكون الوجود وتفرّق فيكون العدم.

² - د/ عرفان عبد الحميد فتاح: إسلامية المعرفة ومنهجية الثقافة الحضاري مع الغرب، مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عدد 5 جويلية 1996 ص 26 و 27.

العلوم المادية والصناعات في أوروبا، كما تصاعد تيار الوضعية⁽¹⁾ الذي تحدّى كل تراث الفلسفة والميتافيزيقا، كما مسّ وأثر في مفاهيم ومناهج العلوم الإنسانية، حيث استبعد بدوره العامل الدّيني والخلقي، فكان من النتائج الخطيرة لهذا التوجّه أن استقلّ العقل بذاته، ووفق آلياته الدّاخلية الخاصة بصورة واضحة، عن كل غاية إنسانية، كما كانت النتيجة أن أنكر الفكر الغربي الحديث الإله وأقصى الماورائي والوحي وتعاليمه وهمّش الأخلاق. ولم ينسّ العلماء أيضاً، علماء الطبيعة، عندما آلت إليهم الغلبة، بداية من عصر النهضة، مواقف الكنيسة المعادية للعلم ومقولاته الصّحيحة، والمعركة لتقدّم الحضارة الإنسانية لعدّة قرون، فدخل العلم والعلماء معركة أخرى ضدّ الدّين ورجاله، المسيحية خصوصاً، فتدعّم موقف الاتجاه الفلسفي الطبيعي المادي الإحادي.

ولقد كان من نتائج استبعاد الفكر الكنسي القديم، الذي كان يدور حول موضوع "اللاهوت"، أن تمّ وضع الإنسان موضع الإله ذاته، بعد أن أضيفت إليه كل الصفات والخصال التي كانت تُحمَلُ على الإله في الفكر الكلامي المسيحي، وبذلك تمّ وضع لاهوت الأرض مقابل لاهوت السماء، كما وضعت مملكة الأرض في مقابل مملكة السماء، ومن المؤكد أنّ ماسجّله الإنسان الغربي من انتصارات تاريخية وفتوحات فكرية وعلمية جبارة، خاصة في القرنين الماضيين (19 و20)، قد غدّت في نفسه ووعيه الإحساس المتضخّم بالذّاتية الإنسانية، مقابل مشاعر التّضاؤل والتّصاغر التي كانت تستولي عليه⁽²⁾.

وإذا كان هذا هو مصير المسيحية في المجتمعات الغربية، فإنّه من السّدّاجة أن ندّعي أنّها وحدها كانت عرضة لمثل هذا التحوّل، فالقوى التي أحدثت هذا التّغيير تعمل عملها، وإن في بطاء وبدرجات متفاوتة، حسب الأصناف الاجتماعية، في المجتمعات التي تدين بالإسلام⁽³⁾.

لقد كانت حملة نابوليون بوناپرت على مصر بداية التحوّل، الذي شهده العالم الإسلامي فيما بعد، نحو تقليد المجتمعات الغربية في توجّهاها الفكرية، يقول الدكتور محمد عمارة: "إنّ

¹ - الوضعية المنطقية: اتجاه فلسفي يقوم على التجربة أساساً، يعدها المصدر الوحيد للمعرفة، ثم تحوّل إلى دراسة تحليلية للغة العلم في فروع مختلفة.

² - رفيق عبد السلام بوشلاكة: مآزق الحداثة والخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية العدد 6 1996 ص 129.

³ - د/عبد المجيد الشرفي: الفكر الاسلامي في الرد على النصارى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 527.

بونبارت لم يصحب معه المدفع وحده بل أتى بفكرة " الحضارة الغربية"، وبالمطبعة والصحيفة أيضاً.. ومنذ ذلك التاريخ بدأ " التغريب " كواحد من أخطر التحديات التي واجهت وتواجه الإسلام والمسلمين في العصر الحديث"⁽¹⁾. لقد انبهر المسلمون بالحضارة الغربية وبمحتاجاتها، كما انبهر المتعلمون منهم خاصة بالأفكار التنويرية، وقصد الدفع بالمجتمع الإسلامي نحو التحديث والعصرنة، دفع العالم الإسلامي بخيرة أبنائه الأذكياء إلى معابد العلوم الطبيعية في الغرب، عن جهل مطبق بأرباب المعبد العلمي وشياطينه، بل محرضاً إياهم على عدم الربط بين مايتلقونه من تلقين علمي وبين دينهم، لذلك خسروا الإثنين معاً: الدين والعلم"⁽²⁾. وبهذا وُجد في المجتمعات الإسلامية، وخاصة بين النخبة، من تبني الوضعية المنطقية في معالجة القضايا الفلسفية والاجتماعية، ومن يشكك في صحة الوحي، ومن يدعو إلى إبعاد الدين عن الحكم والحياة بمعنى هذا الماورائي والغيبى وإبعاد الدين عن توجيه الحياة الإنسانية. وهي كلها نتيجة للتأثر الثقافي والحضاري بالغرب، لهذا لم تعد المجتمعات الإسلامية بمنأى عن تأثير التيارات الفكرية الغربية. إذا الوضع لم يعد بحاجة إلى أن تواجه الأديان بعضها بعضاً، وإتاما الوضع يستلزم أن تكون الأديان كلها في جبهة واحدة ضد كل هذه التيارات المادية الملحدة، التي اتخذت أشكالاً ومبررات مختلفة. ومن هنا تأتي ضرورة الحوار بين المسلمين والمسيحيين اليوم أكثر من أي وقت مضى، إنَّ التعاليم الدينية للإسلام والمسيحية ملزمة ببعث قيم الإيمان بالله، وإعادة الاعتبار للدين، وهذا ما يضاعف من المسؤولية، مسؤولية المسلمين والمسيحيين معاً، يقول البابا يوحنا بولس الثاني: " إنَّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين ضروريُّ اليوم، أكثر من أيِّ وقت مضى، فهو يَنشُج عن إخلاصنا لله، ويفترض أن نعرف كيف نعرف الله بواسطة الإيمان، وكيف نشهد له، في عالم لا يزيد مع الأيام إلّا دينونة، بل إلحاداً في بعض الأحيان"⁽³⁾. فالمسلمون والمسيحيون، على السواء، لهم شيء يقولونه معاً، والذي يتجاوز تماماً ما يمكن أن يخترعه العلم والفلسفة، وأكبر العقلاء وأفضلهم"⁽⁴⁾.

¹ - د/ محمد عمارة: العلمانية ومعضتنا الحديثة دار الشروق القاهرة ط2، 1986، ص 9.

² - د/ اسماعيل راجي الفاروقي: التراث الفلسفي الحديث المعهد العالمي للفكر الإسلامي و.م.أ. 1981، ص 17.

³ - دراسات إسلامية مسيحية: العدد 11، 1985، ص 3.

⁴ - موريس بورمانس: المسلمون والمسيحيون هل عندهم مايقولونه" ضمن كتاب وثائق عصرية"، ص 34.

إنه مهما كان التحدي صعباً وقاسياً، وأحياناً باعثاً على اليأس، لإنسان شتته
الايديولوجيات، فلا مجال لترك الأوضاع على ما هي عليه، بل واجب على الضمير المؤمن
المتدين الواعي، أن يعمل ويضطلع بالمسؤولية، في عملية صياغة جديدة لعلاقة الإنسان بالله،
ومن ثم إعادة صياغة علاقاته الأخرى مع الكون والكائنات.

المطلب الثاني: أزمة القيم في العالم المعاصر:

لقد تعرض نظام القيم المعاصر، في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وبداية القرن الحالي،
إلى تحولات عاصفة ومدوية طالت المجتمع الإنساني كله، ولقد أظهرت هذه التحولات ما ينيئ
هزة كبرى تصيب عالم الإنسان، تجعله على غير سويته التي أرادها له الله وتبدل أحواله على
الجملة، ولم تكنف هذه الهزة بالأحياز الاقتصادية والسياسية، التي سعى الغرب إلى القبض
عليها عن طريق تحويل العالم إلى مجال جيو- استراتيجي للعبة السيطرة والاحتواء بالقوة، بل
تجاوزتها لتحديث انهيارات مروعة في أنظمة القيم الثقافية والأخلاقية.

لقد كرس الغرب الفردانية كقيمة على حساب القيمة الجماعية، وقيم السوق وتحجيم
الاقتصاديات المحلية، وقيم المنافسة بلا حدود، وتراجعت وظيفة الأسرة وقديسية الزواج
التقليدي، وكرس العلمانية وهمش المقدس وفتح المجال للحرية الفردية بلا حدود، ودون
مسؤولية أخلاقية. فكانت النتيجة أن ظهرت حاجة الناس، في عالم تقني معقد تصعب الإحاطة
به، في حياتهم الخاصة إلى نقطة استدلال وإلى اتجاه يدهم على الطريق السوي، كي يمتلكوا
المعايير الضرورية لتحديد هدفهم، وبوجيز العبارة يشعر البشر بالحاجة إلى أن يستندوا إلى
توجه أخلاقي أساسي، فمن دون الارتباط بالمعنى والقيم والقواعد الأخلاقية لا يستطيع
الإنسان أن يتصرف حقاً كما يجب، سواء أكان في الأمور الكبيرة أم الصغيرة⁽¹⁾.

إن الغرب يعاني من فراغ في المعنى والقيم والقواعد الأخلاقية، وأن هذه المشكلة ليست
مشكلة أفراد فحسب، بل مشكلة على أعلى مستوى، بل إن الأمر لم يعد قاصراً على الغرب،
بل تعداه إلى المجتمعات الأخرى، ومنها المجتمعات الإسلامية، فمع تصدير المحركات وتقنيات
الكمبيوتر ووسائل الاتصال وغير ذلك، تم تصدير القيم التي تسود داخل المجتمع الذي

¹ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 64.

صدرها⁽¹⁾. قيم الفردية والعلمانية، قيم السوق والمنافسة، وتراجع وظيفة الأسرة والإدمان وزواج المثل....

إن الأزمة الراهنة في نظام القيم، تفرض إعادة فتح الطريق لنظام قيم جديد يعيد التوازن إلى العالم، ويحد من الاهیارات المفتوحة، ينبغي التفكير بالأخلاق وبتوجه الإنسان الأخلاقي، نحن جميعاً في حاجة إلى الأخلاق، أي إلى التعاليم الدينية المتعلقة بالقيم والقواعد الأخلاقية، التي توجه قراراتنا وأعمالنا، فالمبادئ والقواعد الأخلاقية ينبغي أن تتدخل في مناقشة القرار العملي كـمقياس للتقويم والتمييز من أجل خير الإنسان. ففي المقاصد العليا للإسلام والمسيحية فضاء وفير لجعل الإنسان مركز الوجود، والتعامل مع هذه المقاصد كمسلك عملي في الحياة غاية يجب إدراكها⁽²⁾.

أسس النظام الأخلاقي الإنساني في الإسلام والمسيحية :

الإنسان في مفهوم الأديان السماوية هو المخلوق الذي ميّزه الله تعالى عن سائر المخلوقات، وأعطاه المؤهلات والقوى والملكات، كما سخر له مافي البر والبحر، ولم يكن ذلك إلا للإنسان. في العودة إلى المسيحية نجد بأن مفهوم الإنسان ينطلق من أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته وجعله رأس المخلوقات، وبعدها كان التعدّد والتنوّع، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس: "إنّ الناس في الأصل من دم واحد، غير أنّهم تفرّقوا بعدئذ إلى أمم وقبائل عديدة يتميّز بعضها عن بعض، في اللون والقامة والهيئة واللغة والعادات، وقد قطنت كل أمة من بقاع الأرض ماخصّتها به العناية الإلهية، وخلق الله الإنسان من التراب، وخلق على صورته تعالى مميّزاً إياه عن سائر الكائنات الحيّة، بما أودعه فيه من روح حيّة خلقية، تؤهّله ليكون مشاهداً صورة خالقه جلّ شأنه، وقد أوجد الله فيه

¹ - عبد المولى عز الدين: في الرؤية الغربية لتاريخ الحضارة مجلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة الأولى العدد الرابع أبريل 1996 ص 125.

² - مجموعة من الباحثين: الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصر، معهد الدراسات الإسلامي للمعارف الحكمية، دار الهادي بيروت ط1، 2003 ص9.

العواطف الخلقية والميول الروحية والقوى العقلية...وبعدما خلق الله الإنسان على صورته، وضع له من الشرائع الإلهية ما ينبغي عليه أن يسير وفقاً له⁽¹⁾. وقد أكد أحد فلاسفة الأخلاق المسيحية وهو يحيى بن عدي⁽²⁾ أن الإنسان متميز عن سائر المخلوقات وأن تميزه يكتمل بمكارم الأخلاق، يقول بن عدي: "إعلم أن الإنسان ذو فكر وتميز وهو أبدأ يجب من الأمور أفضلها، ومن المراتب أشرفها، ومن المقتنيات أنفسها، إذ لم يعدل عن التمييز في اختياره، ولم يغلبه هواه في اتباع أغراضه.. ومن تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ومتزهاً عن مساوئها ومقابحها، آخذاً بجميع أحوالها بقوانين الفضائل، عادلاً في أفعاله عن الرذائل"⁽³⁾.

والنظام الأخلاقي في المسيحية ينطلق من القيم التي حددها الدين، على أنها أساس حركة الحياة البشرية، ووضع من خلالها ضوابط ووصايا، ومن التصوص في هذا الباب: "فلنخلع أعمال الظلام ولنلبس سلاح التور، لنسر سيرة كريمة كما نسير في وضوح النهار، لأقصف ولا سكر ولا فاحشة ولا فجور ولا خصام ولا حسد"⁽⁴⁾. وفي إنجيل مرقس استكمال لهذه الوصايا، فحينما سأل أحد الناس المسيح عليه السلام عن الوصايا التي على الإنسان أن يتبعها ليكون من أهل الخلاص، كان الجواب: "لا تقتل، لا تزني، لا تسرق لا تشهد الزور، لا تعظم أكرم أباك وأهلك، فقال له: يامعلم، هذا كله حفظته منذ صباي، فحدق إليه يسوع فأحبه، فقال له: واحدة تنقصك، اذهب فبع كل ما تملك وأعطه للفقراء، فيكون لك كنزاً في السماء وتعال فاتبعني"⁽⁵⁾.

إن هذين النصين يحددان بشكل جلي أسس النظام الأخلاقي للإنسان، واتباع مثل هذه الوصايا يتسامى بالإنسان فوق الأهواء والتوازع المادية، ويرقى به باتجاه الطهر والتزكية النفسية، وفي التصوص المسيحية كذلك: "ألقوا عنكم كل دنس وكل ما يفيض من شر،

¹ - بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة ط9، 1994 ص 123.

² - يحيى بن عدي: (894م-975م) فيلسوف ومتكلم مسيحي ولد بتكريت وانتقل إلى بغداد وقرأ على الفراء، وترجم عن السريانية كثيراً إلى العربية تولى ببغداد من كتبه "تهذيب الأخلاق" وشرح مقالة الإسكندر

³ - يحيى بن عدي: تهذيب الأخلاق دراسة وتقديم جاد حاتم دار المشرق بيروت 1985 ص 45.

⁴ - رسالة بولس إلى أهل روما الإصحاح 13. (قصص: معناها الجلوس في شرب وهو وما شابه ذلك).

⁵ - إنجيل مرقس: الإصحاح 10.

وتقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة فيكم، والقادرة على خلاص نفوسكم، وكونوا ممن يعملون بهذه الكلمة، لا ممن يكتفون بسماعها فيخدعون أنفسهم⁽¹⁾.

هذا النص تأكيد على أن واجب الإنسان هو العمل على تطهير نفسه من كل رذيلة وشر، وأن يطيع الشريعة، ويكون ذلك بأن يقرن القول بالعمل، فالعمل هو الترجمة الفعلية الصادقة لما تكنته النفس ولما يوجد في الفكر من قناعات.

إن طاعة الله هي المعيار في النظام الخلقي والاجتماعي والديني المسيحي، وقد جاء في إطار التأكيد على ذلك بلسان المسيح عليه السلام: "لأن من يعمل من مشيئة الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي"⁽²⁾.

وإذ انتقلنا إلى الإسلام، وجدنا أن الإنسان، وفق التصور القرآني، مستخلف في الأرض من قبل الخالق سبحانه وتعالى "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"⁽³⁾.

هذا الإنسان الذي استخلفه الله تعالى في الأرض، أعطاه من الخصائص ما لم يعط أي مخلوق آخر، وهذا ما قرره قول الله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"⁽⁴⁾.

وهو مخلوق على أحسن صورة تكريماً لإنسانيته، وهذا التكريم يأتي من خلال التفضيل، وهذا ما جاء في قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"⁽⁵⁾.

بعد ذلك بعث الله تعالى الأنبياء والرسل وصولاً إلى النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم- من أجل هداية الإنسان ونقله إلى شاطئ الأمان، إذا التزم بشرع الله وأطاع ما جاء فيه، وإذا كانت العبادات هي سبيل الصلة بين الإنسان وربّه، فإن الأخلاق في نظام القيم الضابط

¹ - رسالة يعقوب: الإصحاح 1.

² - انجيل متى: الإصحاح 3.

³ - سورة البقرة: الآية 30.

⁴ - سورة التين: الآية 4.

⁵ - سورة الإسراء: الآية 70.

للسلوك مع بني البشر تأتي في رأس القائمة ، لهذا كانت المعيار في الشئ الإلهي على الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (1).

وقد جاءت السنته النبوية وسيرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- تؤكدان على الخلق الحسن وقيمه، فالأخلاق هي أساس الدعوة من أجل صلاح الفرد والمجتمع وما مهمة الرسول إلا الدعوة إلى مكارم الأخلاق. ذلك أن الأخلاق تحقق الكمال لشخصية المؤمن، بل هي من مقومات هذه الشخصية، ففي الإسلام أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية موجهة إلى الأسس التي تشكل عماد النظام الخلقي القويم الذي يحقق أعلى المراتب الإنسانية.

من هذه النصوص قول الحق تبارك وتعالى: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (2).

فالإنسان في منظور الإسلام هو المحور والأخلاق هي الأساس ، هذا الإنسان تتنازعه طبيعتان، ملائكية نورانية وأخرى شهوانية غريزية، وتبعاً لهذا التركيب أصبحت تتنازعه ثنائيات الخير والشر والفضيلة والرذيلة، ولا خلاص له إلا سفينة نجاه محاسن الأخلاق المستفادة من الدين، لأن مصدره الله الذي يريد الخير والصلاح لعباده (3). ذلك أن الأخلاق المنطلقة من قيم وأسس دينية يرافقها عامل ضبط مهم هو الضمير الديني، وهو عبارة عن نداء داخلي يخاطب صاحبه عند كل موقف افعل أو لا تفعل، يضاف إلى ذلك أن القيم والمبادئ التي جاء بها الدين تستهدف تحقيق كرامة الإنسان وسعادته، التي حددها علماء الإسلام وأطلقوا عليها

¹ - سورة القلم الآية 4.

² - سورة الأنعام الآيتان 151 و 152.

³ - الدين في اصطلاح علماء الإسلام: هو وضع إلهي سائق للنوي العقول السليمة إلى الصلاح في الحال والفلاح في

اسم مقاصد الشريعة، وهي عند الإمام الشاطبي في كتابه "الموافقات" حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ الدين، حفظ التسل وحفظ المال⁽¹⁾.

وإذا كان كل من المسيحية والإسلام يقصدان، من خلال الأسس التي وضعها لنظام الأخلاق والقيم، تحقيق خير الإنسان وسعادته، فلا بد إذن وفي سياق الاحترام المتبادل، من تحالف المؤمنين (من المسلمين والمسيحيين) من أجل إيجاد أرضية لقيم عالمية مشتركة تتبع من المقاصد العامة والكبرى لكلا الدينين، تكون مرتكزاً تستند عليه البشرية، ودليلاً لها على إدراك الغاية من الوجود، وفي هذا الصدد فالجدير بالملاحظة هو ذلك الارتباط الوثيق بين الأخلاق والمسؤولية في الإسلام والمسيحية، وما أخرج العالم إلى الأخلاق المبنية على المسؤولية فهي التي بإمكانها أن تحمل رؤية مستقبلية من شأنها أن تعمل على إيجاد الشروط الجوهرية التي تمكننا من الاستمرار كأناس في أرض صالحة للحياة، وحتى نعطي معنى إنسانياً لحياتنا الفردية والاجتماعية.

وما يجب التنبيه إليه والتأكيد عليه في إطار التحالف الإسلامي-المسيحي، من أجل صياغة الحياة الإنسانية بنظام قيم جديد، يأخذ منطلقه وغايته من حرص الديانتين على خير الإنسان، هو أن يحرص رجال الدين و علماءه، على عدم الوقوع فريسة الخلط بين ضعف الدفاع عن منظومة القيم النبيلة بسبب اختلال موازين القوى الدولية، وبين القيم الضعيفة التي توفرت لها الحماية بسبب التسلط الاستكباري، وما يستدعيه الحرص من ثبات وتمسك بقيم الحق والعدالة والاستقلال وغيرها، في مقابل التسلط والزعامة والظلم والاحتلال وغيرها.

3- المطلب الثالث: الهيمنة الأمريكية:

قبل الحديث عن الهيمنة الأمريكية وسعي الولايات المتحدة الدائم إلى بسط نفوذها وسيطرتها على العالم، يجدر بنا الوقوف عند تكوين المجتمع الأمريكي، لتبين الأسس التي قام عليها هذا المجتمع، والتي تشكل مقومات الشخصية الأمريكية، وسنكتفي بذكر وتحليل أهم تلك الأسس التي تخدم موضوعنا، ونترك الحديث عن الأسس الأخرى، لأنها تصلح في مواضع أخرى. وأهم الأسس في نظري هي:

¹ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة 4 أجزاء، دار ابن عفان، المملكة العربية

أ- الإبادة والاسترقاق:

إنَّ أوَّل ما يقف عليه الباحث في تاريخ نشأة وتكوّن المجتمع الأمريكي، هو قيامه على إبادة الشعوب الأصلية لأمريكا، الذين أيدوا بالملايين، ثم استرقاق شعوب أخرى هي الشعوب السوداء في إفريقيا، فتاريخ الأمريكي يقول إنّه يقدم على الإبادة والقتل دونما وازع ديني أو أخلاقي، والأمثلة الحديثة والمعاصرة كثيرة: القنابل الذرية على اليابان، حرب فيتنام، تدمير أفغانستان، احتلال و تدمير العراق، الدّعم المطلق للكيان الصّهيوني⁽¹⁾، وهذا النموذج القائم على الإبادة والاسترقاق، مخالف لقيمّ الدين والثقافة الإنسانية، وبالتالي يكون من واجب كل مؤمن ملتزم بحقّ الإنسان في الحياة أن يواجه هذا النموذج.

ب- الركاكز البروتستانتية:

لقد تأسّس المجتمع الأمريكي من الناحية الدينية والروحية على أسس بروتستانتية، وبذلك تكون الأدبيات العبرية، القائمة على مزاعم الاختيار والاستعلاء ونزعات القتل والتدمير، أهمّ عامل في تكوين هذا المجتمع الأمريكي والشخصية الأمريكية.

يقول الدكتور يوسف الحسن: " شكّلت الاتجاهات الصّهيونية عنصراً بارزاً في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية، منذ البداية الأولى لاستيطان الأوربيين العالم الجديد، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي سمّي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁾."

فالمهاجرون الأوائل حملوا معهم التقاليد والقناعات التوراتية وتفسيرات العهد القديم.. وكانت اللغة العبرية مهمّة في المستوطنات الأمريكية الأولى، كما أعطوا أبناءهم أسماء يهودية، وهذه كانت الخلفية التي أسّست لفكرة الصّهيونية المسيحية، التي بات لها أنصارها وتيارها العريض في الولايات المتحدة الأمريكية⁽³⁾.

ج- العنصرية: الأساس الثالث الذي قام عليه المجتمع الأمريكي هو العنصرية والتفرقة بين البيض والسود، وهي تعود إلى مزاعم الشعب المختار الأمريكي، الذي يتصرّف وكأنّه كيان

¹ - مجموعة من الباحثين: الإسلام والمسيحية بحث في نظام القيم المعاصر ص 68.

² - د/ يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني مركز دراسات الوحدة العربية

بيروت ط 1 1990 ص 37.

دون سائر الناس، فنجد في خطاباتهم: أمريكا والعالم، السياسة الأمريكية تجاه العالم... وهي تعكس روح التسامي في مخاطبة غير الأمريكي، كما تعكس تصوّر الأمريكي للعالم والبشرية. إنّ المجتمع الأمريكي، الذي تشكّل وفقاً لهذه المفاهيم، انتقلت إليه كل مقومات المركزية الغربية بعد انتهاء عصر الاستعمار، وأصبح المحصلة الأخيرة لتطوّر المركزية الغربية، والذي تنبأت النخبة الأمريكية⁽¹⁾ له بأنّه آخر حلقة من حلقات التاريخ.

إنّ الأمركة اليوم، بتبنيها لمنطق القوة في العلاقات الدولية، تقطع الطريق أمام إحقاق الحقّ للإنسان والثقافات والشعوب، إنّ منطق القوة الأمريكي يغذى بطاقة لاهوتية بروتستانتية مدعومة بنزوع رأسمالي متوحش، وقدرة عسكرية مذهلة، وبالتالي فلا يمكنه أن ينتج إلّا حالة من الاستبداد الكوني، في إمكانات أكبر، وروح استعمارية استكبارية أجنح، تعيد الأمركة إنتاج كل تناقضات الغرب السابقة، وتوسع من انتشارها، جاء في خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش (الابن) بتاريخ 20/09/2002، بعنوان استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية: "عالمية أمريكا واضحة تعكس اتحاد قيمنا ومصالحنا القومية.. إنّ الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح لأية دولة بتحدّي تفوّقها العسكري.. لتكن قوتنا كبيرة بشكل كافٍ لمنع بروز أعداء محتملين"⁽²⁾. هذه القيم التي تريد أمريكا نشرها وفرضها على العالم يرفضها حتى الأمريكيون أنفسهم، فقد جاء في بيان للمثقفين الأمريكيين مايلي:

"نحن نعترف بأنّ أمتنا قد تصرّفت في أوقات معينة بغطرسة وتجاهل تجاه المجتمعات الأخرى، بما في ذلك أتباع سياسات مضلّة وغير عادلة، ولطالما أخفقنا فيما ننتجه من سياسات، إنّ بعض القيم الرائجة في أمريكا غير جذابة، لابل مؤذية: التّمط الاستهلاكي كطريقة عيش، مفهوم الحرية المقتصد للضوابط، مفهوم الفرد الذي يقدم كأنّه صانع نفسه بنفسه، وكلّي السيادة، لا يدين بشيء للآخرين ولا للمجتمع، تراجع الزواج والحياة العائلية"⁽³⁾.

¹ - فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ. ترجمة وتعليق حسين الشيخ دار العلوم العربية بيروت 1992.

² - موقع البيت الأبيض على الإنترنت. www.whitehouse.gov/nse/nss.html.

³ - من بيان المثقفين الأمريكيين حول إحداث 2001/09/11، جريدة السفير اللبنانية 2002/02/16.

لهذا اعتبرها بعض المفكرين⁽¹⁾ محور الشرّ الملتزم بالقيّم المادية، المتنكر للدين وللإنسان، ويعمل على استباحة الحرمات والمقدّسات حيث تقوم فلسفته على الاستعلاء والافساد وتحقيق المطالب والمصالح المادية، دونما اعتبار لما هو أساس للقيّم النّازمة للحياة الإنسانية، فما من قيمة دينية استهدفت تكريم الانسان وتحقيق سعادته إلاّ ولأمريكا أطروحة تناقضها.

كل ما تقدّم يؤكد أنّ الأمركة تبشر بمستقبل بشري غامض بكل صنوف الصّراعات والتناقضات، التي لا يمكن حلّها من دون إيجاد أرضية تصالحية مع اللامتناهي والمقدس، وبالتالي فإنّ إنقاذ إنسان القرن الحادي والعشرين لن يتم ما لم تقف الأديان، الإسلام والمسيحية (الكاثوليكية بالخصوص)، في مواجهة مشروع الأمركة بكل ما يحمل من مفاهيم التسلّط والسيطرة، وضرب الهويّات الثقافيّة للشعوب والأفراد، ونشر ثقافة هابطة منحطة المفاهيم تخاطب الفرائز وتقدّس المادة، وذلك عن طريق تقديم أسس دينية أخلاقية لنظام عالمي جديد، تكون مادته الأولى الإنسان .

إنّنا بحاجة اليوم إلى قيادة حضارية إنسانية لا تستعبد الناس ولا تُبنى على القوّة "المادية"، وليست القوّة وممارستها من المفاهيم المحورية في أولوياتها (كما هو الحال في الفكر الأمريكي)، وليست قيمة تطلب لذاتها، بل وسيلة لتحقيق الغايات التي من أجلها منح الله الإنسان القوّة والتحكين: " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (2). نحن في حاجة إلى قيادة حضارية ترسي دعائم الأخلاق والعلاقات الإنسانية انطلاقاً من مبدأ التعارف والتعاون.

المطلب الرابع: الصّراعات والحروب:

يشهد العالم اليوم صراعات عديدة في بقاع مختلفة، تحرّكها مصالح وأطماع الدّول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ولقد شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية سباقاً سريعاً ومذهلاً نحو التسلّح، فيما سُمّي بالحرب الباردة بين المعسكرين الليبرالي والشيوعي، كان نتيجته أن صرف العالم سنة 1980 أربعمائة وخمسون 450 مليار دولار على

¹ "الاسلام والمسيحية بحث في نظام القيم المعاصر": جاءت أبحاث الكتاب حول نظام القيم الأمريكية وخطورتها على مستقبل الإنسانية.

² - سورة الحج الآية 41..

التسلح⁽¹⁾ حيث سعى كل معسكر إلى تطوير الأسلحة، وامتلاك أكبر عدد من الرؤوس النووية والصواريخ العابرة للقارات، وباختصار تطوير أنظمة الدفاع والهجوم، برأ وجواً وبحراً، واليوم وبعد سقوط المعسكر الشيوعي، واستحداث الولايات المتحدة الأمريكية لعدو جديد هو الإسلام، الذي دخلت معه في حرب دينية⁽²⁾ باسم "مكافحة الإرهاب"، تعمل في كل يوم على توسيع دائرتها وزيادة طيبتها، ويبقى السباق نحو امتلاك الأسلحة الأكثر فتكاً هو هاجس المنظومة العسكرية الأمريكية فبعد الأسلحة النووية جاء دور الأسلحة البيولوجية والكيميائية وغيرها.. إن العالم مهدد بالدمار جرّاء حالة مرضية تمرّ بها القوّة الكبرى في العالم، جعلتها تضع فوق كل واحد من البشر الأطنان من المتفجرات والأسلحة، وردود فعل من طرف الشعوب التي تشعر بالقهر والتسلّط الأمريكي، وهي ردود أفعال لا يمكن تقدير حجمها وعواقبها.

إنّ العالم اليوم يحتاج أكثر من أيّ يوم مضى، من أجل الحفاظ على أمنه، إلى تفاهم ديني شامل، إذ ليس من الممكن أن نبلغ في غاية المطاف تفاهماً سياسياً من دون هذا التفاهم، فكلمة الساعة هي التالية: أن نبدأ الآن التفاهم الديني، وأن نعمل بقوة من أجل التفاهم والحوار بين الأديان⁽³⁾ فإذا اضطلع رؤساء كل الديانات الكبرى وحتى الصغرى، بمسؤوليتهم اليوم وأبدوا رأيهم بعزم في السّلام والأعنف والمصالحة والغفران، فأَيّ وَقع يكون لعملهم على عالم الغد؟ وأيّ وقع يكون لهم إذا تكاثفوا من جميع جهات العالم، من أجل إيجاد حلول للصرّاعات بدلاً من إشعال الفتن؟ فعلى ديانات العالم اليوم وخاصة الإسلام والمسيحية أن تقرّ بمسؤوليتها بالاشتراك من أجل السّلام في العالم، لأنّه لا سلام بين الأمم من دون سلام بين الديانات، أيّ لا سلام عالمي من دون سلام ديني⁽⁴⁾. وقد دفع هذا ممثلين عن ديانات العالم لعقد مؤتمر من أجل السّلام بمدينة كيوتو اليابانية سنة 1970، وعَبّروا من خلال البيان الذي أصدره في ختام المؤتمر، وبطريقة رائعة، عما يمكن أن يكون ميثاق سلام بين الديانات والشعوب في خدمة السّلام العالمي: "نحن البهائيين والبوذيين والكنفوشيوسيين والمسيحيين والهندوسيين والجنين واليهود والمسلمين والشتين والشيخ وأتباع زرادشت، وأتباع الديانات

¹ - روجيه غارودي: عود الإسلام. الدار العالمية للطباعة والنشر بيروت - ط1 1984 ص 22.

² - روجيه غارودي: نحو حرب دينية ترجمة صباح الجهم دار عطية بيروت ط2، 1997.

³ - هانس كونيج: مشروع أخلاقي عالمي ص 261.

⁴ - المرجع نفسه ص 167.

الأخرى، اجتمعنا لمصلحتنا العامة من أجل السّلام، اجتمعنا لتتطرق إلى موضوع السّلام الأوّلي، لقد اكتشفنا أنّ ما يجمعنا هو أهم من الذي يفرقنا، اكتشفنا أنّ هناك أموراً مشتركة مهمة بيننا⁽¹⁾.

ودفع أيضاً المسلمين والمسيحيين إلى عقد مؤتمر بالنمسا سنة 1993، خصّص لموضوع السّلام من وجهتي نظر الإسلام والمسيحية⁽²⁾ وقد نشرت أعمال هذا الملتقى كاملة من طرف جامعة القديس يوسف بلبنان.

المطلب الخامس: العلم والتكنولوجيا وآثارهما على الإنسان والبيئة:

يشهد العالم اليوم تحولات كبيرة سريعة وعميقة، تحولات نموذجية تاريخية، تشمل عالم الحياة، وعالم الشغل والاقتصاد، وعالم التكنولوجيا والاتصال، حتّى أصبح شعار العالم المتقدّم اليوم: "ينبغي أن تعمل دوماً أكثر، ودوماً أفضل، ودوماً أسرع"، ولكنّ هذا التحوّل، وإن كانت له فوائده العاجلة والنسيية زمانياً ومكانياً، فإنّ أخطاره باتت ظاهرة للعيان، فالتمو الاقتصادي كغاية تدعّمه آلية تقنية وعلمية ومعلوماتية واتصالية مذهلة، قد نتج عنه في العالم أجمع نتائج لا إنسانية: تدمير بيئة الإنسان الطبيعية، عدم الاستقرار الاجتماعي... فما برحت وسائل الإعلام تردّد يومياً العبارات التالية: نقص في الموارد، صعوبة في المواصلات، اختناق الطرقات، تلوث في البيئة، تدمير للغابات، نتائج خطيرة لبيوت الزراعة البلاستيكية، فجوة في الأوزون، تبدّل في الطّقس، الوضع المأساوي للنفايات، موت نووي، البطالة المتزايدة، أزمة الديون العالمية، الهجرة... حتّى أصبح من المؤكّد أنّ الإنجازات التقنية والكوّارات البيئية تسيران جنباً إلى جنب⁽³⁾.

لقد كان من نتائج الحرص على السبق العلمي دون الحرص على الحكمة، وامتلاك التكنولوجيا بدون الطاقة الروحية، والتقدّم الصّناعي بدون علم البيئة، إلى أن أصبح الإنسان والبيئة

¹ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 117.

² - أندراوس بيشنة وعادل تودور الخوري: سلام للبشر، المسيحية والإسلام ينظران إلى السلام في أسسه ومشاكله وأبعاده المقبلة، المكتبة البولوسية بيروت 1997

³ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 38.

مهتدين، وبالتالي أصبحت الحياة كلّها على كوكب الأرض مهدّدة، ومن التّهديدات الكبرى على الإنسان والبيئة:

- أ- استخدام الطاقة النووية، من أجل أهداف سلمية أو حربية، يمكن أن يؤدّي ضمن مجابهة جيو استراتيجية واسعة إلى تدمير ذاتي للإنسانية⁽¹⁾.
 - ب- تعزيز تقنيات الاتصالات (معلوماتية، اتصال عن بعد، الهاتف النّقال، مجموعة الخدمات المعلوماتية) يقود إلى إنتاج ضخم من المعلومات، بحيث يصعب على الفرد التائه كلياً أن يسيطر عليها.
 - ج- تطوير التقنية الجينية، ضمن مطمح علمي أو في إطار ربح جشعي لا علمي، من شأنه أن يقود إلى تلاعبات بشعة تهدّد مستقبل الإنسان.
 - د- تطوير تقنية الطّب تثير أسئلة عن الكرامة الإنسانية، فيما يتعلق بالتّناسل ومعالجة الأجنّة والقتل الرحيم المتعمّد⁽²⁾.
 - هـ- تدمير الغابات حيث تدمّر كل سنة من الغابة الاستوائية مساحة تضاهي مساحة دولة متوسطة.
 - و- الاستنفاد الطائش للموارد الطبيعية والتلوّث الذي يهدّم البيئة الحيّاتية⁽³⁾.
 - ك- ينقرض كل يوم من سطح الأرض صنف حيواني أو نباتي.
- لقد أدّى الفصام بين العلم والدين إلى تحويل العلم، المحرّد عن التّقوى والإيمان والمسؤولية الأخلاقية، إلى سلاح هدم خطير، صارت البشرية جمعاء تتجرّع من أضراره ومفاسده ونتائجه المخيفة لحدود قصوى⁽⁴⁾. لقد أدّت هذه الأوضاع، المأساوية، ببعض المفكرين إلى التساؤل: أنّه ومادام العلم والتكنولوجيا لا تتلاءم نتائجهما مع الإنسان، فهل سيتوصلان إلى صنع الإنسان المناسب لنجاحتهما من خلال تعديل نظام الجينات ؟

¹ - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي، ص 43.

² - المرجع نفسه ص 44.

³ - روجيه غارودي: وعود الإسلام ص 22 .

⁴ - د/ عرفان عبد الحميد فتاح: خصائص المنهج العلمي ومقارنته في القرآن الكريم، مجلة التحديد الجامعة الإسلامية ماليزيا المجلد 1، جافني 1997 ص 25.

وهو التساؤل الذي يكشف عن عمق المشكلة التي تتحدى القادة والرؤساء الروحيين للعالم، للعالم من أجل إيجاد نظام قيم جديد يحكم هذا الجنوح العلمي والتكنولوجي القاتل، من خلال:

- 1- العمل على تحويل العلم من علمٍ متحرّر أخلاقياً إلى علمٍ مسؤول أخلاقياً.
- 2- العمل على تحويل السلطة التقنية المتحكممة في الإنسان، إلى تقنية في خدمة الإنسان والإنسانية.
- 3- العمل على تحويل الصناعة، من صناعة تدمر البيئة إلى صناعة تخدم مصالح الإنسان الأساسية وحاجاته، في وفاق وتناغم مع الطبيعة.

إنّ هذا التحوّل لا يعني أبداً، تحوّل ضدّ، أيّ حضارة تتجنب العلم والتكنولوجيا، بل هو تحوّل مع، فينبغي ألاّ تلغى قيم المثابرة والعقلانية والتنظيم والدقة والانضباط والرّصانة والانجاز والفعالية، بل أن تفسّر ضمن فضاء جديد يتلاءم مع القيم الإنسانية، أي الإبداع والبرّة والانفعال والحرارة والحنان، الهدف من التحوّل إذاً ليس الإقصاء أو الإدانة، بل التوازن بين النزعات العقلية والانفعالية والجمالية الكامنة في الإنسان، ضمن رؤية كلية للعالم والإنسان في أبعادهما المختلفة، ومن هنا يصبح من حقنا أن نتساءل مع موريس بورمانس: هل ستعمل الأديان ورؤساؤها على تحقيق هذا ؟ و هل يكون من الخيال الجانح أن التقنية ستصبح هي أيضاً حضارة فنّ، فيما تصنعه، الجمال بالحق والخير؟⁽¹⁾

والحق أن واجب المؤمنين من أتباع الديانتين هو العمل على رسم خطة مستقبلية، يكون فيها التوجّه الأساسي، نحو تحديد مسؤولية الإنسان تجاه نفسه والعالم، أي مسؤولية كونية. ضمن هذا المنظور اقترح بعض الباحثين قواعد من شأنها أن تعمل على تحديد هذه المسؤولية، منها:

- 1- ألا يكون هناك تطوّر علمي أو تقني يخلق مشاكل أكثر من الحلول عند تطبيقه.
- 2- كل من يعرض معرفة علمية جديدة، أو ينادي بابتكار تقني جديد، وكل من يستخدم إنتاجاً معيناً، ينبغي له أن يبرهن أن ماصنعه لن يكون له نتائج اجتماعية أو بيئية مفرجة.
- 3- تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة.
- 4- استمرارية الإنسان لها أفضلية على تطوّر ذاتي لإنسان أو جماعة معيّنة.
- 5- إعطاء الأفضلية للنظام البيئي الذي ينبغي ألاّ يدمر⁽²⁾.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار ص 122.

² - هانس كونج: مشروع أخلاقي عالمي ص 79.

المطلب السادس: اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين الشمال والجنوب:

يعرف العالم اليوم هوة كبيرة من جميع النواحي، بين شمال الأرض وجنوبها، هوة تشهد عليها الثنائيات التالية:

الجنوب	الشمال
- فقر مدقع	- غنى فاحش
- جهل وتخلف	- تقدّم علمي
- تفجّر سكاني	- انتظام في تزايد السّكان
- الأمراض وقلة العناية الطبية والأدوية	- العناية الطبية، الوقاية والعلاج
- الاستدانة، تضخم الديون وفوائدها	- تراكم رأس المال
- الاستهلاك وما ينتجه من بطالة	- الانتاج وما ينتج عنه من توفر مناصب العمل
- وضرب الاقتصاديات المحلية	

إنّ مأساة مايسمى العالم الثالث يمكن إجمالها في حجم الديون الكبيرة، التي ترهق كاهل بلدانه الفقيرة، وهي مشكلة كان سببها الاستعمار. لقد عمدت الدّول المستعمرة عند خروجها من البلدان المستعمرة إلى تفكيك بُنى اقتصادها الوطني، وجعلت منها توابع تلحق باقتصادها، ومثل هذا الاقتصاد لا يمكن أن يؤمّن الاستقلال ولا الاكتفاء الغذائي الذاتي، فاستمرت التّبعة وغدت القروض لا مفرّ منها، وما يتصل بالقروض هو الفوائد الرّبوية التي تدفع للمقرضين الأجانب، وهي منهكة لكل محاولة تنمية اقتصادية، فالجزائر مثلاً كانت مدينة في فترة التسعينات من القرن الماضي بحوالي 26 مليار دولار، كانت تدفع عليها سنوياً 6 مليار دولار كفوائد⁽¹⁾ وفي ظل هذه الظروف يصبح كل تصحيح اقتصادي بعيد المنال.

لقد بلغت ديون العالم الثالث سنة 1994 أكثر من 1500 مليار دولار أمريكي، وهو مبلغ ضخّم يعوق أية محاولة إنماء للنصف الثاني من العالم، لتكون بذلك شعوبه عرضة لـ:

- الجوع: حيث يموت سنوياً ملايين من سكان قارة إفريقيا وأمريكا اللاتينية، بسبب نقص التغذية.

¹ - روجيه غارودي: نحو حرب دينية ص 80.

- الأمراض: حيث يموت ملايين البشر بسبب الأوبئة ونقص الأدوية واللقاحات، يقول روجيه غارودي: "نحو 35000 طفل مايزالون يموتون كل يوم في العالم، من جراء أمراض يمكن تفاديها بسهولة أو يمكن شفاؤها، 60 % من الوفيات تعزى إلى أمراض ثلاثة: التهاب الرئة والإسهال والحصبة.. كما أن نقص الفيتامين "أ" يهدد بالموت والأمراض الخطيرة والعمى عشرة ملايين طفل في العالم.. كما أن نقص "اليود" يهدد مليار شخص ويظل أحد الأسباب الرئيسية للتخلف العقلي في العالم، في حين أن كمية اليود الضرورية لحياة إنسانية تحتويها ملعقة قهوة، والقضاء على هذا النقص يكلف مائة مليون دولار أمريكي، أي مايعادل طائرتين مقاتلتين"⁽¹⁾.

تعاني شعوب الجنوب من كل هذه الآفات، في حين أنها تمثّل بلدان الشمال بالمواد الأولية التي تحرك عالم الصناعة والاقتصاد في هذه البلدان، وهو الأمر الذي يستدعي إعادة تقدير أسعار المواد المصدّرة، الآتية من بلدان الجنوب، لوضع حدّ لمبادلات متفاوتة تفاوتاً آخذاً في التزايد كل يوم، واتخاذ تدابير أخرى من أجل تبديل جذري لعلاقات الشمال بالجنوب، ومن بينها على سبيل المثال: العمل على تحويل الصحراء في إفريقيا إلى أرض خصبة، والتي لا تحتاج إلّا إلى بعض الأشغال التي قدّر الأخصائيون قيمتها بمليار ونصف مليار دولار أمريكي، وهو كما يقول غارودي: سعر حاملة الطائرات مع طائراتها، وهي قيمة أقل بنحو مائة مرّة من مجموع الاعتمادات للتجهيزات العسكرية التي نصّت عليها ميزانيات فرنسا من 1995 إلى 2000⁽²⁾.

إنّ العالم بحاجة إلى نظام اقتصادي عالمي جديد، تكون فيه لأتباع الديانتين، الإسلام والمسيحية، مساهمة فعّالة في وضع أسسه ومنطقاته، حيث يعملون على تفعيل قيم العدالة الاجتماعية التي تنبع من عقيدتهم. إنّ الإيمان يجب أن يقود إلى الرحمة، وإنّ المؤمنين مدعوون إلى حمل هموم المضطّهدين والمشرّدين في هذا العالم، و إلى البحث عن الطرق التي بواسطتها يمكن تخفيف آلام المتألمين المحرومين في كل مكان⁽³⁾. والعمل على القضاء على التفاوت الكبير بين شمال الأرض وجنوبها، وتفعيل مبدأ المشاركة بجعل ثروات الأرض في متناول سكانها

¹ - روجيه غارودي: نحو حرب دينية، ص 83.

² - المرجع نفسه ص 84.

³ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة ص 21.

كافة، لأن وجود ملايين الجوع في أرجاء المعمورة هو وصمة عار على جبين الإنسانية كلها، وفيه إساءة إلى كل القيم الدينية.

بالإضافة إلى التحديات المذكورة، توجد تحديات أخرى تواجه أتباع الديانتين وهي كالآتي:

- الأسرة وما يتصل بها من قضايا، مثل قدسية الزواج، الإنجاب، البشرية، كرامة المرأة وترقيتها، بحيث يفترض أن تتوحد فيها مواقف الديانتين لمواجهة ما يهدد الحياة الأسرية مثل: الزواج بالمثل، الإجهاض، الوضع المزري للمرأة (استغلالها في عدة مجالات).. وتفعيل دور الدين في صياغة النفس الإنسانية السوية، وتوجيهها نحو الخير والفضيلة والقيم الرشيدة، ومحاربة القوى والتأثيرات والتغيرات المجتمعية، التي ينتج عنها عدم الاستقرار والتفكك في العائلات، والعمل في البيوت والمدارس لتجنب ضياع الأجيال، جراء إهمال الأهل أولادهم وسوء معاملتهم⁽¹⁾.

- الهجرة وما يتصل بها من قضايا مثل: العنصرية، أوضاع الأقليات الدينية، الجريمة المنظمة، المخدرات... وواجب المؤمنين من أتباع الديانتين هو العمل على تحسين أوضاع المهاجرين والأقليات الدينية وصيانة حقوقهم الإنسانية في الحياة الكريمة، وممارسة الشعائر الدينية وامتصاصه من السماح لها بإنشاء دور العبادة.. بحيث تعيش كل مجموعة دينية وفقاً لتعاليم إيمانها، وأن تؤمن استمراريتها، ثم إدانة الانتهاكات القاسية لحقوق الإنسان الأساسية عند الأقليات الدينية في كافة بقاع العالم، لأن شعور هذه الأقليات بالتهميش والتبذ يتج عنه أزمات يمكن أن تعصف بالبلدان التي تعيش فيها⁽²⁾. فواجب المؤمنين، مسيحيين ومسلمين، هو الكشف عما في الديانتين من مبادئ تضمن طرقاً للعيش، في إطار الاحترام والمشاركة، ثم تفعيل هذه المبادئ في الحياة داخل المجتمعات ذات التركيبة التعددية.

إن هذه التحديات المذكورة وتحديات أخرى، هي في الحقيقة مجالات للعمل المشترك بين أتباع الديانتين، تفتح أمامهم آفاقاً جديدة، من أجل تقديم إجابات موحدة ومقنعة وفعالة من

¹ - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، ص 154.

² - أحداث ضواحي عاصمة فرنسا (باريس) سنة 2006، والتي عمّت فيما بعد في كل فرنسا وكان وراءها أبناء الجالية الفلورية المهاجرة الذين شعروا بالتهميش.

أجل تحسين وضع الإنسان، ليصبح الإنسان المنشود من وراء هذا العمل المشترك، هو الإنسان الذي يتجاوب مع الله ويتجاوب مع سائر الضمائر، ويتجاوب مع الكون فيتجاوب مع نفسه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

لقد ظهرت المسيحية دعوة محلية بين اليهود، ولم تمنح المحاولات التي رمت، فيما بعد، إلى إخفاء هذه الميزة أدلتها من المصادر المسيحية المعتمدة اليوم من طرف الكنيسة، وعندما خرجت هذه الدعوة المحلية عن حدودها اليهودية، إلى الشعوب الوثنية داخل الأمبراطورية الرومانية، لزمها أن تضحى في سبيل ذلك بالكثير من معالمها اليهودية: إلغاء راحة السبت، إلغاء الختان، إباحة الخمر ولحم الخنزير. وعندما نشأت الدعوة المسيحية الجديدة داخل الأمبراطورية الرومانية تعرضت للاضطهاد طيلة ثلاث قرون ونيف، ونكّل بأتباعها في كل مكان من العالم الروماني القلتم، ولما أصبحت المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية الرومانية، قامت بالتضييق على مخالفيها من أتباع الأديان الأخرى، بل ضيّق أصحاب دستور الإيمان النيقاوي على مخالفيهم من المسيحيين أنفسهم.

ظهر الإسلام فوجد المسيحية قد ابتعدت كثيراً عن رسالة المسيح عيسى - عليه السلام - ليس على المستوى العقائدي فقط، بابتعادها عن التوحيد، وإحلالها الثلاث محل القول بوحداية الله، بل على مستوى طبيعة المسيحية ذاتها، حيث أحلت العنف والحقد والاضطهاد محل الوداعة والمحبة اللتان جاء بهما المسيح - عليه السلام -، لقد أظهر كتاب الإسلام الأول، القرآن الكريم، المكانة الخاصة للتصاري في الإسلام من خلال:

- اعتبارهم أهل إيمان (سورة الروم).

- ائتمامهم على حاملي رسالة الإسلام (الهجرة إلى الحبشة).

- زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مارية القبطية.

- إكرام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفد نجران.

وبرغم هذا كان موقف المسيحيين الروم من الإسلام عدائياً، ظهر ذلك في محاولة وأد رسالته في الجزيرة العربية والقضاء عليه فكرياً وعسكرياً.

لقد شهد تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية فيما بعد توترات وصراعات عنيفة، كانت نتيجتها خسائر كبيرة في الأرواح والأموال والأوقات، وتراكم كم هائل من الأحقاد والضغائن لم تستطع الأيام والسنون محوها. لقد كانت الكنيسة في عدائها للإسلام ملتزمة بموقف متزمت اعتقدت في صحته اعتقاداً أعمى، وهو كون المسيحية كما تجسدها هي مركزاً

للخلاص، كما كان تحالف هذه الكنيسة مع قادة السياسة الرّمانية من أهم عوامل صدام الإسلام مع الغرب، ولا تزال التصوّرات التي قدمتها عن الإسلام للغرب، من أهم عوامل سوء التفاهم الذي يميّز علاقة الغرب بالإسلام.

إنّ ما ترسب في النفوس والذاكرة الجماعية لأتباع الديانتين، مازالت آثاره تعمل عملها في الخفاء حتى اليوم، وتشحن العلاقات بينهم، وتنحو بها منحىً خطيراً ينبئ بحرب دينية ومواجهة تكون عواقبها أفدح، لأنّ وسائل الدمار متوفرة بشكل مخيف، ولهذا فالتاريخ والحاضر يدعوان كلا الطرفين، الإسلامي والمسيحي، للجلوس إلى طاولة الحوار لمحاكمة ما يمكن محاكمته، وتجاوز ما يمكن تجاوزه، والاعتذار عما يجب الاعتذار عنه. إنّ مسؤولية الكنيسة الكاثوليكية الغربية كبيرة في توتر العلاقات بين الإسلام والغرب، قديماً وحديثاً، وتوجب عليها السعي لإزالة مفعول التصوّرات المشوّهة عن الإسلام في الغرب وبكل الوسائل، ويبقى حوار المسلمين مع هذه الكنيسة عامل توجيه وضغط من أجل أن تضطلع بهذه المسؤولية.

لقد جاءت دعوة الكنيسة إلى الحوار، في ظاهرها، ضمن هذا السياق، حيث جاء في الوثائق الصادرة عن المجمع الفاتيكاني الثاني: أنّ التغيّرات الجذرية التي حدثت في العالم جعلت الكنيسة تعيد النظر في طبيعة علاقتها مع أتباع الأديان الأخرى، المسلمين منهم بالخصوص، ورغم وقوف المسلمين على الدوافع التي تحكّمت في توجّه الكنيسة الجديد، وخاصة صراعها مع أختها البروتستانتية حول منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، من أجل بسط النفوذ السياسي والاقتصادي والديني، لبوا الدّعوة ودخلوا في تنشيط عملية الحوار مع إخوانهم المسيحيين.

إنّ سعي الدوائر السياسية الغربية إلى احتواء عملية الحوار، بتمويلها وتحديد مواضيعها، بحيث تتماشى مع مصالحها وأهدافها المعلنة وغير المعلنة، يبقى عامل خوف وتوجس من طرف المسلمين تجاه محاورهم من المسيحيين. وبرغم العوائق الكثيرة والمتعدّدة التي تقف دون تقدّم ونجاح عملية الحوار الإسلامي المسيحي، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه العملية أصبحت واقعاً ملموساً، تقوم للشهادة عليه أدلة كثيرة.

إنّ العالم اليوم يمرّ بأزمات متعدّدة: على مستوى الفكر، والقيم، والسياسة والاقتصاد، والصراع والحروب، والبيئة، والتفاوت بين شعوب شمال الارض و جنوبها، وهو مايزيد من

مسؤولية المؤمنين من أتباع الديانتين، وواجبهم في التحالف من أجل مواجهة هذه الأزمات، والأخطار التي تهدد وجود الإنسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توصيات:

- إن واجب الدعوة للإسلام اليوم والدفاع عن قيمه ومبادئه، يحتم على المسلمين أن يكونوا في اتصال دائم مع الآخر المختلف دينياً، وإن هذه الواجب يقتضي منهم:
- الإعداد الجيد لعملية الحوار، وذلك بتكوين رجال يحسنون فن التّحاور مع الآخرين ويجيدون عرض مبادئ الإسلام والدّفاع عن قضايا ومصالح أتباعه.
- إنشاء مراكز خاصة بتكوين هؤلاء الرّجال، وكذا العمل المنظّم والدؤوب من أجل متابعة عملية الحوار، قصد استثمار نتائجها والعمل على تفعيلها فيما يخدم مصالح المسلمين قضائاهم.
- العمل على إعادة صياغة جديدة لقضايا علم الكلام الإسلامي، والعمل على تحديد على مناهجه في الاستدلال، إن العالم تغيّر والحدود تبدلت، والواجب يفرض البحث عن علم كلام جديد يساير قضايا العصر.
- الاهتمام بالأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب، من حيث مشاكلها وقضاياها، وذلك بتقديم إجابات شرعية لما يعترضها، أثناء تعايشها و تفاعلها مع المجتمعات الغربية، حتى لا تكون عرضة للمسح والنسخ، ولتكون واجهة مشرّفة للمسلمين تعمل على تحسين صورة الإسلام في الغرب.

فهرس المصادر والمراجع:

- 1- الأطير حسن يوسف: — على هامش الحوار بين القرآن واليهود، مكتبة النافذة، القاهرة ط1، 2005.
- عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، مكتبة الزهراء القاهرة، ط2، 2002.
- 2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت 1967.
- 3- ابن الحجاج مسلم: المسند الصحيح، المكتبة العصرية بيروت 2003.
- 4- ابن عدي يحيى: تهذيب الأخلاق: تقدم جاد حاتم، دار المشرق بيروت 1985.
- 5- ابن ماجه: مقدمة سنن ابن ماجه مكتب التربية العربي الرياض 1998.
- 6- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر لبنان ط3، 2004.
- 7- ابن هشام عبد الملك: السيرة النبوية تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت 1981.
- 8- أبو داوود: سنن أبي داوود، مكتب التربية العربي الرياض 1998.
- 9- البخاري محمد بن اسماعيل: الجامع الصحيح، المكتبة العصرية بيروت 2003.
- 10- بركات أحمد: محمد واليهود نظرة جديدة ترجمة محمود علي مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1996.
- 11- بيشتة أندراوس وعادل خوري: سلام للبشر، المكتبة البولسية لبنان، 1997.
- 12- بشوشي ظاهر: تاريخ مسجد كتشاوة، مجلة الأصالة عدد 14 وعدد 15.
- 13- بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، دار دحلب الجزائر، 1992.
- 14- بطرس عبد الملك: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة القاهرة، ط9، 1994.
- 15- بورمانس موريس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين ترجمة يوحنا منصور، المكتبة البولسية لبنان ط1، 1986.
- 16- بوبر كاريل وسمير خليل وآخرون: التسامح بين شرق غرب، ترجمة إبراهيم العريس، دار السّاقى بيروت، ط1، 1992.

- 17- بوشلاكة رفيق عبد السلام: مآزق الحداثة والخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة، مجلة إسلامية المعرفة السّنة الثانية عدد5، 1996.
- البوطي محمد سعيد رمضان:
- 18- فقه السيرة، دار الفكر دمشق، ط8، 1980.
- 19- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن دار الفكر، دمشق ط1، 1982.
- 20- التومسي محمد: الجدل في القرآن الكريم، دار الشّهاب الجزائر (د.ت)
- 21- التويجيري عبد العزيز بن عثمان: الحوار من أجل التعايش، دار الشروق القاهرة 1998.
- 22- الجرجاني علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي القاهرة ط1، (د.ت).
- 23- جمال عبد الجواد: التسامح، مركز الدّراسات السّياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة، 2000.
- 24- جنير شارل: المسيحية نشأتها وتطوّرها ترجمة د/ عبد الحليم محمود المكتبة العصرية بيروت (د.ت).
- 25- جورافسكي أليكسي: الإسلام والمسيحية ترجمة د/ خلف محمد الجرّاد، سلسلة عالم المعرفة رقم 215، الكويت 1996.
- 26- الجوهرى اسماعيل بن حماد: تاج اللّغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين لبنان، ط1984، 3.
- 27- حداد جوليت: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من 1954-1992، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية جامعة القديس يوسف، دار الشرق بيروت، ط1، 1995.
- 28- حفي عبد الحليم: أسلوب المحاوراة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1995.
- نحائي محمد:
- 29- حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر المعاصر لبنان، ط1، 2002.
- 30- الإسلام والعالم، مكتبة الشروق الدولية 2001.
- 31- الخالدي مصطفى وعمر فروخ: التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية لبنان، 1986.
- 32- خان وحيد الدّين: الإسلام يتحدّى، ترجمة ظفر الدّين خانن دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط7، 1977.

- 33- الحضري حنا جرجس: تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة القاهرة، 1981.
- 34- الحضري زينب محمود: لاهوت التاريخ عند القديس أغسطين، دار قباء القاهرة 1997.
- 35- خوجة حمدان: المرأة، تعريب وتعليق محمد بن عبد الكريم، بيروت 1972.
- 36- دراز محمد عبد الله: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم الكويت، 1984.
- 37- ديورنت ول: قصة الحضارة ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية، القاهرة (د.ت).
- 38- الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية طهران، ط2، (د.ت).
- زقروق محمود حمدي:
- 39- الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة مصطفى ماهر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 2002.
- 40- الإسلام والغرب: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1994.
- 41- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري دار المعارف القاهرة 1997.
- 42- الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة 1987
- زينب عبد العزيز:
- 43- محاصرة وإبادة، دار القدس القاهرة، ط2، 2001.
- 44- الإسلام والفتاوي، دار القدس القاهرة، ط2، 2001.
- 45- الخطة الخمسية لـ: البابا يوحنا بولس الثاني، تنصير العالم، دار الوفاء القاهرة، د.ت.
- 46- السّماك محمد: مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس، لبنان ط1، 1998.
- 47- سمير مرقس: الآخر.. الحوار.. المواطن، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ط1، 2005.
- الشاهد محمد:
- 48- التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر بيروت ط1، 1994.
- 49- المسيحية والإسلام من الحوار إلى الحوار، دار الأمين القاهرة (د.ت).
- 50- الشرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986.

- 51- شلي عبد الودود: الحوار بين الأديان أسرارہ وخفایاہ، دار المعالم الثقافية، القاهرة (د.ت).
52- الطالبي محمد: الإسلام والحوار (ضمن كتاب وثائق عصرية في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين) المكتبة البولسية بيروت، ط1، 1992.

- الطبري بن جرير:

- 53- جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي بيروت 1978.
54- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم بيروت 1967.
55- العايب سلوى بالحاج صالح: المسيحية العربية وتطوراتها، دار الطليعة لبنان ط1، 1997.
56- عبد الحليم محمود: أوروبا والإسلام، دار المعارف القاهرة ط4، 1993.
57- عبد العظيم رمضان: الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، دار المعارف القاهرة 1985.

- 58- عبد المولى عزالدین: في الرؤية الغربية لتاريخ الحداثة، مجلة إسلامية المعرفة السنة 1، عدد 1996، 4.

- 59- عزالدین إبراهيم: بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي، ماالجدوى وما المستقبل؟ مجلة المسلم المعاصر سنة 27 عدد 107، 2003.

- 60- عسيران عفيف: مدخل ضروري لكل حوار، مطبعة معوش وزكريا لبنان 1990.

- 61- عمارة محمد: العلمانية ونهضتنا الحديثة، دار الشروق القاهرة ط2، 1986.

- غارودي روجيه:

- 62- وعود الإسلام، الدار العالمية بيروت ط1، 1984.

- 63- الإرهاب الغربي، تعريب داليا الطوخي مكتبة الشروق الدولية

ط1، 2004.

- 64- حوار الحضارات، ترجمة عادل العوّاء، سلسلة زدي علماً منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1987.

- 65- الغزالي محمد: فقه السيرة، دار القرآن الكريم بيروت بيروت 1980.

- 66- غسان سليم سالم: محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، دار الطليعة لبنان 2004.

- الفاروقي اسماعيل راجي:

- 67- التراث الفلسفي الحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1991

- 68- نحن والغرب، دار الزيتونة الجزائر 1989.
- فتاح عرفان عبد المجيد:
- 69- إسلامية المعرفة ومنهجية الثقافت الحضاري مع الغرب، مجلة إسلامية المعرفة السنة 2 عدد5، 1996.
- 70- خصائص المنهج العلمي ومقارنته في القرآن الكريم، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية ماليزيا، عدد1، 1997.
- فضل الله محمد حسين:
- 71- الحوار في القرآن الكريم، دار المنصوري الجزائر (د.ت).
- 72- في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك لبنان ط1، 1994.
- 73- فوزي خليل: خيرات الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة 2002.
- 74- فوكوياما فرانسيس: نهاية التاريخ: ترجمة وتعليق حسين الشيخ، دار العلوم العربية بيروت 1992.
- 75- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب: قاموس المحيط دار الكتاب العربي بيروت 1983.
- 76- القرضاوي يوسف: الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة المسلم المعاصر القاهرة عدد86 سنة 1998.
- 77- القرطبي أبو العباس: حوار الأديان في الأندلس، تقديم وتعليق وتحقيق د/ أحمد حجازي السقا، دار مدبولي الصغير القاهرة 2003.
- 78- كونج هانس: مشروع أخلاقي عالمي، تعريب جوزيف معلوف وأورسولا عساف، المكتبة البولسية لبنان ط1، 1998.
- 79- لوك جون: رسالة في التسامح، ترجمة وتقديم د/ عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي 1987.
- 80- مجمع اللغة العربية القاهرة: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة 1983.
- 81- مجموعة من الباحثين: العلاقات الإسلامية المسيحية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق لبنان ط1، 1994.

- 82- مجموعة من الباحثين: الإسلام والمسيحية، بحث في نظام القيم المعاصر، دار الهادي، بيروت لبنان 2003.
- 83- محمد خليفة حسن: علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات، يصدرها مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة.
- 84- المراغي محمد مصطفى: رسالة لمؤتمر الأديان العالمي في موضوع الزمالة الإنسانية، مطبعة الرقازيق القاهرة 1936.
- 85- المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب دار الغرب الإسلامي بيروت 1992.
- 86- المولى سعيد: الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة، دار المنهل اللبناني بيروت 1996.
- 87- الميلاد زكي والريعو علي: الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل، دار الفكر بيروت 1998.
- 88- النسائي أحمد بن شعيب: كتاب السنن الكبرى، تقدي عبد الله بن عبد المحسن التريكي، مؤسسة الرسالة بيروت 2001.
- 89- النشار علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف القاهرة 1995.
- 90- هاني ليب: الحوار المسيحي الإسلامي رؤية جديدة، مكتبة الشروق الدولية القاهرة 2002.
- 91- هالسل جريس: النبوة والسياسة، ترجمة محمد السّمّاك، دار الشروق القاهرة 1998.
- 92- هيكل محمد حسين: حياة محمد - صلى الله عليه وسلم - دار المعارف القاهرة 1991.
- 93- واط مونتجمري: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1998.
- 94- وليام الصّوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د/ سهيل زكار، دار الفكر بيروت 2003.
- 95- ويلز: موجز تاريخ العالم، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويدن الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1999.
- 96- يوحنا بولس الثاني: كتاب التعاليم المسيحية، الفاتيكان 1992.
- 97- يوسف الحسن: الحوار الإسلامي الفرص والتحديات، المجمع الثقافي أبوظبي 1997.

المراجع الأجنبية:

- 1- CHARLES ANDRE JULIEN : HISTOIRE DE L'ALGERIE
CONTENPORAINE PARIS 1964.
- 2- CHEMS EDDINE CIHTOUR : L ISLAM ET L OCCIDENT
CHRETIEN ED CASBAH ALGER 2001.
- 3- CONSEIL PONTIFICAL POUR LE DIALOGUE BULTIN DU
CONSIEL N° 38 1978.
- 4-DENNIS GIRA AU DELA DE LA TOLERANCE LRECONTRE
DES RELIGIONS ED BAYARD PARIS 2001.
- 5- GEORGES GOYOU LA SOCIETE DES MISSIONNAIRES D
AFRIQUE DES PERES BLANCS PARIS 1924.
- 6-JEAN CLAUDE BASSET LE DIALOGUE INTERRELIGIEUX
ED DU CERF PARIS 1996.
- 7- JEAN NEIRYUK ET TARIK RAMADAN PEUT – ON VIVRE
AVEC L ISLAM ED FAVRE PARIS 1999.
- 8-JEAN MOUTTAPA DIEU ET LA REVOLUTION DU DIALOGUE
ED ALBIN MICHEL PARIS 1996.
- 9- PAUL LESORD L OUEVRE CIVILATRICE ET SCIENTIFIQUE
DES MISSIONS CATHOLIQUES PARIS 1931.
- 10-SERGE JARGY ISLAM ET CHRETIENITE LES FILS D
ABRAHAM ENTRE LA CONFRONTATION ET LE DIALOGUE
GENEVE 1981.

الدوريات:

دراسات إسلامية مسيحية: المعهد البابوي للدراسات العربية الإسلامية الفاتيكان روما،

الأعداد:	2	السنة	1976.
	3	السنة	1977.
	4	السنة	1978
	5	السنة	1979
	12	السنة	1989
	13	السنة	1987
	17	السنة	1991.
	19	السنة	1993.
	20	السنة	1994.
	21	السنة	1995.
	22	السنة	1996.
	29	السنة	2004.

المجلات:

- إسلامية المعرفة: العدد 4 السنة 1 ، 1996.
- العدد 5 السنة 2، 1996.
- التجديد: الجامعة الإسلامية ماليزيا عدد 1، 1997.
- المسلم المعاصر: العدد 5 السنة، 1976.
- العدد 86 السنة، 1998.
- العدد 107 السنة، 2003.

فهرس الآيات القرآنية:

السورة	الآية	رقمها	رقم الصفحة التي وردت فيها
الفاتحة	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	2	219
البقرة	قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي	260	9
البقرة	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	30	9 ، 229
البقرة	إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظَّارِينَ	69	8
البقرة	وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	190	133
البقرة	رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى	260	9
البقرة	فَنَظَرْنَا إِلَىٰ مِيسِرَةٍ	280	8
آل عمران	وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّمُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبَيِّتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخَرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	49	38
آل عمران	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	52	39
آل عمران	إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	62	40

آل عمران	110	43	كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
النساء	107	153	وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا
النساء	153	10	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
النساء	163	38	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُؤُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا
النساء	172	41	لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
المائدة	72	41	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
المائدة	73	40	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ

38	75	ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ	المائدة
188 ، 25	82	لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى	المائدة
39	111	وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ	المائدة
38	112	إِذْ قَالَ الْخَوَارِجِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	المائدة
8	99	انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	الأنعام
40	101	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	الأنعام
6	121	وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ	الأنعام
230	151، 152	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأُنْكَفَ	الأنعام

		نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	
الأعراف	14	قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ	10
الأعراف	108	وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ	8
الأعراف	143	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ	10
يونس	99	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَلْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	14
هود	45	وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ	10
هود	118	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ	122
النحل	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	11 ، 5
الإسراء	70	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا	129 ، 122
الكهف	34	فَقَالَ لِسَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا	3
الكهف	37	قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا	3

5	56	وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا	الكهف
5	8	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ	الحج
234	40	الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ	الحج
112	69	وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ	الحج
8	33	قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ	النمل
5	20	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	العنكبوت
25 ، 5	46	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ	العنكبوت
43	47	وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ	العنكبوت
5	6-1	الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سنينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	الروم

14	22	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ	الرَّوم
215	28	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	سبأ
5	58	وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ	الزخرف
114 ، 13	13	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ	الحجرات
5 ، 3	1	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	المجادلة
114	9- 8	لَلَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	الممتحنة
30	6	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ	الصف
11	8	يَقُولُونَ لَنْ نَرَجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ	المنافقون

		وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَافِقِينَ لَا يَدْرُسُونَ	
229	4	وَأَنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ	القلم
2	14	إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ	الانشقاق
8	20	أَفَافَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ	الغاشية
220	4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ	التين
40	4-1	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ	الإخلاص

فهرس فقرات الكتاب المقدس

السفر	الإصحاح	الفقرة	رقمها	رقم الصفحة
التكوين	17	وأنا أباركها (سارة) وأعطيك منها إبناً.. وتكون أمماً وملوك شعوب.....	17	96
التكوين	17	فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في نفسه...وها أناذا أباركه وأثميته وأكثره جداً جداً وأجعله أمة عظيمة	18-21	96
التكوين	21	قومي فخذني الغلام ولتكن يدك معه...	22	96
أشعيا	4	بل يقضي للمساكين يعدل ويحكم لبائس الأرض بإنصاف.. ويهلك المنافق...	4	75
متى	7	يفعل بالناس ما أردتم أن يفعله الناس بكم هذه خلاصة الشريعة وكلام الأنبياء	12	133
مرقس	10	ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية... تعال واتبعني	17-21	228
لوقا	14	آتي بالفقراء والكسحان والعرجى... مقاعد فارغة	14	23
يوحنا	14	أجاب يسوع أليس النهار إثنى عشرة ساعة؟ فمن سار في النهار لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم	11	6
أعمال الرسل	13	أيها الذين يتقون الله اسمعوا...	17-23	74-75

		و جـ .ت داود بن يسي رجلاً يرتديه قلبي وسيتم مشيتي كلها		
228	13	فلنخلع أعمال الظلام ولنلبس سلاح النور... ولاخصام ولا حسد	13	رسالة بولس إلى أهل روما
86	31-21	قد ورد في الكتاب أن إبراهيم رزق ابنين... ابن الأمة لن يرث مع ابن الحرّة	4	رسالة بولس إلى أهل غلاطية
229	23-21	أنبذوا كل دنس وكل بقية من شر... ولا تكتفوا بسماعه فتخدعوا أنفسكم	1	رسالة يعقوب

(أ)

- أبراسيوس.....83.
- إبراهيم عليه السلام....9-10-26-41-44-85-100-106-107-123-198.
- إبليس.....10-11.
- أبو حارثة بن علقمة.....48-51.
- أبو عبيدة بن الجراح.....52-55.
- أبو بكر الصديق.....55.
- أتيل.....37-38.
- أثناسيوس.....34-35-36-83.
- آدم عليه السلام.....128.
- آريوس.....34-35-36-83.
- أسامة بن زيد.....55.
- إسحاق عليه السلام.....101.
- إسماعيل عليه السلام.....93-100-101.
- أغسطس.....31-32.
- الآريك.....37.
- البر ليوني.....56.
- أليكس كومن.....80.
- إملي (ملكة).....69.
- أنطوان ديبش.....73.
- أنور السادات.....144-215.
- أوربان الثاني.....59-61-64-129.
- أوغسطين القديس.....71-74-83-84-85-86.
- أو كاسيوس.....37.

37.....	أبو بكر
49-39.....	نوشروان كسرى
65.....	إيزابيلا (ملكة)
37.....	أيوب عليه السلام

(ب)

64.....	باسكال الثاني (البابا)
91.....	بحيرا الراهب
73.....	بربريجد
64.....	برنارد (المطران)
94.....	بطرس الطليطلي
78-58.....	بطرس القديس
218-95-94-93.....	بطرس المبجل
60.....	بطرس الناسك
71.....	بكري
21.....	بنو عوف
21.....	بنو النجار
129.....	البهي محمد
71.....	بوشناق
189.....	بول ميرلا (كاردينال)
191-124-123.....	بولس الثاني
233-92-79-78-77-33.....	بولس القديس
111.....	بولس بسيم
226-103.....	بيوس العاشر

(ت)

200-96-95-86.....	توما الإكويني
56.....	تيطس

(ث)

- ثيوذوسيوس.....36-37-38-82.
ثيودور هيردزل.....226.

(ج)

- جاء الحق علي جاد الحق.....191-192-196.
جاك جوميه.....97.
جالينوس.....81.
جستيان.....37-38-39.
جسير يوس.....81.
جويتر.....36.
جورج بوش.....245.
جورج سيل.....95.
جورج كاري.....206.
جورد قنواقي.....105-232.
جون كينيدي.....142.
جون موط.....219.

(ح)

- الحارث بن عمير.....48.
حسن بن طلال.....142-168-178.
الحلاج.....101.
حنبل.....30.

(خ)

- خالد بن الوليد.....56.
الخالدي مصطفى.....127.
الخالصي.....136.
خولة بنت ثعلبة.....7.

79.....	داود عليه السلام.....
124-123-122.....	دراز محمد.....
178.....	دسيكيوس.....
73-72.....	دورفيغو.....
71.....	دوفال.....
95.....	ديوري.....

(ر)

105.....	روبار كاسبار.....
94.....	روبارت كيتنز.....
144.....	روسانو (كاردينال).....
24.....	ريغن رونالد.....

(ز)

39.....	زرادشت.....
130-129-31.....	زينب عبد العزيز.....

(س)

93.....	سارة.....
87.....	سيرفست.....

(ش)

72-71.....	شارل العاشر.....
59.....	شارلمان.....
243.....	الشاطي.....
48.....	شرحيل بن عمر.....

(ص)

64.....	صانشو الثاني.....
56-55.....	صفريوس.....
191.....	صموئيل صراط.....

طارق بن زياد.....57.

(ع)

عائشة رضي الله عنها.....6.
 عبد الحليم محمود.....225-168-164-144.
 عبد الرحمن بن عوف.....53.
 عبد الرحمن يبصار.....189.
 عبد الودود شلي.....132-131.
 علي السّمان.....201-195-191.
 عمر بن الخطاب.....63-56-55.
 عمرو بن العاص.....56.
 عمر فروخ.....132.
 عيسى عليه السلام.....-108-89-78-52-44-43-42-41-40-39-34-32-255-231-218-215-214-188-113-109.

(غ)

غاليلو.....216.
 غاندي.....100.
 غريغوري التاسع.....64.
 غريغوري الثالث عشر.....226.
 غريغوري السادس.....73.

(ف)

فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.....109.
 فانز.....37.
 فرانسيس أرنزي.....206-196-195-193-192-179.
 فرسينوس.....71.
 فرناند أنجران.....71.

195.....	فوزي فانيلى الزراف
98-97.....	فولتير
143.....	فيرنستينرغ
143.....	فيصل (الملك)
74-73-66.....	فيليب الثالث

(ق)

85.....	قاييل
20.....	قريش
233-83-81-80-36-35-34.....	قسطنطين

(ك)

144.....	كارل بارث
87.....	كالفن
73-72.....	الكبابطي مصطفى
140-137-135.....	كر لاند هوبكت
44.....	كسرى
72.....	كلوزيل
219.....	كمال أتا تورك
73.....	كولان (قس)
191.....	كونج (كاردينال)
65.....	كي مانس

(ل)

74.....	لفيجري
78-77.....	لوقا
97.....	لويس غارديه
70.....	لويس فيليب
108-101-100-99.....	لويس ماسينيون
81.....	ليكسوس

- 96.....مارتن لوثر
- 255.....ماريا القبطية
- 78.....متي
- 159.....محمد أحمد شريف
- 201-192.....محمد سيد طنطاوي
- 95-93-92-91-90-54-52-50-45-44-41.....محمد صلى الله عليه وسلم
- 214-188-124-114-113-112-111-110-108-101-98-97-96
- 242-241-232-219-218-215
- 236-213.....محمد عمارة
- 191.....محمود حمدي زقزوق
- 121-117.....المراغي محمد مصطفى
- 198-126-43-34-32.....مريم عليها السلام
- 53.....معاوية بن أبي سفيان
- 250-230.....موريس بورمانس
- 44-41-10.....موسى عليه السلام
- 152.....ميشال أسمر

(ن)

- 236.....نابوليون بونبارت
- 122-90-79-10.....نوح عليه السلام
- 35.....نوريوس

(هـ)

- 189.....هاجامي
- 232-214-115-114-113.....هانس كونج
- 55-46.....هرقل
- 88-87.....هيجل

(و)

- ولفرد سميت.....114.
وليام الصوري.....53.

(ي)

- يحيى بن عدي.....240.
يعقوب عليه السلام.....37.
يوحنا الدمشقي.....91.
يوحنا.....79-78.
يوسف القرضاوي.....127-126-125-26.
يونس عليه السلام.....137.

(أ)

أجنادين.....	55.
أدرنة.....	37.
الأردن.....	179-178-168-144-55.
أرغونة.....	65.
إزنيق.....	35.
إسبانيا.....	27-30-37-39-64-66-67-146-156-170-175-
	186-187-188-189-214-216-233.
الأستانة.....	63.
إسرائيل.....	148.
الإسكندرية.....	36-58-136-137-138.
آسيا.....	25-31-38-46-61-66-89-103-105-141-183-184-
	186-187-221.
أسيزي.....	130-151-187.
إشبيلية.....	65.
أغادير.....	67.
إفريقيا.....	31-37-38-39-57-71-72-74-83-84-89-103-
	105-141-150-155-156-171-186-187-221-229-233-251-
	252-256.
أفغانستان.....	244.
ألمانيا.....	121-149-150.
أمريكا اللاتينية.....	239.
أمريكا.....	183-186-187.
الأناضول.....	57-66.

187.....	أنجار.....
157-69-68.....	إنجلترا.....
229-67-66-65-64-63-57.....	الأندلس.....
78-63-58-45.....	أنطاكية.....
145.....	أنقرة.....
-103-19-18-97-92-87-68-67-66-64-60-59.....	أوربا.....
233-187-186-183-181-171-158-151-150-148-146-130.....	
86.....	أورشليم.....
143.....	أوغندا.....
60.....	إيبيريا.....
-148-146-142-130-69-66-57-39-37-30-27.....	إيطاليا.....
187-180-174.....	
65-55.....	إيليا.....
24-22.....	الاتحاد السوفياتي.....
219-143.....	استنبول.....
(ب)	
191-187-186-121.....	باريس.....
37.....	بانونيا.....
48.....	البحرين.....
139-138-137-136-40.....	بحمدون.....
54.....	البرانس.....
187.....	برشلونة.....
191.....	برن.....
57.....	برقة.....
186.....	برلين.....
219-154.....	برمانيه.....
157-150.....	برمينغهام.....

بروكسيل.....	149-151.
بريطانيا.....	27-147-150-151-206.
بصري.....	48.
بغداد.....	207.
بلجيكا.....	68-151.
بلغاريا.....	37.
البلقاء.....	55.
البلقان.....	37-57.
البلمند.....	186.
البندقية.....	148.
بواتيه.....	54-125.
البوسفور.....	36.
البوسنة.....	24-216-130.
بومباي.....	186.
بون.....	149.
بيت لحم.....	32.
بيتايا.....	182-212.
بيروت.....	102-143.
بيكين.....	27-127.

(ت)

تايلاند.....	182-212.
تبوك.....	23-49-50.
تركيا.....	35-68-219.
تسالونيكى.....	77.
قل أيب.....	225.
تورينو.....	149.
تولاد.....	187.

تولوز.....187-151.

تونس.....186-105-102-68-67.

(ج)

الجزائر.....-74-73-72-71-70-69-68-67.

140-150-171-251.

الجزيرة العربية.....37.

حنيف.....152-87.

جورج تاون.....186.

(ح)

الحبشة.....255.

حلوان.....219.

حمص.....55.

حنين.....49.

(د)

دمشق.....100.

(ر)

الرباط.....150.

رفع.....55.

الرها.....63.

رودس.....57.

روسيا.....181-176.

روما.....-144-86-85-80-77-74-63-59-58-57-38-31-30.

145-151-174-187-189-195-196-200.

رووان.....149.

(س)

سانسبورغ.....148.

ستراسبورغ.....171-149-147.

24.....	سرايفو
37-30.....	سردينيا
144-143.....	السعودية
209-186-180-68.....	السودان
135-92-69-30.....	سوريا
65.....	السويس
191-178-166-163-152.....	سوسرا

(ش)

233-229-69-61-55-48-46-45.....	الشام
178-166.....	شامبزي
150.....	شانتيلي
216.....	الشيشان

(ص)

149-57-37.....	صقلية
62.....	صور

(ط)

225-159-144-67-3.....	طرابلس
187.....	طشقند
65.....	طليطلة
186.....	طهران
149.....	طوكيو

(ع)

-182-181-143-135-69-46.....	العراق
244-219-204.....	
55.....	عسقلان

عمان.....105-144-148-168-178-179.

(غ)

غرناطة.....65-186.

غزة.....55.

غلاطيا.....92.

(ف)

الفرات.....30-45.

فرنسا.....27-39-57-60-64-66-68-69-70-100-140-145-147-

171-186-187-229-252.

فلسطين.....24-32-44-46-55-69-138-141-162-219-222-225-

226-229.

فلورانس.....180.

فيتنام.....244.

فيينا.....96-186-191-233.

(ق)

القاهرة.....27-100-102-105-127-137-143-144-164-190-195-

200-202-204-208-219.

القدس.....45-55-56-57-58-60-62-63-105-136-139-141-

144-162-219-222-225-226-229.

قرطاج.....30-37-58-83-186-188-214.

قرطبة.....65-110-144-150-151-156-157-161-170.

القسطنطينية.....36-37-39-46-55-57-58-59-69-233.

قسطنطينة.....74.

قشتالة.....65.

القوقاز.....180-181-216.

(ك)

163-152.....	كارتيني
137.....	كامب دفيد
48.....	الكرك
186-64-61.....	كلارمون فيرون
187.....	كوبنهاجن
37.....	كورسيكا
77.....	كورنتس
247.....	كيوتو

(ل)

155.....	لاغون
172.....	لافاليت
-161-161-154-152-141-140-138-135-69.....	لبنان
248-219-186.....	
207-206-151-147.....	لندن
151-149.....	لوفان
225-159-144-69.....	ليبيا
148.....	ليسيستر
74.....	ليون

(م)

50-49-48-23.....	موتة
172-151-144.....	مالطا
186.....	مانيلا
225-189-188-175.....	مدريد
149-69-68-67.....	مراكش
236-233-229-202-201-164-143-141-140-135-79-57.....	مصر

74.....	معسكر
186-171-150-100-67-66-64-57.....	المغرب
30.....	مقدونيا
49-47-46-39.....	مكة
176.....	مردلينغ
176-121.....	موسكو
186-149.....	موفو
151-83-81-34.....	ميلانو
149.....	ميليورن

(ن)

55.....	نابلس
101-54-53-52-51-50-49.....	نجران
248-186-176-151-148-96.....	النمسا
149.....	نيروبي
35.....	نيقية
45.....	النيل
165.....	نيودلهي
149.....	نيويورك

(هـ)

216.....	الهرسك
151-68.....	هولندا

(و)

143.....	وارسو
-186-142-135-24-23.....	الولايات المتحدة الأمريكية
247-246-245-244-243-227-208	
67.....	ومران

244.....	اليابان.....
55.....	يافا.....
149.....	ياوندي.....
52-49-21.....	يشرب.....
55.....	اليرموك.....
49-48.....	اليمن.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملاحق البحث

جامعة الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم: 8

كلمة

فضيلة الأستاذ الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف
وكيل الأزهر الشريف ورئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف
للعوار بين الأديان السماوية
بمناسبة التوقيع على اتفاقية إنشاء اللجنة المشتركة
بين
اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية
والمجلس البابوي لحوار الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الكاردينال فرنسيس ارينز
السادة أعضاء المجلس البابوي لحوار الأديان
السادة الحضور

يشرفني في بدء كلمتي إن انقل إليكم تحية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ
الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وتمنياته الطيبة لكم
بالتوفيق والسداد

السادة الحضور :

إنه ليوم مشهود سيسجله التاريخ ونحن نودع القرن العشرين بما
حدث فيه من حروب وآلام للبشرية راح ضحيتها ملايين البشر الأبرياء
واغتصبت فيه أراض هي حق لأصحابها الشرعيين . وفي الوقت نفسه نستعد
لاستقبال القرن الحادي والعشرين بآمال نرجو إن يتحقق فيه العدل والإخاء ،
ويرفع الظلم والاضطهاد عن المظلومين ، وترد الحقوق المغتصبة لأصحابها .

سيسجل التاريخ انه تم اليوم توقيع هذا الاتفاق العظيم بين اللجنة
الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية وبين المجلس البابوي
للحوار بين الأديان . الذي يهدف إلى التعاون بين الطرفين لصالح البشرية .

إن من تعاليم الإسلام الاعتراف بالجميل لمن يساهم في مولد الأعمال
الجليلة ولهذا احيي بمناسبة يوم التوقيع على هذا الاتفاق التاريخي
الكاردينال كينج ومؤسسة الاديك للحوار الإسلامي المسيحي بتنظيم لقاءات
غير رسمية مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - الراحل - الشيخ جاد الحق
على جاد الحق (وقتها) في برن ١٩٩٤ والتي تبعها في نفس العام لقاء مع
الكاردينال ارينز والكاردينال كينج والأستاذ الدكتور / على السمان الذي
يوقع الاتفاق معي اليوم لتبدأ أولى الخطوات الرسمية لهذا العمل الصبور
وبإرادة صلبة التي تميز شخصية الكاردينال ارينز لتوصلنا إلى نهاية المرحلة
الأولى التي أعطاها فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد
طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بعد توليه مسئوليته في مارس ١٩٩٦ دفعة قوية
لنصل إلى ما تحقق اليوم . وتحية خاصة إلى السيد السفير / محمد حسين
الصدر سفير جمهورية مصر العربية لدى الفاتيكان الذي كان له مساهمة
إيجابية فيما توصلنا إليه الآن .

إن الدين الإسلامي لغته الأساسية في التخاطب مع معتنقيه ومع غير
معتنقيه في جميع معاملات الحياة هي الحوار والمناقشة للوصول إلى تحقيق
الأهداف والمقاصد السليمة التي تحقق الخير والسعادة للجميع :
إنه دين لا يعرف التعصب ويرفض العنف والتطرف والإرهاب ، ويدعو
إلى السلام ومحبة الآخرين .

والقرآن الكريم - وهو دستور المسلمين - حافل بكثير من الحوارات :

فهناك حوارات بين الخالق عز وجل - وبين مخلوقاته من الرسل الكرام
ومن الملائكة المقربين ، ومن الشيطان الرجيم ...

وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم ... الخ ما ورد في القرآن الكريم من
حوارات أننا نحن المسلمين نؤمن بأن الأديان السماوية فيها قدر مشترك من
الفضائل والأخلاق الكريمة . فهي تدعو إلى العدل وترفض الظلم ، تدعو
إلى الخير وتحارب الشر ، تدعو إلى الإخاء والمساواة ولا تقبل البغضاء
والاضطهاد ، تدعو إلى التعاون والإيثار وتذم القطيعة والأنانية ، تمنع
الاعتداء وتنادى بالسلام ...

إن تحقيق هذه الفضائل المشتركة هو هدفنا وغايتنا من الحوار لصالح
البشرية جمعاء . لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين غني وفقير ، ولا بين قوي
 وضعيف ..

وسنضع نصب أعيننا ونحن نعمل على تحقيق أهداف هذا الحوار أن
تكون من مهامه الأساسية إعطاء عناية خاصة لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة
في المجتمع المسيحي ، وكذلك بيان الصورة الحقيقية للمسيحية لدينا .
وذلك تطبيقاً لمقررات مؤتمر السربون عام ١٩٩٤ التي تبناها مجمع البحوث
الإسلامية بالأزهر الشريف - ودونتها نصوص الاتفاق الموقع اليوم .

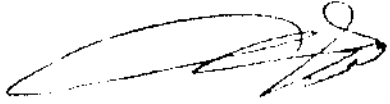
إن من محاسن المصنف إن يتم توقيع هذا الاتفاق اليوم والمجلس
البابوي يحتفل بمرور عشرين عاما على تولي قداسة البابا جون بول الثاني
مهامه الجليلة .

نسأل الله أن يوفقنا إلى الخير وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم

وكيل الأزهر

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف

للحوار بين الأديان



(فوزي فاضل الزفازف)

٣ من صفر ١٤١٩ هـ

٢٨ من مايو ١٩٩٨ م

القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 9

الأهمل الشريف

لجنة وكيل الأهر

نيافة الكاردينال فرنسيس ارنيز
رئيس المجلس البابوي لحوار الاديان
تحية طيبة و بعد :

انكم تشاركوننى الحزن ونحن نتابع ما يحدث فى كوسوفو من قتل وتشريد
للأبرياء و نزوح جماعى بالالاف للسكان الامنيين .
و من موقع مسئولية كل منا فى رئاسة اللجنة المشتركة لا نستطيع ان نقف
مكتوفى الايدي دون أى رد فعل من هذه اللجنة مدينا للعدوان الظالم ودفاعا
عن مئات الالوف من الضحايا من الاطفال والنساء والرجال الأبرياء .
ارجو ان تتكرموا - اذا وافقتم من حيث المبدأ على اعداد مشروع بيان
يصدر عن اللجنة المشتركة بين المجلس البابوي لحوار الاديان واللجنة الدائمة
للأهر الشريف لحوار الاديان الساموية يبين بوضوح موقفنا كرجال اديان
فى ترسيخ القيم المشتركة بيننا مثل الدفاع عن كرامة الانسان وحقوقه فى
كوسوفو - وان يقوم كل من المطران فينيز جيرالد والدكتور على السمان
بالتنسيف لتلبية هذا المطلب من ناحيتنا .

علاء الدين

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

وكيل الأهر

٨ ابريل ١٩٩٩م

*(فوزى فاضل الزفزافا)

ملحق رقم 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر - بالقاهرة

لقد استقبلتمونا بفضيلتكم بمكتبكم في ٢ مايو ١٩٩٥ وقد تناقشنا حول موضوعات عديدة بشأن أهمية وضرورة التعاون الإسلامي المسيحي ، ولكي أسهم في مركز فضيلتكم الرفيق مع هذا ملخص لحدثنا .
أثناء مناقشتنا اشترط فضيلتكم إلى المؤتمر الذي نظمته جمعية الحوار الإسلامي المسيحي في مارس ١٩٩٤ وقد أقيم الضوء على الفقرة الرابعة
لبيانها الختامى الذي يقول : " بالنسبة إلى الاخطار التي تهدد الحضور الديني في المؤتمر وبالتالي وضع نهاية لذلك لأرهاب والتعصب مع الانتماء والدين " وما يتوافق بالضرورة القائمة والمشوشة للإسلام في الغرب فقد أكد الكاردينال كوينج وكبير الحاخامات سيرات على ضرورة إبراز الوجه الحقيقي والمادى للإسلام للعالم غير المسلم ذلك الوجه الذي يتسم بالتسامح والاخوة .
وأنا اتفق مع الفكرة التي وردت في هذه الفقرة وهي أن الإرهاب والعنف لا يمثلان وجه الإسلام الحقيقي فالمسلمون الحقيقيون يعملون من أجل السلام ويتقبلون المؤمنين الآخرين .
وفي نهاية مناقشتنا يوم ٢ مايو ١٩٩٥ اقترحت على فضيلتكم أن يسهل مكان الأزهر والمباني المماثلة للحوار الديني أن يلتقيا ليحدثا إمكانية إيجاد لجنة أعمال دائم فيما بيننا . وإذا ما أردنا ذلك فإنه يجب أن نعمل من أجل إبراز هذا العمل ذلك وقد سبق أن كتبت لفضيلتكم خبر دول هيذا .

ولذلك في انتظار رد الأزهر على هذا الاقتراح
وإذا ما كنتم مؤيدين لذلك فإنه يجب أن نبحث عن الزمان والمكان الذي يتناسب معنا لمقابلة أول لقاء . ونحن نتوقع وجودنا في القاهرة

(٥)

١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

" ٢ "

في نهاية مايو ١٩٩٦ . ويمكن أن أوضح هذا أن هذا مختلف تماما عن
لجنة الاتصال التي أقامها مجلسنا البابوي مع منظمات إسلامية دولية
التي تسمى

أتمنى الغفرانكم دوام الصحة والعافية وتوفيق الله

المخلص لكم

فرانسيس ~~كلود~~ أرينسزي

رئيس المجلس البابوي

للحوار الديني

٩٦ / ١ / ٩١

ترجمة / أحمد عبد الخالق

١٩٩٦/٢/٢م

جامعة الأزهر
القادر للعلوم الإسلامية

الازهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

قرار شيخ الأزهر

رقم (١٨ \ ٤) لسنة ١٩٩٧ م

شيخ الأزهر

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م في شأن إعادة تنظيم الأزهر
والهيئات التي يشملها والقوانين المدله له . . .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥ م بإصدار اللائحة التنفيذية
للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م الصادر اليه . . .

وعلى كتاب الكاردينال اريندزى رئيس المجلس البابوى للحوار بين الاديان
بالباتيكان الدارج ١٩٩٦/١/٢١ م فيما تضمنه من اقتراح انشاء لجنة اتصال
دائم بين الأزهر الشريف والمجلس البابوى للحوار بين الاديان بالباتيكان لظهور
الوجه الحقيقي والصادق للإسلام للعالم غير الاسلامي . . .

وعلى مشروع الاتفاق الذى أعده مجلس الحوار بين الاديان بالباتيكان فى شأن
انشاء لجنة الاتصال بين الأزهر الشريف والمجلس البابوى للحوار بين الاديان .

وعلى المشروع الذى أعده الدكتور مصطفى الشكعة والدكتور على السمان ممثلين
لشيخ الأزهر فى لجنة الاتصال بين الأزهر الشريف والمجلس البابوى للحوار بين
الاديان بالباتيكان فى شأن مشروع الاتفاق الخاص بإعلان المبادئ للجنة
المشتركة بين الأزهر والمجلس البابوى للحوار بين الاديان الذى اقره فضيلة
الامين العام لمجمع البحوث الاسلاميه واعتدته شيخ الأزهر بتاريخ ١٣ / ٥ / ١٩٩٧ .

وعلى ما انتهى اليه رأى سفارتنا فى الباتيكان فى شأن مشروع الاتفاق الصادر اليه
على النحو الموضح بكتاب السيد السفير نائب مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافيه
العامه والدينيه رقم ٢٧٣ بتاريخ ١٩٩٧/٦/٨ .

وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ٤١٥ لسنة ١٩٩٧ فى شأن تشكيل لجنة خاصه برئاسة
فضيلة الامين العام لمجمع البحوث الاسلاميه للتخضير لاعمال اللجنة المشتركة
بين الأزهر والمجلس البابوى للحوار بين الاديان بالباتيكان .

(قـــــــــــــــــرر)

(المادة الاولى) :

تشكل لجنة خاصة بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الامين العام لمجمع البحوث
الاسلاميه وعشوية كل من :



(٢)

- (١) الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة
(٢) السيد السفير / نبيل بسيدي
(٣) الأستاذ الدكتور / علي المصطفى
(٤) خديجة النور / عبد الحميد الجيد الجزار
(٥) السيد الأستاذ / جمال أبو الحسن
- عضو مجمع البحوث الإسلامية
مستشار وزير الخارجية
وعضو المجلس الأعلى
للمشئون الإسلامية
رئيس لجنة الحوار
والعلاقات الإسلامية
بالمجلس الأعلى للمشئون
الإسلامية
الأمين المساعد للبعوث
الإسلامية
رئيس الإدارة المركزية
المعرف على مكتب شيخ الأزهر

وتكون مهمة هذه اللجنة التحضيرية للمشروع النهائي للأزهر الشريف في شأن الاتفاق الخاص
بإعلان الديانة للجنة المشتركة بين الأزهر والمجلس البابوي للحوار بين الأديان

(المادة الثانية) :

يلغى كل ما يخالف ذلك من قرارات

(المادة الثالثة) :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار

صدر في : ١٦ من صفر سنة ١٤١٨ هـ

الموافق : ١٠ من يونيو سنة ١٩٩٧ م

شيخ الأزهر

محمد سيد طنطاوي

(دكتور / محمد سيد طنطاوي)

٩٧ / ٦ / ٢١



الأزهر
مكتبة الإمام الشافعي
مكتبة الإمام مالك
مكتبة الإمام أحمد
مكتبة الإمام أبي حنيفة

قرار شيخ الأزهر
رقم () لسنة ١٤١٢ هـ

شيخ الأزهر

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م في شأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يرأسها والقوانين المعدلة له .
وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٧٥ م باصدار اللائحة التنفيذية القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦٦ م المشار اليه .
وعلى كتاب وزير الداخلية رقم ١١١٦/١/٧١ م فيما تضمنه من اقتراح انشاء لجنة اتصال دائم بين الأزهر الشريف والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالاتيكان والالتزام بالمساهمة في اظهار الوجه الحقيقي والصادق للإسلام للعالم غير الاسلامي .
وعلى مشروع الاتفاق الذي أعدته الأزهر للجنة الحوار بين الأزهر الشريف والمجلس البابوي للحوار بين الأديان .

قرر

(المادة الاولى) :

تشكل لجنة دائمة لحوار الأديان السامية تكون مهمتها توفير الاطار المتخصص والمقابل للمؤسسات الدينية العالمية التي تعمل في مجال حوار الأديان السامية تدعيم الدور الأزهر في نشر صورة الاسلام الصحيحة على الساحة العالمية على النحو التالي :

- (١) قيادة الشيخ / وكيل الأزهر مثلاً لشيخ الأزهر
- (٢) قيادة الشيخ / الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية
- (٣) السيد الدكتور / رئيس لجنة الحوار والعلاقات الاسلامية
بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية
- (٤) عضو من مجمع البحوث الاسلامية يكون مبدئاً للجنة
الاتحادية وعمل في المجالات الثقافية في الخارج ونفس
الجامعات المصرية يتم اختياره من شيخ الأزهر
- (٥) السيد رئيس الادارة المركزية للشئون القانونية
والشؤون على مكتب شيخ الأزهر

رئيساً
عضواً
عضواً ونائباً لرئيس
الاتصالات الخارجية
عضواً
أميناً للجنة الحوار

(٢)

لجنة الرضا (المادة الثانية)

تشكل لجنة فرعية برئاسة وكيل الأزهر - للاتصال بين الأزهر والمجلس
البابوي لحوار الأديان بالقائمان برئاسة وكيل الأزهر وعضوية رئيس لجنة الحوار
والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية يكون نائباً لرئيس اللجنة -
وكذلك أحد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية فضلاً عن خبراء بمسئلتهم الشخصية .
وتكون مهمة اللجنة الفرعية إجراء الاتصال بين الأزهر والمجلس البابوي لحوار
الأديان بالقائمان وتبليغ تنفيذ القرارات والقرارات التي تتخذها اللجنة
الدائمة لحوار الأديان المساوية ومضات تقاريرها أولاً بأول على اللجنة الدائمة .

(المادة الثالثة) :

نظم إلى اللجنة الدائمة للحوار أو اللجنة الفرعية للاتصال مستقبلاً خبراء بمسئلتهم
الشخصية للمساواة هذه اللجان في تحقيق أهدافها ومصدر بنهمهم قرار من شيخ
الأزهر أو وكيل الأزهر بحسب الأحوال .

(المادة الرابعة) :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ويلغى كل ما يخالفه من قرارات .

صدر في : ١ من جمادى الأولى سنة ١٤١٨ هـ

الموافق : ٨ من سبتمبر سنة ١٩٩٧ م

شيخ الأزهر

محضره

(دكتور / محمد سيد طنطاوي)

٩ / ٩ / ٩٧

مذكره

في شأن المبادئ العامة للجنة الدائمة لحوار
الاديان السماوية

(المبدأ الاول

لجنة دائمة لحوار الاديان السماوية دون تخصيص :

طالما أن فكر وأساوب وضرورات الحوار بين الاديان السماوية اصبح احدى الاتجاهات الجديدة للأزهر الشريف التي يدعو لها فضيلة الامام الاكبر فإنه يتعين أن تكون لجنة الحوار الدائمة - غير مقصورة في عملها على الحوار بين الأزهر والفاثيكان بل أن تكون مفتوحة للاديان السماوية لتتضمن في الخد القريب مثلا الحوار مع الكنيسة الانجيلية لاسيما بعد نداء رئيس الكنيسة الانجيلية أثناء رحله الامام الاكبر لاجلنا بأن يتعاون الأزهر معه في اقامة مؤسسات للحوار تهدف الى أن يعيش ملايين المسلمين في اجلنا في محبة وسلام مع الآخرين .

وحيدا يوافق فضيلة الامام الاكبر على اصدار قرار بتكوين لجنة لحوار الاديان السماوية برئاسة فضيلة وكيل الأزهر سيكون قرارا تاريخيا لانه سيخلق لأول مرة الاطار المتخصص لحوار الاديان السماوية ويخاق بالتالي الاطار المقابل للمجلس البابوي لحوار الاديان بالفاثيكان وكذلك الاطار المقابل داخل الكنيسة الانجيلية ويدعم بالتالي الصورة والوزن العالم لدور الأزهر الشريف .

(المبدأ الثاني)

استقلال قيادة وادارة الحوار بين الأزهر الشريف والفاثيكان من خلال اللجنة الموكول لها ادارة الحوار برئاسة فضيلة الشيخ وكيل الأزهر والكاردينال رئيس المجلس البابوي لحوار الاديان ، وتطبيق نفس المبدأ على مؤسسات الحوار المستقبلية .

وكذلك استقلال الاتصالات المباشرة بين الأزهر والفاثيكان من خلال لجنة الاتصالات المكلف بها الدكتور على السمان والدكتور مصطفى الشكعة التي تقوم بمتابعه تنفيذ المشروعات والقرارات التي تتخذها اللجنة الدائمة للحوار واعداد جدول الاعمال للاجتماعات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١)

الأخيه الشريفة

كتب وكيل الأزهر

(المبدأ الثالث)

(العلاقة مع وزارة الخارجية المصرية)

مع احترام مبدأ استقلال العلاقة والاتصالات بين الأزهر والفاثيكان فان لجنة الاتصالات تقوم
بإفادة مكتب السيد وزير الخارجية بأعمال لجنة الحوار .

(المبدأ الرابع)

التأكيد على احترام مستويات التفاوض والاتفاق بين الأزهر وممثلي الكنائس الأخرى تأكيداً لمكانته
بإمام الأكبر شيخ الأزهر على الساحة العالمية والإسلامية

(المبدأ الخامس)

الحرص على ما سبق الاتفاق عليه أثناء مراحل التفاوض لاسيما تلك التي تشير إلى مسئولية الفاتيكان
المساهمة في توضيح صورة الإسلام في الخارج حتى يكون الحوار لمصلحة الطرفين .

(خطاب الكاردينال ارنيزي الذي يؤكد التزامه بمقررات مؤتمر السوربون في هذا الصدد)

والأمر محروص على فدية الإمام الأكبر شيخ الأزهر للفضل بالنظر ، ومع تقديرنا الكامل لدور
أره الخارجية وضروره إيجابتها علما بما يتم من إجراءات في موضوع اللقاءات مع الفاتيكان فإنه يقترح
لنجاح نشاط الحوار وأعمال لجانه أن تكون العلاقة مباشرة بين الأزهر والمؤسسات الدينية
عالمية حتى تكون هناك مرونة فيما يتخذ من إجراءات للتنفيذ لاسيما وان ما يتعلق بأي حوار ديني
ومن صميم رسالته الأزهر الشريف وهو أقدر على شرح وتوضيح وجهته نظراً لإسلام فيما يثار من
تبعات . مع العلم أيضاً بأننا نتعامل مع الفاتيكان ككنيسة وليس كدولة وبالتالي كان تعاملنا مع
جلس البابوي لحوار الأديان وليس من خلال وزير خارجية الفاتيكان .

عبراً في ٦ من مارس ١٩٩٨م

موافق ٨ من شهر ربيع ١٩٩٧م

وكيل الأزهر



(فوزي فاضل الزفزاف)

نظر
رئيس
٩٧/٩/٨

نص الاتفاق

بين

المجلس البابوي للحوار بين الأديان (حاضرة الفاتيكان) —

وبين

اللجنة الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية

لإنشاء

لجنة حوار مشتركة

١ . نظراً لأهمية تدعيم المعرفة السليمة للديانتين المسيحية والإسلامية ولكي يتحقق لكل منهما الفهم الصحيح لعقائد الديانة الأخرى وعباداتها؛

٢ . ونظراً لأهمية السهر على أن تؤدي الأديان الدور الخلق بها في المجتمعات البشرية لتشجيع الإخاء والتضامن والتعاون والعدالة والسلام في سبيل حل مشكلات الإنسانية جمعاء ومن أجل أن تتصدى سويًا للتطرف الديني بوصفه تعبيراً عن النبذ ومصدراً للكره والعنف والإرهاب؛

٣ . ونظراً للمكانة الهامة التي يتمتع بها الأزهر الشريف ولتاريخه ودوره المميز علمياً وأخلاقياً في المجتمع الإسلامي، ونظراً للدور الخامس للمجلس البابوي للحوار بين الأديان في الكنيسة الكاثوليكية؛

٤ . وتعبيراً عن الرغبة الراسخة لدى الطرفين بتقوية العلاقات القائمة في إطار الإتصالات السابقة والراهنه، مثل زيارة وفد «أمانة السرّ لغير المسيحيين» كما كانت تسمى آنذاك من ١١ إلى ١٤ نيسان / أبريل ١٩٧٨، والرسائل التي تمّ تبادلها وبخاصة رسالة نيافة الكردينال أرينزي، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، الموجهة في ٢١ شباط / فبراير إلى فضيلة شيخ الأزهر والتي وردت فيها الإشارة إلى المؤتمر الذي عُقد في جامعة السوربون في باريس في حزيران / يونيو ١٩٩٤، والذي نظّمته جمعية الحوار الإسلامي المسيحي (Association pour le Dialogue Islamo-Chrétien, A.D.I.C.)، فضلاً عن الإشارة إلى ضرورة إعطاء المسيحيين الصورة الصحيحة عن الإسلام وضرورة أن تُعطى للمسلمين الصورة الصحيحة عن المسيحية، ورسالة الأزهر في ٢٥ شباط / فبراير ١٩٩٧، والمحادثات والحوارات التي شارك فيها ممثلون عن الطرفين لتنشيط الحوار، من أجل استبعاد الافتراءات والإدعاءات الباطلة التي تتعرض لها الأديان/ومن أجل تنمية النتائج الإيجابية التي تمّ التوصل إليها إلى الآن؛

٥ . فقد إتفق الطرفان على تكوين لجنة حوار مشتركة بين كل من «لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين بالمجلس البابوي للحوار بين الأديان» وبين «اللجنة الخاصة

٦ . تعمل اللجنة المشتركة على البحث عن القيم المشتركة وعلى تدعيم العدالة والسلام وعلى ترسيخ إحترام الأديان، كما تقوم اللجنة بتشجيع تبادل الرأي حول موضوعات ذات إهتمام مشترك كال دفاع عن كرامة الإنسان وحقوقه، وتشجيع المعرفة المتبادلة والإحترام بين الكاثوليك والمسلمين، من خلال تبادل المعلومات اللازمة.

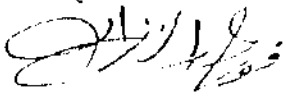
٧ . ستولي اللجنة، من ناحية أخرى، إهتماماً خاصاً بدور المسؤولين الدينيين في ترسيخ هذه القيم.

٨ . ستحدّد اللجنة الأسلوب الخاص بها في التعاون المشترك كما ستوضح طريقة تحقيق أهدافها.

(٩) . يرأس اللجنة كل من نيافة رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان وفضيلة وكيل الأزهر، وستضم اللجنة - من كلا الجانبين - فضلاً عن الرئيسين أمين سر مشارك وثلاثة أعضاء (كحد أقصى). ويستطيع الرئيسان تعيين أعضاء ينوبون عنهما في رئاسة الإجتماعات. ويقوم كل طرف بتشكيل وفده لكل دورة، مع إمكانية الإستعانة بخبراء، حسب طبيعة الموضوعات التي ستناقش. ويقوم كل طرف بإفادة الطرف الآخر بتشكيل وفده.

١٠ . ستجتمع اللجنة المشتركة مرة - على الأقل - كل عام، في القاهرة وفني روما، على التناوب. كما يتكفل كل من الطرفين بتكاليف سفره وإقامته. ويحق لكل من الرئيسين أن يقترح عقد إجتماعات إضافية، على مستوى الرؤساء، أو لإعداد اللقاءات، إذا إقتضت الضرورة ذلك. ويتم الإتفاق، في مثل هذه الحال، من خلال إتصالات بين الرئيسين وبموافقتهما. ويتم إعداد جدول الأعمال بالأسلوب نفسه والوسائل المناسبة.

١١٩ . بعد الفراغ من كل إجتماع، يتمّ نشر بيان صحفيّ، ويجب أن ينال البيان موافقة اللجنة المشتركة قبل نشره. ولن يُفصح عن أية معلومات حول أوراق العمل المقدمة للجنة، إلا بموافقة الطرفين.



الشيخ فوزي فاضل الزفراف
وكيل الأزهر .

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف
لحوار الأديان السماوية



الكردينال فرنسيس أرينزه
رئيس

المجلس البابوي للحوار بين الأديان



الدكتور علي السمان

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف
لحوار الأديان السماوية



المطران مايكل لويس فيتزجيرالد
أمين سرّ

المجلس البابوي للحوار بين الأديان

حاضرة القاتيكان، ٢٨ أيار مايو ١٩٩٨م / ٣ صفر ١٤١٩هـ

محضر اجتماع اللجنة المشتركة للحوار

انعقد الاجتماع الأول للجنة في روما يوم الخميس ٢٨ أيار/مايو ١٩٩٨ في
كاتب المجلس البابوي للحوار بين الأديان. وقد تبع هذا الاجتماع توقيع اتفاق تم بموجبه
نشاء اللجنة. ترأس نيافة الكاردينال فرنسيس أرينزي ، رئيس المجلس البابوي للحوار بين
ديان الجاناب الكاثوليكي ، بينما ترأس فضيلة الشيخ فوزي فاضل الزفزاف ، وكيل
أزهر ورئيس لجنة الأزهر الشريف الدائمة لحوار الأديان السماوية الجاناب الأزهري .
شارك في الاجتماع الدكتور علي السمان ، نائب رئيس اللجنة ، وسيادة المطران مايكل
هس فيتزجيرالد ، أمين سر المجلس البابوي للحوار بين الأديان ، والأب خالد عكشة ،
ن مكتب الحوار مع المسلمين بالمجلس المذكور .

١ - تشكيل لجنة فرعية :

تقرر تشكيل لجنة فرعية تكون مهمتها الاعداد للاجتماعات (من حيث تحديد
موضوعات ، واختيار المكان ، الخ) . وتم اختيار الدكتور علي السمان والمطران
تريجيرالد كأعضاء في هذه اللجنة . ويمكن اضافة عضوين آخرين عندما تقتضي الضرورة
لك .

٢ - منهج عمل اللجنة :

تكون الفقرة السادسة من الاتفاق اطارا جيدا لأعمال اللجنة . وسيتم اختيار
موضوع لكل اجتماع ، كما ستتاح الفرصة للمشاركين لتناول مسائل ذات اهتمام
شترك .

وسيكتب في نهاية كل اجتماع محضر للجلسات كما سيصدر بيان صحفي .
ويجب أن ينال النصان موافقة الرئيسين .

٣ - موضوعات مقترحة للاجتماعات القادمة :

- (أ) الأديان والعنف .
 - (ب) الأسس المسيحية والأسس الإسلامية لحقوق الإنسان .
 - (ج) التعاون بين الهيئات الإسلامية والهيئات المسيحية للاغاثة .
 - (د) جواب المسلمين وجواب المسيحيين على الأسئلة المطروحة نتيجة تقدم الطب بعد احالة المواضيع على المتخصصين من أهل الديانتين الموثوق بعلمهم وأخلاقهم وتحديد الرأي العلمي من قبلهم .
 - (هـ) تدعيم الاحترام المتبادل بين ديانتينا وبخاصة من خلال كتابات كل من مؤسستينا .
- ينتظر اللجنة التي تم تشكيلها دور هام وهي بحاجة الى اكتساب المصداقية لتمكن من خدمة المسلمين والمسيحيين والبشر كافة . ولهذا فهي بحاجة الى عون الله .
وفي نهاية جلسة العمل لطعام الغذاء على مائدة نياقة الكاردينال أرينزي .



فضيلة الشيخ فوزي فاضل الزفراف .
رئيس لجنة الأزهر الشريف الدائمة لحوار الأديان السماوية



نياقة الكاردينال أرينزي
رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق رقم: 7

الأزهر
مكتب البحوث الإسلامية
شيخ الأزهر

محضر اجتماع

اجتمع في اللجنة المشكلة بقرار شيخ الأزهر رقم (٤١٨) لسنة ١٩٩٧ م في يوم الأحد الموافق ٢٢ يونيو سنة ١٩٩٧ وذلك في تمام العاشرة صباحاً :

بقيادة فضيلة الشيخ / سامي محمد متولي الشعراوي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وعضوية كل من السادة الأئمة أعضائهم بجله :

١) الأستاذ السفير / نبيل بشار

مستشار وزير الخارجية وعضو المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية

٢) الأستاذ الدكتور / على السمان

رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس

الأعلى للشئون الإسلامية

٣) فضيلة الشيخ / عبدالحق عبدالحكيم الجزار

الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية

٤) السيد الأستاذ / جمال أبو الحسن عبد الله

رئيس الإدارة المركزية المشرف على مكتب شيخ

الأزهر

وإستشار من الدكتور الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكبة عضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو اللجنة لعذر طارئة.

وقد افتتح فضيلة الشيخ رئيس اللجنة الجلسة : باسم الله والثناء عليه ثم الصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والانتقال إلى الله أن يحل هذا العمل شاملاً لوجهه الكريم نافعا للإنسانية جمعاء .

ثم بدأت اللجنة أعمالها بالاطلاع على المكاتبات المتبادلة بين الأزهر الشريف والمجلس البابوي حول تشكيل اللجنة المشتركة بين الأزهر والمجلس البابوي للحوار بين الأديان ومبادئها.

وبعد البحث والمناقشة استقر رأي اللجنة على الصيغة النهائية لمشروع الاتفاق الخاص بإنشاء لجنة مشتركة بين كل من الأزهر الشريف والمجلس البابوي على النحو التالي :

" مشروع الاتفاق الخاص بإنشاء لجنة مشتركة بين كل من الأزهر الشريف

والمجلس البابوي بالافتيكاني للحوار بين الأديان "

مقدمة :

تقائرا لأهمية نشر الوعي الديني الصحيح بين الأديان وإبراز حقائقها والتعرف بقيمتها وعقائدها .

ورعاية لما يمثله دور الدين في المجتمعات البشرية من قيم أساسية تعزز من الأخوة والتعاون بين الأديان وتفرق

بين المعتقدات الدينية الصحيحة التي تدعو إلى الإخاء البشري والتضامن ونشر العدل والقيم الفاضلة وبين التعصب

والإرهاب وتدعو إلى تحقيق السلام والوئام بين البشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

(٢)

وإيماننا بما يمكنه العمل الديني من فوائد هامة تحقق التفاعل الإيجابي بين البشر وتشجع على التفاهم الفكري وتوفر مناخا من التعاون يثبت قيم الحق والعدل والسلام والقضايا التي ترتبط بخير البشرية جمعاء ودور الدين فيها ..
وأخيرا في الاعتبار على عمله كلا الطرفين من قيمة خاصة على المستوى الديني نظرا لتاريخهما العريق ودورهما للتميز علميا ومعنويا في المجتمعين المسيحي والإسلامي على المستوى العالمي ..

وإعرايا عن الرغبة المؤكدة بين الطرفين في تعزيز أواصر العلاقات والتعاون بينهما في إطار الاتصالات التي تتم بينهما بما في ذلك المسائل المتبادلة والمخاضات في هذا الشأن والمؤتمرات التي شارك فيها ممثلون عنهما تعزيزا للحوار وتعاونهما على إزالة الحلق والأديان من التبادلات وأباطيل وماتم التوصل إليه من نتائج خلالها في إطار فتاعة الطرفين به
كما يؤكد أهمية الإنارة بحقيقة خاصة إلى نتائج مؤتمر الحوار بين الأديان الذي انعقد في السبربون في شهر محرم
١٤١٥ هـ (سيرة المؤرخ) شهر يونيو ١٩٩٤ م. رسالة رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان المؤرخة
٢١ من فبراير ١٩٩٦ ..

اللجنة المشتركة للحوار:

تتولى الدارفون على تشكيل لجنة دائمة للحوار بين كل من المجلس البابوي للحوار بين الأديان ممثلا للفاثيخان
وبين مجمع البحوث الإسلامية ممثلا للأزهر الشريف
تقوم اللجنة بالاتفاق على رسم مباحج للتعاون ومتابعته بما يضع مجموعة المبادئ المتفق عليها ، والتي تشكل
إطارا لعمل اللجنة ووضع التنفيذ.

كما تولي اللجنة الحوار بين الطرفين بالجدية والاهتمام الواحيين إيماننا بالدور الهام للحوار في البحث عن القيم
المشتركة والإسهام في تعزيز العدل والسلام وتأكيذ احترام الأنبياء وكذلك مناقشة الموضوعات ذات الاهتمام المشترك
كشتر القيم الفاضلة والدفاع عن كرامة الانان وحقوقه ورعاية تطوير التعارف بين الكاثوليك والمسلمين من خلال
تبادل المعلومات والشعرات .

كما أن اللجنة سوف تولي عناية خاصة لدور رجال الدين في نشر هذه القيم وتوفير الاحازام المتبادل بينهما

تشكيل اللجنة ومهامها

يرأس اللجنة الدائمة للحوار بين الدارفون رئيس المجلس البابوي للحوار بين الاديان وفضيلة انشيخ / وكيل
الأزهر - ويجوز عند الضرورة أن يفوض رئيسا للجنة من الطرفين من ينوب عنهما في رئاسة الاجتماع إذا دعت
الضرورة الى ذلك ويقوم كل من الطرفين بتشكيل اللجان المشاركة في الحوار عنهما لكل اجتماع حسب طبيعة
الموضوعات المطروحة ويبلغ كل طرف الطرف الآخر بتشكيله

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

(٣)

واتممت اللجنة مرة أخرى على الأقل كل عام بالتدوير بين القاهرة وروما كما أن لرئيس اللجنة من الطرفين الحق في اقتراح عقد اجتماعات أخرى على المستوى الرياسي أو للتخضير والإعداد حسبما تقتضى الضرورة - ويتم الاتفاق في هذه الحالة عن طريق الاتصال بين رئيسي الجانبين وموافقتهم ويتم الإعداد لجدول الأعمال المقترح بينهما وإجراء الاتفاق حول ذلك بالوسائل المناسبة.

البيان الصحفي

اتفق الطرفان على أن يكون هناك صحفي عند ختام كل جلسة ويجب أن يحظى نص البيان بموافقة اللجنة قبل إعلانه وللإعلان إعلان من أوقاف الجامعة بالمرحلة إلى اللجنة إلا بموافقتهم

رئيس اللجنة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية



(سامي محمد متول الشعراوي)

أعضاء اللجنة

عبدالله بن عبد الحليم

عبدالمعز الحجازي

عبدالله بن عبد الحليم

عبدالله بن عبد الحليم

مستند

مستند

٩٧/٢/٥٩

كانت اللجنة المشتركة المكونة من
الحاجس القباوي وللحداد وبين الأديان
والفلسفة وكان اللجنة الخامسة للأهر
فيقول الأديان السماوية قد أصدرت
فيها بهذه التماسدرة أعان البيان: وفي
لجنة الحداد وللحداد الإسلامي والكلمة والبيان
الشريعة التي تمثل الأهر الشاروف.
والحاجس القباوي وللحداد بين الأديان
والفلسفة كان على اجتماعها هذا مبدئي
مشروحة الأهر والشاروف في المقابلة،
التي أفتتح أعمالها فضيلة الإمام الأكبر
بكره ورعا محمد سعيد طنطاوي شيخ
الأهر ورعا محمد سعيد طنطاوي شيخ
الأهر في الحداد بين الأديان والحداد
الكل في منتج بين الأهر فضلا عن إضافة
الأهر إلى أهر شيخ أهر الشيخ
الحاجس القباوي وللحداد بين الأديان
والفلسفة وكان هذا للحداد بين
الأهر في الأهر والحداد بين
الأهر في الأهر والحداد بين
الأهر في الأهر والحداد بين

الأزهر والفاطيكانيدينان المذابح في كوسوفا



شيخ الأزهر أثناء استقباله لسكرتير عام المجلس الديني
لحوار بين الأديان بالفاطيكانيدينان

مفتي دار الفارغة
رواسن جسانب الفاتيكانيدينان
فيلزجيرالد السكرتير العام للمجلس
الديني للحوار بين الأديان
ريجنيس موريلون من معهد الدراسات
الشرقية للآباء النورينكان والأب جوزيف
بول الأستاذ بجامعة الفاتيكانيدينان

الأكبر في روما بتعليم هذا المؤتمر
وراسن واد الأزهر الشريف فوزي
الزوارف وكيل الأزهر وعضوية الدكتور
على السمان نائب رئيس اللجنة الدائمة
الأزهر له وار الأديان السماوية والدكتور
عبد الحامد يومى عميد كلية أصول الدين
بجامعة الأزهر والسفير فتحي شرمى

الأكبر في روما بتعليم هذا المؤتمر
وراسن واد الأزهر الشريف فوزي
الزوارف وكيل الأزهر وعضوية الدكتور
على السمان نائب رئيس اللجنة الدائمة
الأزهر له وار الأديان السماوية والدكتور
عبد الحامد يومى عميد كلية أصول الدين
بجامعة الأزهر والسفير فتحي شرمى

الأزهر والفاطيكانيدينان

التطهير العرقي في كوسوفا

وأضفاء اللون جثية من الأزهر للمتكورين
أدانت لجنة الحاد وار الإسلامى
الكاثوليكى المشتركة بين الأزهر
والجاسن البابوى للحوار بين الأديان في
الفاطيكانيدينان، الممارسات الوحشية التي
يتعرض لها المسلمون الإلبان في إقليم
كوسوفا على أيدي القوات المصربية،
والك في أعقاب الاجتياح الذي افتتحه
الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد
سيد طنطاوى. كما قدم الأزهر الشريف
شيكيا بمبلغ نصف مليون جنيه تكريما
للمساعدة منكوبى إقليم كوسوفا، الذين
تعرضوا لأقصى وأبشع ألوان الظلم
والاعتداء على أيدي المصربى.

ملحق رقم: 11

الأزهر
مجلس الإمام الأكبر
مفتي الأزهر

رئيس اللجنة للإمام الأكبر / شيخ الأزهر دكتور / محمد سيد طنطاوي
إلى مؤتمر الحوار بالكتاب (٢٤ - ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩)
ماتقيا الدكتور علي الدين تايب نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر
الحوار الأديان السماوية و ممثل الامام الأكبر أمام المؤتمر

السادة و السيدات

قائمة الأديان حول العالم

أما في مؤتمر الحوار الأديان

أحسب مبارككم الكريمة التحيات و تدعم حوار الأديان الذي سيفتح
أمام الأجيال القادمة و نحن ندخل الألفية الثالثة آفاقا جديدة لتحقيق
طموح مجتمع يعمه فيه السلام و العدل و المساواة بين شعوب
العالم

أدنى و أشد أتم تشارك و تفاعل في أن الاتفاق التاريخي الذي

تم التوقيع عليه في ٣ سبتمبر ١٤١١ هـ و ٣ مايو ١٩٩٨ م بين

المجلس البابوي للحوار بين الأديان بالكتاب و بين اللجنة

الدائمة للأزهر الشريف لحوار الأديان السماوية بمباركة كاملة من

قدااسة البابا يوحنا بول الثاني و منى شخصا كان حدثا هاما

بسم أكثر من نصف البشرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتبة الإمام الأوزاعي
شيخ الأزهر

" (٢) "

إن الأديان السماوية بتماليمها القدسية هي الحصن القوي الذي
يأوي إليه المسلمون أرواحهم وأبدانهم ويتردد الحقوق المفتتحة لاحتياجاتهم
الشرعية .

إن الدين الإسلامي ليس فقط في الخطاب مع معتنقيه
و مع غير معتنقيه إنما هو جميع معاملات الحياة هي الحوار والمناقشة
لأنه إلى تحقيق الأهداف السياسية التي تحقق الخير والسعادة
للجميع .

بارك الله بجهودكم و وثقكم الله لتحقيق أهدافكم النبيلة . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

شيخ الأزهر



(الدكتور / محمد سيد طنطاوي)

٨٩ مريم بركة ١٤٥٠

٦ صبر الزهر ١٤٩٩

بابا الفاتيكان في مصر .. ولقاء الرموز

د. على السقمان

يوم الخميس ٢٤ فبراير سيظل تاريخا محفورا بأحرف من نور في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية وتاريخ العلاقات بين دولة مصر ودولة الفاتيكان. قليل من يعرف أن للفاتيكان وجهين مستقلين وجه الدولة يرئسها بابا الفاتيكان ورئيس وزارتها ووزير خارجيتها وسفرائها في معظم أنحاء العالم والدولة بدورها لها سفراء معتمدون لدى الفاتيكان، وهناك وجه الكنيسة بكونها من الكراولة يعينهم رئيس الكنيسة بوجتها بولس الثاني ويمثلون سلطته الكنسية في معظم مدن العالم.

(أولا): لقاء القمة بين رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس دولة الفاتيكان يجعل أكثر من معنى:

● المعنى الأول: أن الرئيس المصري أكد تعددية المصادر الروحية والدينية لإلهام شعب مصر وأكد في قوة وشموخ أن الشعب المصري يستمد إلهامه من الإسلام والمسيحية ويؤمن بتعاليم القرآن والانجيل..

فليتذكر دعاة التطرف جهدا المعنى العميق لهذه الكلمات لقائه بلد يعرف أن جذور تاريخه جمعت الإسلام والمسيحية.

*The meeting of the permanent committee of
AL-AZHAR for dialogue with monotheistic
religions, (CPADRM),*

AND

*THE pontifical council for interrreligious dialogue
(CPDI), (vatican city ,ROME) march 28th.2000 /
Correspondent to 23rd.Dhu-alHija 1420H.*

*The permanent committee of AL-AZHAR for
dialogue with monotheistic religions held a
meeting at the premises of the pontifical council for
interrreligious dialogue in ROME, with the
attendance of Shaikh / Fawzi Al-Zafzaf, Dr. Ali El-
Samman, Cardinal/Francis Arinze, H.E. Michael
Fitzgerald & H.E. Khaled Akashe.*

1.Evaluation of pope John paul II's visit to Egypt
*Pope John paul II's visit to Egypt in general & to
AL-AZHAR in particular constitutes an
unprecedented historical event , where His
Holiness received a warm cordial welcome by
means of the Egyptian people , which also reflected
the existing respect for other nations , religions &
cultures.*

*Also His Holiness the Pope was greatly affected by
the extraordinary welcome of AL-AZHAR'S
ulamas (shaikhs) which was also another fine
gesture extended by them to welcome their great
guest, in other words we can say that that event did*

not pass like any other ordinary event, on the contrary it was a memorable event for His Holiness Pope John Paul II, where H.H. was able to realise the spirit of moderation & openness of AL-AZHAR as a prominent religious institution, which also paved the way & served to a great extent in opening a new chapter in the islamic – christian relations.

More over, we affirm that the public opinion & the press have reacted actively towards that event where conferences, press conferences & interviews were held & followed in this concern, the question that remains is about the method to be adopted in order to lead to a fruitful dialogue.

The committee had also decided to consider Feb. 24th. (the date of H.H. the pope's visit to the premises of AL-AZHAR) as the day of DIALOGUE as well as being the date of the annual meeting, besides that it had also found it possible to hold various **public activities** coinciding with the event of the annual meeting.

2. It has been decided to discuss the possibility of issuing a (press) statement around H.H. the pope's visit to Egypt ,which will be included in the meeting's final communique'.

3. Shedding light on the ideas raised during the interrreligious meeting held in Rome last oct. 1999.

The meeting of the believers of various religions at the Vatican , includes a reflection for a ceremony which was presided over by His Holiness the Pope and constitutes a moment of great importance , also the meeting of several personalities with various religious traditions and tendencies was highly appreciated, also the special resemblance and correlation between the three monotheistic religions was very clear , where it reflected a harmony of the spiritual links existing between the three religions particularly that that meeting clarifies the mutual respect of the moral thoughts and laws between the three religions, more over that meeting had also helped in tackling the urgent problems of the world in addition to enabling the believers of the three religions to carry out the necessary collaboration for the good of the believers , men and women of the three religions.

As a matter of fact the presence of representatives from various ISLAMIC countries and institutions was very clear and was a confirmation of the existing links between Muslims and Christians.

4. The journey of seeking forgiveness, (March 12th. 2000).

The permanent committee of AL-AZHAR for dialogue with monotheistic religions had presented a memorandum sent to the Vatican from His Eminence THE GRAND IMAM demanding to get a similar document from the Vatican including the Vatican's seeking of forgiveness for the sufferings faced by Muslims during the Crusade wars.

Cardinal/Arinze' who had an active role in that meeting, stated that the issue of getting the aforementioned document from the Vatican including its seeking of forgiveness for the atrocities and sufferings faced by Muslims during the crusade wars, isn't the decision or judgement of our predecessors, because it is only ALLAH (THE ALMIGHTY) who is solely entitled to judge upon them (i.e. the Vatican and the church), and it is not the church which will tell or determine the sinner, for it has got its sacredness, altogether with the sacredness of its founder (i.e. ALLAH THE ALMIGHTY), exactly like the sacredness of Virgin Mary and the rest of the saints. Cardinal/Arinze' added, there are also the errors and sins of the sons and daughters of the church, those who unfortunately did not follow and adopt the teachings of the bible.

Accordingly, the pontifical council for interreligious dialogue, had paid great concern to

the memo of the permanent committee of AL-AZHAR for dialogue with monotheistic religions And considered it as being a possible test for the historical Islamic- Christian relations , within the spirit of openness and fraternity for the sake of the purification of the past bad memories and in order to secure the future of reconciliation and collaboration between the three religions.

5. The symposium held between Kullyat Usul al-Din (Faculty of Islamic law and Jurisprudence) and Universite' Saint Thomas d'Aquin in Cairo(2nd.-3rd. May 2000).

The Symposium was held at the premises of MASHIAKHAT AL-AZHAR , where three points were raised as follows:

A. putting in to consideration the issue of translation in three languages , Arabic , English and French,

B. circulating and making communications with the names of the Muslim participants,

C. clarifying the issue of lodging and boarding.

6. possible activities of the committee:

It has been agreed upon during that meeting that the theme of the next meeting will deal with the number of the followers of both religions (where they form over 50% of the entire humanity) , their geographic expansion , their nature, and the role of AL-AZHAR in preparing the Ulamas and Imams in addition to the Islamic du'a , besides the extent of the presence of the catholic institutions .

Two papers will be submitted about the (mission and the da'wa) by two experts one is Muslim and the other will be christian.

Cardinal/Francis Arinze'
President of CPDI

SHEIKH/FAWZI
AL-ZAFZAF
President of
CPADRM

S.E.Mgr Michael L.
Fitzgerald
Secretary of
CPDI

Dr. Ali Elsamman
Vice president of
CPADRM

Translated by : Abeye Amin Abdel-Aal.

[illegible]

بيان صحفي

صادر من اللجنة المشتركة بين الأزهر الشريف للحوار بين الأديان

بمناسبة الإجتماع السنوي للجنة المشتركة بين الأزهر الشريف والمجلس البابوي للحوار بين الأديان والذي عقد بمقر مشيخة الأزهر بالقاهرة يوم السبت الأول من ذي الحجة ١٤٢١هـ الموافق ٢٤ شباط فبراير عام ٢٠٠١م أصدرت البيان التالي حول الوضع في الأراضي المقدسة.

١- استعرضت اللجنة الوضع الإنساني الناتج عن الصراع الجاري في الأراضي المقدسة ولاسيما الأراضي المحتلة دون وجه حق، وعبرت عن روعها للخسائر المتزايدة في الأرواح وفي الجرحى وتدمير الممتلكات وتخريب وسائل العيش إضافة إلى أشكال أخرى من المعاناة التي يقع تحت طائلها السكان.

٢- عبرت اللجنة عن أسفها لوقوع الضحايا من السكان الأمنيين.

٣- عبرت اللجنة عن الأمل بأن يتحقق السلام المبني على العدل وعلى الشرعية الدولية مما يعين على إنهاء أشكال هذه المعاناة.

٤- تهييب اللجنة بالقادة الدينين للاستمرار في الإسهام بشكل فعال في سبيل إيجاد جو مؤات للسلام ، عن طريق تذكير كافة الأطراف المعنية بأن الأساس الحقيقي للسلام هو العدل والاحترام المتبادل.

٥- فى ضوء الوضع القائم، تدعم اللجنة الجهود الرامية إلى إيجاد حل سلمى لقضية الأماكن المقدسة فى الناصرة وترحب الاقتراحات لحل الموضوع وتدين أية محاولة لاستغلال الوضع لإحداث انقسامات وخصومات بين المسيحيين والمسلمين.

٦- تؤكد اللجنة على الطابع الخاص لمدينة القدس للديانات الموحدة الثلاث وتدين أي تجاوز على مبدأ الحرية الدينية، وبخاصة منع الوصول إلى الأماكن المقدسة، كما تدين العنف والتدنيس، أو أي عمل من شأنه تعريض الأماكن المقدسة للخطر.

Francis Card. Amige

عبد الحليم

* Michael A. Higgins

عليه السلام

AWG

محضر اجتماع

عقدت اللجنة التنسيقية والنسب من يوم السبت ٢٣ من فبراير ٢٠١٢ م الموافق ١١ من ذي الحجة ١٤٣٣ هـ. وفي مقر المجلس البابوي للحوار بين الأديان في حاضرة الفاتيكان، اجتمعت اللجنة المشتركة للحوار بين الأديان السماوية من الأزهر الشريف والمجلس البابوي للحوار بين الأديان المسيحية والإسلامية وحضرها من جانب المجلس البابوي كل من:

١. أباته الكاردينال فرنسيس أرينزي، رئيس المجلس
٢. سيادة المطران مايكل فيتسجيرالد، أمين سر المجلس
٣. راسمبور خالد عكشة، مكتب الحوار مع المسلمين بالمجلس
٤. الأب دان ماديغان، المدرس بالجامعة البابوية الغريغورية
٥. من جانب لجنة الأزهر كل من:

١. اللجنة الشيخ فوزي فاضل الزفراف، رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار

٢. الأستاذ علي وهبي السمتان، نائب رئيس اللجنة

وعن موضوع الاجتماع بحث ظاهرة "التطرف".

رأى بدء الاجتماع، حيث اللجنة موعد الذكرى الخالدة لزيارة قداسة البابا بولس الثاني للأزهر الشريف في ٢٤ فبراير ٢٠٠٠ وأشادت بالنتائج الطيبة التي تركتها هذه الزيارة والتي تدل على سلامة الديانتين المسيحية والإسلامية. ثم قدمت لجنة المجلس البابوي للفاتيكان عزاء قداسة البابا بولس الثاني للشعب المصري في ضحايا حادث قطار الصعيد.

وبعد ذلك، بدأت اللجنة في بحث موضوع الاجتماع.

رأى الأب دان ماديغان بعثاً عن التطرف من وجهة نظر المسيحية تضمن أن ظاهرة التطرف ليست جديدة وأن المسيحية ترفض التطرف ولا تقره وأنها تدعو إلى التسامح والحب بين الأعداء وأن الأمر يتطلب أن يتعاون الجميع في علاج هذه الظاهرة التي تلحق الضرر بالإنسانية وأن المتطرفين يقسمون العالم إلى قسمين: القسم الذي يؤمن بأفكارهم المتطرفة والقسم الذي لا يؤمن بأفكارهم، وأن المتطرفين يرون أن من عداهم أعداء لهم (مرفق البحث بالملحق رقم ١٦). كما يعتقد رسمي له).

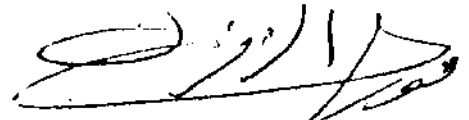
ثم أنقى فضيلة الشيخ فوزي فاضل الزفزاف بحثاً بعنوان "التطرف وموقف الإسلام منه" أوضح فيه خطر التطرف على الإنسانية وأن الإسلام عانى من خطر وقسوة المتطرفين منذ بدء الدولة الإسلامية وكسان الخوارج والزنج من أخطر العناصر المتطرفة في الإسلام، كما أن التطرف عانت منه البشرية في المجتمعات غير الإسلامية قديماً وحديثاً...، وذكر أن الإسلام دين الوسطية في جميع مجالات الحياة وأنه يرفض التطرف، ثم ذكر أن التطرف يحتاج إلى تكاتف الجميع لعلاجيه وأن العلاج الأمثل له هو الحوار. غير أن الحوار وحده لا يكفي لعلاج التطرف بل لا بد وأن تتعاون معه عوامل أخرى موضحة في البحث (مرفق البحث بالمحضر كمستند رسمي له).

وقد ناقشت اللجنة المشتركة الأفكار التي وردت في البحثين ورأت تطابق وجهة بين الديانتين المسيحية والإسلامية في كثير من المواقف المتصلة بالتطرف وعلاجه والوقاية منه وأن الديانتين ترفضان التطرف ولا تقره وأن الأمر يحتاج إلى تعاون القيادات الدينية في الديانتين للتغلب على هذه الظاهرة السلبية التي تعاني منها البشرية والتي تلحق الضرر بها.

وفي ختام الاجتماع اتفقت اللجنة المشتركة على أن يكون اجتماعها القادم في القاهرة في ٢٤ فبراير ٢٠٠٣ وأن يحدد موضوع الاجتماع القادم عن طريق المراسلة.


نيافة الكاردينال فرنسيس أرينزي،

رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان



فضيلة الشيخ فوزي فاضل الزفزاف،

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار

بيان صحفي

=====

عقدت اللجنة المشتركة بين اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان والمجلس البابوي للحوار بين الأديان بالفاتيكان إجتماعها الدوري السنوي في مقر لجنة الحوار بالأزهر يوم الخميس ٢٤ فبراير / شباط ٢٠٠٥ .

وحضرها من الجانب الإسلامي فضيلة الشيخ/ فوزي فاضل الزفزاف
— رئيس اللجنة — ، والدكتور/ علي السمان — نائب رئيس اللجنة — ،
والسفير الدكتور/ فتحي مرعي — عضو اللجنة — .
وحضرها من الجانب المسيحي سيادة المطران/ مايكل لويس فيتزجيرالد
— رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان — ، وسيادة المطران/ بيير لويجي
شيلاته — أمين سر المجلس — ، وسيادة المطران/ ماركو دينو بروجي — السفير
البابوي في جمهورية مصر العربية — ، والمونسنيور/ خالد عكشة — مدير
مكتب الحوار مع المسلمين في المجلس — ، والأب/ ميغيل أيوزو — مدير
الدراسات بالمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما — بصفته خبيراً .

وقد ناقشت اللجنة موضوع الدعوة والتبشير وإعداد الدعاة والمبشرين ، حيث قدم
فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف بحثاً بعنوان ((المؤسسات التعليمية الدينية
المتخصصة ودورها في تكوين الدعاة)) . وقدم الأب/ ميغيل أيوزو بحثاً بعنوان
((إعداد المرسلين في الكنيسة الكاثوليكية)) .

وبعد مناقشة اللجنة للبحثين اتفقت على الآتي :

١. أهمية دور المؤسسات التعليمية الدينية المتخصصة في تشكيل وتكوين وتوجيه الخريجين الذين يقومون بمهمة الدعوة والتبشير .
٢. حرص الجانبين على احترام حرية العقيدة لكل إنسان وعدم إستغلال الحاجة أو الجهل أو استخدام المال أو الامتيازات المالية أو الاجتماعية في دعوة الناس إلى اعتناق دين معين .
٣. التأكيد على حق كل إنسان في البحث عن الحقيقة واتباعها حسب ضميره ، دون خوف من عقاب ودون ضغوط تمارس عليه من قبل أية جهة لحمله على مخالفة ضميره
٤. أهمية تنسيق المواقف المشتركة بين الطرفين في المؤتمرات والاجتماعات الدولية ، مع التأكيد على الحق في الاختلاف

٥. مناقشة المجتمع الدولي في عدم الربط بين الدين والإرهاب ،
فالإرهاب لا دين له والتأكيد على أن الديانتين المسيحية والإسلامية
تدعوان إلى نشر السلام والأخوة والمحبة بين بني البشر .
٦. وصولاً إلى تفاهم أعمق بين أتباع الديانتين المسيحية والإسلام ، تم
الاتفاق على أهمية دراسة صراعات حدثت في الماضي بين المسيحيين
والمسلمين ، وبخاصة حروب الفرنجة وذلك من قبل خبراء متخصصين
في التاريخ من كلا الجانبين

م. إيمان الدين (م. إيمان الدين)

م. الإرهاب

د. القادر للعلوم الإسلامية



الكنيسة الأسقفية (الأنجليكانية) بالعالم



اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار

بين الأديان السماوية

اتفاقية الحوار

بين

الكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) والأزهر الشريف

بعض مسائل العالم ، وتشجيع قادة

الدينين على استخدام تأويلهم الديني في

المصالحة ومنع السلام .

ثالثا : العمل سويا على تحقيق كرامة الإنسان

في العالم ، ومنع الظلم والاعتداء على

الحقوق المشروعة للشعوب ، وعدم

الفصل بين السلام والعدل ، ونشر

الفصل المشترك بين الدينتين

الإسلامية والمسيحية .

رابعاً : تشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على

القيام بدورها الإيجابي في تحقيق تنمية لصالح

شعوب العالم لنشر الرخاء والقدوم .

ولتنفيذ هذه الأتات قررت اللجنة في اجتماعها

المشترك الآتي :

أولاً : تشكيل لجنة مشتركة من الجانبين تتكون

من رئيس وعشرين من كل جانب ،

وبحوز زيادة عدد أعضاء كل لجنة إذا

رؤى ذلك بموافقة الطرفين ، على أن

يقوم كل جانب بإعلام الطرف الآخر

بأسماء الأعضاء الممثلين له .

ثانياً : تجتمع اللجنة المشتركة مرة واحدة على

الأقل كل عام في مصر والمملكة

المستعدة بالتبادل بينهما . على أن يقوم

كل جانب بتنفيذ مساهمات الطرف

والإقامة الخاصة به ، ويجوز أن تجتمع

اللجنة أكثر من مرة في العالم الواحد إذا

تتضمن المصلحة ذلك باتفاق رئيسي

للجنة .

ثالثاً : تقدم اللجنة المشتركة تقريرا سنويا في

نهاية اجتماعاتها ، ولا تملأ أية

تصريحات عن الأوراق التي تقدم

للمناقشة أثناء عقد اللجنة المشتركة دون

موافقة الجانبين .

مقر لوفد الدكتور / جورج كاري رئيس أساقفة كنتربري

والرئيس العام للكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) في

العالم وفدا إلى الأزهر الشريف مكونا من :

١. الكنن / كريستوفر لاس

٢. المطران / دكتور / منير حنا تيس

[السف مصر وشمال أفريقيا والاف

الافريقي]

الاجتماع مع اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين

الأديان السماوية يومي ١٠ ، ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ م

في مقر اللجنة بمبنى مشيخة الأزهر الشريف .

والمكونة من :

١. فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزهراف

[رئيس اللجنة]

٢. الأستاذ الدكتور / علي وهبي السمان

[نائب رئيس اللجنة]

٣. الأستاذ الدكتور / مصطفى الشكعة

[عضو اللجنة - لم يتمكن من الحضور]

٤. السيد السفير / نبيل بدر

[عضو اللجنة - لم يتمكن من الحضور]

٥. السيد السفير الدكتور / أحمد فتحي مرسي

[عضو اللجنة]

٦. فضيلة الشيخ / السيد ولاء أبو عجور

[عضو اللجنة]

وبذلك التتاهم ومناقشة مشروع اتفاق للحوار بين الكنيسة

الأسقفية ((الأنجليكانية)) واللجنة الدائمة للأزهر

الشريف للحوار بين الأديان السماوية بهدف تحقيق

الآتي :

أولاً : تشجيع المسيحيين الأسقفين على فهم الإسلام

الحق ، وتشجيع المسلمين على فهم الإيمان المسيحي كما

يراه الأسقفون .

ثانياً : المساهمة في حل المشاكل وإنهاء الصراعات

التي تحدث أحيانا بين المسيحيين والمسلمين في

حرصنا على دعم العلاقات المتميزة التي تربط

بين الكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) في

العالم وبين الأزهر الشريف . وتأكيذا

للعلاقات الأخوية بين فضيلة الإمام الأكبر

الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

وقدكتور / جورج كاري رئيس أساقفة

كانتربري والرئيس العام للكنيسة الأسقفية

((الأنجليكانية)) في العالم .

وإيماننا من الطرفين بأن الصداقة على الرغم

من الفروق الدينية والحرفية والقومية ، هي

إحدى حيات الخلق الذي نؤمن به مما

وإذ نأمن من الطرفين بأننا نحتاج إلى أن يتقل

بعضنا لبعض الآخر فولا مشاركا ونضعا

للرغبة في تحقيق رسالة السلام في العالم .

واعتقادنا من الطرفين بأن الحوار المباشر يؤدي

إلى تصحيح صورة كل طرف أمام الطرف

الآخري .

وتسوة للريلة التي قام بها الدكتور / جورج

كاري إلى الأزهر الشريف في أكتوبر ١٩٩٥ ،

والزيارة التي قام بها فضيلة الإمام الأكبر

الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر إلى

قصر لايت في مايو ١٩٩٧ ، والزيارة التثنية

التي قام بها الدكتور / جورج كاري إلى

الأزهر الشريف في نوفمبر ١٩٩٩ .

ومن متعلق إيماننا بالله الواحد ، ومساوينا

تجاه مواجدة العنف من ناحية ، والقنص

الدين من ناحية أخرى ، ولأننا في أن نساهم

في الجهود العالمية من أجل تحقيق العدالة

والسلام والحياء الكريمة لكل الإنسانية ،

مستفيدين من التاريخ الطويل للحياء المشتركة

بين المسلمين والمسيحيين في مصر وبريطانيا

ولدى أخرى من العالم ، والخصرات الإيجابية

بينهما .

فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزهراف

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية

المطران / الدكتور / منير حنا تيس

مطران الكنيسة الأسقفية بمصر وشمال أفريقيا والافريقي

الأستاذ الدكتور / علي وهبي السمان

نائب رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية

كنن / كريستوفر لاس

كاترانية كوفنتري - المملكة المتحدة

الدكتور / جورج كاري

رئيس أساقفة كانتربري

والرئيس العام للكنيسة الأسقفية ((الأنجليكانية)) بالعالم

الدكتور / محمد سيد طنطاوي

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف



PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE NON-MUSLIM RELIGIONS
اللجنة الدائمة للأزهر للحوار الأديان السماوية

جدول أعمال الاجتماع الأول للعام ٢٠٠٢م

اللجنة الدائمة للأزهر الشريف.

الحوار بين الأديان السماوية

٢٠٠١/٧/٣٠م

١. توقيع اتفاقية الحوار بين اللجنة الدائمة للأزهر الشريف للحوار بين الأديان السماوية والكنيسة الأسقفية (الانجليكانية) في لندن بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٢م.
٢. المشاركة في المنتدى الاقتصادي العالمي في نيويورك من ٣١ يناير إلى ٤ فبراير ٢٠٠٢م.
٣. المشاركة في الاجتماع المشترك بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية والمجلس البابوي للحوار بين الأديان في ليبيا.
٤. سفر الأستاذ الدكتور علي السمان إلى فيينا بدعوة شخصية من وزيرة خارجية النمسا Dr. Beinite Ferrere Waldner وذلك للمشاركة في المؤتمر الذي عقد في ٢٠٠٢/٦/٣م ، تحت عنوان: ((أوروبا ، والبحر الأبيض ، والإعلام)).
٥. المشاركة في الندوة العالمية التي أقامها البطريرك العالمي بارثولوميو رئيس أساقفة إسطنبول وروما الجديدة تحت عنوان: ((الدين والعلم والبيئة)) وذلك في الفترة من ٥-١٠ يونيو ٢٠٠٢م.
٦. الاجتماع القادم للجنة المشتركة بين اللجنة الدائمة للأزهر الشريف



AL-AZHAR

PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE ABROGOTHENISTIC RELIGIONS
اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية

- للحوار بين الأديان السماوية والكنيسة الأسقفية (الأنجليكانية) في القاهرة يومي ١٠، ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م وسيكون موضوع الاجتماع: ((السلام الذي لا يفصل عن العدل و الاعتراف بالآخر والتعايش معه)).
- ٧. عرض موضوع ترشيح خبير مصري متخصص في الدراسات الإسلامية للمشاركة في المؤتمر الدولي الذي سيقع في أفترة من ١٥ - ١٦ أكتوبر ٢٠٠٢م تحت عنوان : ((العولمة ، العلوم ، الثقافة والأديان)) و الذي تقيمه مؤسسة جولبنكيان في البرتغال.



PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE MONOTHEISTIC RELIGIONS

اللجنة الدائمة للأزهر للحوار الأديان السماوية

بيان

عن اجتماع اللجنة المشتركة بين لجنة الحوار بالأزهر الشريف ولجنة الحوار بالكنيسة الأسقفية

عقدت اللجنة المشتركة بين اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية ولجنة الحوار للكنيسة الأسقفية (الإنجليكانية) اجتماعها الدوري السنوي الثالث في مقر مشيخة الأزهر الشريف في القاهرة يومي ٢٣، ٢٤ من رجب ١٤٢٥ هـ الموافق ٨، ٩ سبتمبر ٢٠٠٤م لتنفيذ الاتفاقية الحوار الموقعة بين الجانبين بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠٠٢ بقصر لامبث في لندن والتي وقعها رئيس أساقفة كانتربيري وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وكان موضوع حوار اللجنة المشتركة في اجتماع عام ٢٠٠٤ عن " المفاهيم الخاطئة " .

لذا ناقشت اللجنة المشتركة في اجتماعها خلال هذين اليومين الأبحاث المقدمة من جانب الكنيسة الأسقفية وهي :

١. المسيحية والغرب الدكتور / إيفون حداد
٢. المسيحية والحروب الصليبية والاستعمار الغربي المطران / منير حنا أنيس
٣. المسيحية والقوة كانون كريستوفر لامب

كما ناقشت اللجنة الأبحاث المقدمة من جانب لجنة الحوار بالأزهر الشريف وهي

١. الجهاد في الإسلام الدكتور / مصطفى الشكعة
٢. حقوق الإنسان في الإسلام السفير / نبيل بدر
٣. مكانة المرأة في الإسلام الشيخ / فوزي فاضل الزفراف



PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE MONOTHEISTIC RELIGIONS
اللجنة الدائمة للأزهر لعوار الأديان السماوية

وبعد أن استمعت اللجنة لهذه الأبحاث اتضح أن كثيرا من المسيحيين والمسلمين لديهم الكثير من المفاهيم الخاطئة عن عقائد وممارسات الدين الآخر ، واعترافا من اللجنة بخطورة تعميم هذه المفاهيم فقد عقدت اللجنة العزم على أن تعمل بجدية للتصدي للصور غير الدقيقة التي يتم بها تصوير كل من المسيحية والإسلام وذلك وفقا لبنود الاتفاقية الموقعة في يناير ٢٠٠٢ والتي اشارت إلى أهمية العمل على تصحيح صورة كل دين في نظر الآخر .

وقد رأت اللجنة أنه من المهم أن يكون لدى القادة الدينيين فهم جيد عن ديانة الآخر ، ولذا فقد سرت اللجنة عندما علمت بالزيارة التي قام بها الشيخ / فوزي الزفراف لكلية ريدي لللاهوت في كمبريدج ، والوقت الطيب الذي قضاه بها ، ونحن ننتظر في المستقبل أن يتم الإعداد لعدة زيارات متبادلة بين طلاب الأزهر الشريف وبين الذين يتم إعدادهم للخدمة في الكنيسة الأسقفية . وذلك لأهميتها البالغة في العلاقات المستقبلية .

كما سعدت اللجنة بسماعها تقاريرها عن المشاريع المشتركة بين المسيحيين والمسلمين في إنجلترا ومصر ، كما أخطيت علما باتجاه رئيس اساقفة كانتربيري لإقامة منتدى قومي في إنجلترا لمساعدة المسيحيين والمسلمين على مناقشة الأمور المشتركة وسرت بما علمته عن سلسلة الندوات التي يرأسها رئيس الاساقفة تحت عنوان " بناء الجسور " والتي تجمع عددا من علماء المسيحيين والمسلمين من مختلف الدول .

الجنة الدائمة للحوار بين الأديان

Permanent Committee of al-Azhar for Dialogue with the Monotheistic Religions



PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE MONOTHEISTIC RELIGIONS الجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية

كما تقدر الجنة ايضا الجهود المشتركة بين الأزهر الشريف وابر وشية الكنيسة الأسقفية بمصر للانتقال بالحوار عمليا إلى مستوى القاعدة بالممارق المختلفة .

ومما لا شك فيه أن الأزومات السياسية التي يمر بها العالم حاليا لقيت اهتماما من اللجنة ، لاسيما بعض مناطق التوتر

ففيما يخص بالأوضاع في الأراضي المقدسة ذات الأهمية البالغة خاصة للديانتين الإسلامية والمسيحية فالجنة تعبر عن أسفها أنه منذ اجتماعها الأخير في سبتمبر ٢٠٠٢ مازال هناك تدهور في الأوضاع وازدياد الظلم والعنف والحرمان الذي يعاني منه الكثيرون .

أما عن العراق فتعبر اللجنة عن أسفها للمعاناة الشديدة التي مازال الشعب العراقي يلاقها ، وتؤكد على ضرورة إعطاء الشعب العراقي بكل طوائفه حريته ، وضرورة إعطائه الفرصة ليحدد مستقبله بنفسه .

كما تدرك اللجنة فداحة الألم الذي يعانيه شعب السودان ، وتطالب القادة السياسيين والدينيين بالأشتر اك في تشجيع حكومة السودان وكافة الأطراف المعنية بضمان توفير الأمن والرخاء للجميع .

كما تأسف اللجنة وهي تجتمع في نفس الأسبوع الذي شهد الأحداث الدامية في بسلان بروسيا والتي أدينت على وجه كبير من قادة الأديان ، وتعبر عن قلقها من التداعيات المحتملة لهذه الأحداث .

الجامعة الأزهرية

www.alazhar.org



www.alazhar.org

PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE MONOTHEISTIC RELIGIONS اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية

كما ناقشت اللجنة الأوضاع في بعض مناطق أخرى من العالم حيث توجد أقليات مسيحية وإسلامية لا تتمتع بالحماية الكافية ، وتنشئ اللجنة على جهود المسلمين والمسيحيين في العمل على التثبيح المستمر بضرورة حماية حقوق الإنسان ، وكفالة الحرية الدينية في تلك المناطق ، وفي هذا الصدد ترحب اللجنة بتأسيس المجلس القومي لحقوق الإنسان في مصر .

وبناء على ذلك اتضح للجنة أهمية تعزيز عملها المشترك ومتابعته ، وتتطلع لتعميق الحوار في اجتماعها المقبل في خريف عام ٢٠٠٥ م . كما تتطلع بشغف لزيارة رئيس أساقفة كانتربري للقاهرة في نهاية هذا الأسبوع ، وإلى سماع محاضراته التي سيلقيها في الأزهر الشريف ، ووضع حجر الأساس للمشروع الصحي الذي سيقام في مدينة السادات والذي يعبر عن التعاون المشترك بين المسيحيين والمسلمين .

وتأكيدا لما سبق فإن اللجنة المشتركة تعمل على تأثيرها في المجتمعات الدينية لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن المسيحية والإسلام مشيرة إلى خطر تعميم الأحكام بسبب أفكار وأفعال بعض الأقليات . وتكرس اللجنة جهودها لتطوير مشروعاتها المشتركة لتبادل الطلاب والقادة الدينيين .

وتنشئ اللجنة على المبادرات التي يقوم بها رئيس الأساقفة في مجال العلاقات المسيحية الإسلامية/ خاصة الخطط الخاصة بإقامة المنتدى القومي المسيحي الإسلامي في إنجلترا .

كما تنشئ اللجنة على جهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في مجال تحقيق ونشر الحوار الإسلامي المسيحي ، وعلى جهود الكنيسة الأسقفية في مصر وتعاونها مع لجنة الحوار بالأزهر الشريف .

الإسلام والحوار

الإسلام والحوار



الإسلام والحوار

PERMANENT COMMITTEE OF AL-AZHAR FOR DIALOGUE WITH THE MONOTHEISTIC RELIGIONS اللجنة الدائمة للأزهر لحوار الأديان السماوية

كما تتني اللجنة المشتركة على كل الجهود الدولية التي تسعى إلى توفير
الامن والأمان والعدالة لشعب الأرض المقدسة خاصة جهود الحكومة
المصرية لتحقيق الأمن والاستقرار في هذه المنطقة .
واتفقت اللجنة المشتركة على أن يكون الاجتماع القادم لها في خريف عام
٢٠٠٥ م .

محمد الزاوي

Christopher A. Lamb

Alexander O. Othman

حسن
الحمد

العلوم الإسلامية